الصوت

الصوت

سارة حجازي

تصميم الغلاف:

رقم الإيداع: 26213 /2017

I.S.B.N:978- 977-6640-04-7

الطبعة الأولى 2018م



الإدارة: 17 ش عزت باشا المطرية، القاهرة.

المدير العام: آية سعد الدين

مدير النشر : د. رامي عبد الباقي

نائب المدير : رامي غزالة

شؤون إدارية : رقية عبد الله

هاتف: 01099387500 - 01147633268

E – mail:zeinpublish2017@gmail.com
Facebook: Zein Publish

سارة حجازي

الصوت

رواية



كل شيء في الكون موجود داخلك

فاطلب أيا ما أردت من نفسك

جلال الدين الرومي

إهداء

إليك وحدك .. انتمي .. لن أهجرك ما حييت .. حبك يحارب شياطيني

كتابك بيننا، نزهده ونهجره، نخالف قوانينك، نؤذي مخلوقاتك، نطمع فيك، نبخل عليك، نسرق من وقتك ولا تعاقبنا، قد نظل طول وقت الاستذكار والاختبار نلهو ونلعب، نغنى ونمرح، ثم نقول جملة قبل ترك لجنة الامتحان فتنجينا بها، نبدو كالقتلة، كالسارقين، كالكاذبين، كالبغاة .. لكنك تعلم ما في سرنا ولا يعلمه سوانا وإياك، فترحمنا بسرنا وتتغاضى عن ظاهرنا

تلعب الروائح دورا مهما في العلاقات وسوط العذاب عند الغياب، فتجد نفسك مشتاقا لرائحة حبيبك أكثر من اشتياقك لنَفَسْك الذى قد لا يعود إليك إذا ما غاب عنك عبيره، وعند الافتراق قد تتمكن من تناسي كل الذكريات وتغلق رأسك عن مشاهد الذكرى، قد تمنع نفسك من ارتياد الأماكن نفسها، لتسد مداخل الجنين، لكن الرائحة تأتي مباغتته لتخترق أنفك وتشق صدرك فتقتلع قلبك تلطمه ثم تتركك وترحل، فربما يذهب عقلك، وتسير هائما على وجهك وراء تلك الرائحة، كمن يضع الضمادة على جرح ويخشى أن ينزعها فينتشر في أنحاء جرحه الآلام مبرحة.

مستلقية كرائد فضاء يستلقي في فضاء القمر فيخيل إليه أنه يرقد فوق الأرض، كمن يتكأ على عقود ملكيه الكون، كيف ستبدو ملامح وجهه حينها، سعيد، مطمئن، حائر، شيق، غامض، متلألئ ...؟ جمعت سعاد كل هذه المشاعروهي تحملق في النجوم كمن يطيل النظر بوجه حبيبه حتى يحفر صورته بوجدانه.

مقدمة

صوت النورس يشدو جنبًا إلى جنب مع صوت الأمواج المتلاطمة والرياح العاتية .. مع كل هذا الضجيج الخارجي الذي يلف جسدي ويهزني .. يسكنني الصمت والهدوء

أخيراً .. لحظة سلام داخلي

تحتضن الرمال رأسي .. يداعب الهواء خصلات شعري .. تدوي صرخات النورس في أذني كل ذلك لا يزعج سلامي الداخلي

تمر أمام عيني كل ذكرياتي كصور خرجت للتو من سائل التحميض يغلب عليها الحمرة ثم البني الغامق .. تظهر الصورة تدريجياً تتضح معالمها .. تتباين ألوانها.

الصورة الأولى: طفل يمسك يد أمه التي تقذفه لأعلى .. فتعلو صوت ضحكاته وهو يحتضن الهواء .. غير عابئ بأنه قد يهوى لأسفل

الصورة الثانية: ارتدي بنطالًا ذات أرجل واسعة (ماركة انتربول) ذو خطوط تتدرج الوانها بين الابيض والبني .. عليه تي- شيرت بني غامق ومكتوب عليه "Iam lucky" (أنا محظوظ) باللغة الانجليزية أعصب رأسي بمنديل وأغطيها بغطاء الرأس المتصل بالتي- شيرت .. أبتسم لمن تلتقط لي الصورة مشهراً أصبعا يدي كعلامة النصر

الصورة الثالثة: صورة زفافي على من كانت تلتقط صورتي.

الصورة الرابعة: تحمل حقائبها وترحل.

الصورة الخامسة : ليل دامس .

الصورة السادسة: صورة عاهرة.

الصورة السابعة: تلك العاهرة تحمل علامات وكدمات قاسية.

الصورة الثامنة: أطلقت لحيتي وشاربي.

الصورة التاسعة: أحمل باقة من الورد.

الصورة العاشرة: ترقد العاهرة على سرير تنظر لي نظرات الرغبة ممزوجة بحنان يبعث على النفس الأمان.

الصورة الحادية عشر: احتضن أولادي.

الصورة الثانية عشر: أركب سيارتي الـ 4 × 4 ألفح وجهي بشال يكسوة مربعات متلاصقة.

الصورة الثالثة عشر: أمسك معول أحفر بالرمال.

الصورة الرابعة عشر: الرمال تحتضن رأسي.

عتمة .. ظلام حالك .. هدوء قاتل .. لا أرى .. لا أسمع سوى صوت قطرات المياه التي تسقط واحدة تلو الأخرى .. اتحسس الجدران بها نتوءات كثيرة قد استطيع الصعود .. نعم لدي القدرة .. أتشبث بالحياة وأتسلق .. كلما أرتقي .. أسمع أصوات أكثر .. تبدأ بالهمس .. يزداد وضوح الصوت .. رجال ونساء يتبادلون أطراف الحديث .. ما هذا الحديث ألفاظ خارجة .. يمكنني أن أشم رائحة .. روائح أجساد متعرقة .. رائحتهم ليست غريبة .. كرائحتي عندما لا استحم و استمني ولا استحم أكل ، أشرب ، أخرج فضلات جسدي .. لا استحم .. استمني من جديد أضع عطر حين تنزعج أنفي من الرائحة .. فتختلط الروائح القديمة مع الجديدة .. لتصنع مزيج من نشازا لروائح ..

كم شممت تلك الرائحة .. مرارًا وتكرارًا .. كل مرة أحاول الصعود فأرتقي حتى أقارب الوصول للسطح .. أقترب من الحياة التي لا أعرفها فقط أعرف قاع البئر المظلم .. أَلِفتُ رائحته .. صوت قطرات المياه التي لا أعرف من أين تسقط لتعمل كالمنبه الذي يوقظ الميت عندما يوشك على الدخول بالغيبوبة .. فتستجيب له كل حواسه .. أفتح عيني لأقول لنفسي .. لا تقلق لا زالت هنا، لم أغادر بعد .. لا زالت أسيرك .. لا يسعني سوى الاستماع لدقاتك .. مدام قلبي ينبض بالكاد .. لا أشعر بشيء ينبض سواكِ.

اوشكت على الصعود .. الظلمة والوحدة تحتي .. العالم ينتظرني .. تخونني يدي .. فأسقط من جديد في الهوية أرجع إلى حيث انتمي .. أو ربما إلى حيث أشعر بالأمان أخذتني يدي أم فقط قامت بتلبية رغبتي ..

اتخذت قرار لا استطيع اتخاذه .. أو ربما لم أعي أنه بالضبط ما أريد فالغريزة والطبيعة تدفعني للخارج .. نفسي وصوت من لا أعرفه .. وقلبي يخشاه .. فيقذفني القاع.

الصوت الذي ظل ملازم لي طوال حياتي .. يختفي داخل البئر .. هاهو يظهر من جديد حين نويت الخروج، حين ابتعدت عن القاع.

أحياناً نعتقد أن القاع هو الأسوأ .. فكلنا أو معظمنا يرى القمة في الأعلى .. لم تكن أبداً بالأسفل .. أذلك حقيقي .. هل تنتهي الدول عند وصولها للقمة، أم تظل قائمة حتى تصل لقمة التدهور، ولا ينتهي بتلك القمة إلا من اختاره الخالق .. في حين أن معظمنا .. تتوفاه المنية في الشيخوخة بعيداً عن القمة إذن القمة ليست الأعلى .. وأن القاع ليس الأسوأ.

كثيراً من الذين ينتمون لعلية القوم ليسوا سوى عيون زجاجية لا تعكس سوى الترف والرخاء حولها، خاوية قلوبهم ذو عقول سطحية، لا تفكر سوى بالشهوات والنزوات، لم يضطروا يوماً للتضحية من أجل شيء، لا يعرفوا الإيثار، ألفوا فقط على الإشباع، الاستحواذ، الامتلاك، يعانوا من حب السلطة وأمراض الكرسي، نفوس مريضة، بعيدة كل البعد عن السلام الداخلي أو راحة الرضي، فتلك معاني لن تهبط لمداركهم.

من هم قاع المجتمع في نظرك؟ من يقطنوا العشوائيات؟ مرتادي المساجد والكنائس ليتخذوا قوتهم في سبيل التخلي عن كرامتهم؟ أم متسولي الإشارات؟ عمال الترحيل؟ هل هؤلاء فقراء؟ ماذا عمن لا يفرط في كرامته فكم سيدفع من أجل عيشته؟ سيدفع شرفه بصدر رحب .. بكل الأحوال سينتهك، فلما لا يقدمه بيده ومن ثم يقبض الثمن، فيتمكن من شراء ماءٍ جديد للوجه.

أجلس على المكتب أنظر بالساق التي تأبى عقاربها لدغ الثانية ظهراً، أتمنى أن تلدغني عوضًا عنها فتنهي حياتي التي اقضيها بالانتظار .. انتظر، انتظر، انتظر.. حتى دخلت دائرة فارغة مركزها الملل.

لازالت دقات الساعة لا تمر.. تهشم بلورة الساعة بصوت أنثوي:

- السلام عليكم.

- عليكم السلام، أتفضلي، أقدر أساعد حضرتك أزاي.

- عايزة أبدل كارت الفيزا.

- آه

أقولها وأنا أنظر بساعتي وأحسب الوقت، فإذا استجبت لرغبتها ونفذت طلبها، ساضطر إلى الانتظار بعد وقت العمل بما يزيد عن عشر دقائق، قد تصل المدة إلى ربع الساعة، أنظر إلى ساعة يدي، لاصطدم ببلورتها المكسورة.

عطرها الذي ملئ أنفي يمنعني من رفض رغبتي في البقاء معها أطول مدة ممكنة، تقمصت دور الموظف الملتزم المتفاني في أداء عمله، طلبت منها إثبات الشخصية والأوراق اللازمة، كانت تجلس أمامي على الكرسي المجاور لمكتبي، عطرها يعبق المكان، طلتها قوية أو تلك الهالة التي تحيط بها، تخطف أنظار كل المارين والجالسين بالمكان، شعرها الأسود الذي يغطى نصف ظهرها، تربطه من المنتصف بشريط من

الستان الأحمر، نفس لون القميص الذي ترتدي فوق تنورة سوداء منتعلة حذاء أسود لامع بخط أحمر.

لم أرى مثيل ذلك الحذاء وإن انتعلته غيرها من السيدات لن يليق سوى بقدمها .. شتت انتباهي بالاندماج في تنفيذ طلبها .. انهيت المهمة ومع كل محاولاتي لأطيل المدة إلا أنني أنجزت المهمة فى تمام الساعة الثانية بعد الظهر. سلمتها بطاقتها البنكية الجديدة .. مع ابتسامة عريضة .. تسلمتها بنعومة بالغة نظرت فى يدها التي تخلو من خاتم خطبة أو زواج .. لتقول لي:

- طيب الحمد لله إنك متعطلتش معايا ، شكراً .

- العفو يافندم، تحت أمرك في أي وقت، هو حضرتك مرتبطة .

- نعم! عندك عريس؟ لم تسال لانتظار رد، بل للاعتراض ثم أكملت: أشكرك ..

خرجت من العمل .. قبل أن استقل سيارتي .. أوقفتني طفلة تغطي ملامح وجهها، الأتربة المتراكمة لأيام طويلة .. تقول لي :

- يا بيه .. أي حاجة عشان اتغدى.

- طيب، تعالي أتغدي معايا.

فنظرت لي بريبة؛ لا أديني بس كام جنيه أنا هتغدى لوحدي!

أعطيتها ما توفر في جيبي من عملات معدنية، فودعتني بابتسامة تخلو من الأمل.

أقود السيارة، أفكر فى هؤلاء الذين أنجبوا وتركوا أولادهم لليل والإسفلت ليقوما بتربيتهم. أصل إلى المنزل .. التقط أنفاسي حتى أستطيع أن أدخل فى الصراع اليومي مع كنزي وعبد الله.

أي نعم لقد اسميتهم مثل أولاد الفنان عمرو دياب .. أحبه منذ الصغر والشبه بيننا في الملامح جعلني أسعى لإكمال الصورة .. فتزوجت فتاة وجدتها تشبه زوجته الأولى .. احببتها عشقت جمالها، شعرها الأشقر القصير، عيناها الخضراوتان، عميقتان تعكس كل انفعالاتها .. تنطق بكل ما تخشى شيرين قوله، فحين تلتزم الصمت، أنظر في عينيها لأعرف كل ما تخفيه عني.

لم ألبث لأفتح الباب إلا وقف عبد الله على صدري وتشبث بملابسي حتى لا يسقط، أما كنزي فتعلقت بقدمي وكان على أن أجرها لأصل لشيرين بالكاد فأسرق منها بضعة قبلات قبل أن نجلس حول مائدة الغداء .. ثم تغادر في ميعاد عيادتها المسائية واجالس أنا الأولاد محاولين إنهاء الواجبات المدرسية قبل ميعاد رجوعها لنحظى بالعشاء .. ونضعهم بالأسرة ومن ثم قد احظى بما يزيد عن الساعتين قبل النوم

بالفعل أنهيت كل الفروض، وشاهدت عبد الله وهو يلقي أمامي الخطاب الشعري الذي سيقوله في حفل المدرسة القادم .. تغار كنزي من اهتمامي بعبد الله فأضعها بين قدميَّ لأداعب خصلات شعرها التي تشبه والدتها .. يغلبها النعاس .. لم يبق سوى عبد الله جعلته يعيد الخطاب مرارًا وتكرارًا .. كي يتقنه في المقام الأول .. وكي ينام في أسرع وقت ممكن في المقام الثاني .. غلبه النعاس، فحملته وتأكدت من وجود دميته بجواره .. دمية سبايدرمان أما كنزي فليس لديها متطلبات سوى الشعور بالحنان.

نظرت في الساعة .. التقطت المحمول .. اتصلت على شيرين، فوجدت هاتفها خارج التغطية .. فظننت أنها بالمصعد.

أطفئت كل الأنوار .. عدا ذلك الضوء الخافت .. نظرت من العين المكبرة بباب الشقة .. لم أجدها .. فتحت الباب، لا تأكد أن باب المصعد مغلق جيداً .. دخلت مرة أخرى .. حاولت الاتصال مجدداً سمعت رسالة "ربما يكون مغلقا"!

أجريت اتصال على تليفون العيادة، لكن قطعته حين تذكرت أني لم أقم بدفع فاتورته .. حاولت الاتصال بالممرضة لكن .. الاتصال لم يكتمل بسبب عيب بالشبكة .. خرجت إلى الشرفة فوجدت نور العيادة لا زال مضاء .. بحثت عن مفتاح العيادة الاحتياطي، قبل أن أغلق الباب ترددت .. لأننا اتفقنا ألا نترك الأولاد بمفردهما أبدًا .. لا يوجد حل، سمعت صوت كنزي وهي تبكي .. فأسرعت إلى غرفتها، طمأنتها واحتضنتها، ظللت أهدهدها وأداعب خصلات شعرها إلى أن غفت وقبل أن أحكم الغطاء حولها وجدت شيرين تهمس "نامت" فأومأت برأسي بالإيجاب ..

فهمست سأبدل ثيابي ثم احضر العشاء، تناولنا العشاء .. دون أن تنبث ببنت شفة .. سألتها عن يومها قالت:

شيرين: كان فيه حالات كتير، كمان سامية مجتش.

شهاب: الممرضة ديه، بتغيب اكتر ما بتيجي، وبعدين أنا حاولت أكلمك كتير.

شيرين: آه الموبيل فصل، وكنت نسيت الشاحن هنا، عملت إيه النهاردة.

شهاب: عادى زى كل يوم .. مفيش جديد، هحط الأطباق في الغسالة، عشان تجهزي أنت.

شيرين: لا .. أنا تعبانه أوى .. معلش يا حبيبي، محتاجه حمام سخن .. أفك بيه عضلات جسمي.

تضايقت كثيراً لكني كالعادة :

شهاب: خلاص، ولا يهمك، أنت حطي الأطباق، أنا هجهز لك الحمام .. شكراً يا حبيبي.

قالتها ثم طبعت قبلة سريعة على وجنتي، ضبطت سخونة المياه ووضعت كل الزيوت المهدئة والمنعمة بالماء أطفأت الشموع، ووضعت المناشف في موضع قريب من المغطس، فتحت باب الحمام، قلت لها:

- تحت أمرك يا هانم أتفضلي .. حمام سعيد .

تذكرت أنني سأضيع المجهود الجبار الذي بذلته كي أحظى بها، ولكن كل ذلك سيذهب سدى لا .. لن استسلم .. دخلت الحمام كانت مسترخية تماماً، مغمضة عيناها ملقية برأسها للخلف، كأنها تحاول أن تتخلص من ضغوطها، أمسكت بأسفنجه الاستحمام وبللتها قليلاً، وبدأت أن أدلك جسدها على مهل، وبكل ما بكلمة ملل من معنى، لكني كنت مستمتع وأنا أرى استجابة للمسات الأسفنجة مع الماء والصابون، ثم بللت يداي وبدأت ألمس كل مواضع الألم وأدلكهم بتأني، آثرت انتباهها، فبدأت أنفاسها تتفاعل مع أنفاسي، قربت فمي من أذنها هامسًا: وحشتيني، لم ترد هي بصوتها، لكنها أخذتني إليها بكل ما فيها من قوة، وضعتني لاستقر بداخلها، ولكما حاولت الخروج منعتني بضغطها على أسفل ظهري .. لم نشعر كم مر من الوقت، لكننا لم ننتهي سريعًا.

جففتها وضعتها بالفراش وقبل أن أبدل ملابسي المبتلة جذبت يدي إليها، وكأنها قد افتقدت لمساتها للتو، قبلت جسدي في حنو بالغ، وفي وادع راق، فقد جردتني من كل ملابسي، لم تترك في موضع إلا وقبلته،

قبلا تثيرني، فلم يكن غرضها الإثارة، لم تتركني إلا بعد أن أرضت غروري .. ثم وضعت رأسي فيما بين نهديها واعتصرنني بعنفوان، شعرت بكل عظامي تكسر ثم ترد ويجبر كسرها من جديد.

سألتني: بتحبني؟

فجاوبت بثقة: أوي.

شددت من ضمتها قائلة: إذاً ستتركني أذهب، إذا كنت تحبني؟ حاولت التخلص من قبضتها لأنظر في عيناها، لم استطع، فحركت رأسي ممتعضًا، غير مدرك ما أسمع، إذا كان حقيقي، أم إنه لزيادة إثارتي التي اشتدت بالفعل، أفلت قبضتها بسرعة وولجتها بعنف، لم تتألم، أو لم تبال بالألم، كانت عيناها ممتنة، كأنها تستحق تعالت أصواتها، فوضعت يدي على فمها لأمنعها من إيقاظ الأولاد، فلعقتها ثم قبلتها ، فتأوهت أنا الآخر من شدة الانتشاء، وبحركتها المعهودة، لفت أرجلها حول ظهري فأصبحت هي فوقي تتحكم بمتعتي قياماً وقعودا، بسرعة وببطء، إلى أن خارت قواي في المقاومة، فاستمتعت ومتعتني، كما لم أفعل من قبل، استسلمت لها، لازالت فوقي، كنت مغمض عيناي، فقبلتني فجحظت عيناي من الدهشة، لم تقبلني هكذا من قبل، فقالت لي: الآن حصلت على انتباهك، أتتذكر قبل الزواج حين صارحتني إنك لا تستحق حبي، وأن هناك أخريات بحياتك ..

سامية

أجلس انتظر سامية التي لم تأتي أبدًا بموعدها وأعي جيدًا أنها لن تظهر قبل الرابعة، لكني هنا منذ الثانية ظهرًا .. لأعطي لنفسي وقتًا استعيد فيه ذكريات حبنا معاً، أول لقاء، أول لمسة، أول رعشة سرت بعروقي حين قالت لي "أحبك" ..

اعتدت أن أراها كل يوم أسفل الشرفة، تنتظر حافلة المدرسة الثانوية، كان يخفق قلبي كلما أرى خصلات شعرها تتطاير بفعل النسيم، اتمنى أن ألمس جبينها لأشيح شعرتها عن عينيها التي لم أعرف لونهما إلى الآن، أحيانًا تكون بلون حبه اللوز محاطة بلون الزيتون الأخضر محددة بلون بني غامق، آسرتني، كنت كثيرًا أتأخر عن محاضراتي لاستمتع بتلك اللحظة .. وفي يوم سقطت الشريطة الحمراء التي كانت تعقص بها شعرها .. لم أعرف كيف هبطت على الدرج في أقل من ثوان لالتقطها قبل أن يحتضنها الرصيف، استنشقت نسائمها المغرقة بالعطور التي ليست شرقية أو غربية، تفوح منها رائحة الحب والملذات التي تنتظرني معها.

قررت أنني لن أذهب إلى محاضرات اليوم .. سأنتظرها حين تعود لأسلمها شريطتها الحمراء فلعلي استطيع أن ألمس بأناملي يديها وهي تأخذها مني، لعلي أرى ابتسامة خفية، أو أسمع دقات قلبها إذا نظرت في عينيها وأطلت في النظر إليها.

كأن القدر يعاندني، يحاول أن ينبهني أنها لن تكون من نصيبي، لم تعد هذا اليوم، راقبت وصول حافلتها حتى الساعة الخامسة أي بعد ميعادها بساعتين ثم وضعت اقتراحات أن تكون قد ذهبت إلى درس أو ستقضي يومها بالنادي، فانتظرت وصولها شخصيًا حتى الساعة الحادية عشر، لم أشعر بعدها.

أفقت بعد آذان الفجر، فقمت لأتوضأ، ومررت عيني سريعاً على منزلها، الوقت متأخر، لكن من يعرف، قد أفهم لماذا لم ترجع بعد، هاهي تشرق في شرفتها لكنها اشراقه مظلمة، أخفت أشعة شمسها الغيوم التي تغطي وجهها، ثم أمطرت عينيها دموعًا بلا توقف .. لم أشعر بنفسي وأنا أصدر أصوات "بسبسة" لألفت انتباهها، تنظر نحوي

وهي تحاول أن تخفف وجنتها المبللة بدموعها فأشارت بيدي إشارة تعني انتظري أسرعت إلى مخدعي لأخذ شريطتها التي نامت بأحضاني، وأشاحت إليها فقطبت جبينها دلالة على الاستغراب، أصدرت بوجهي ويدي إشارات تعني هيا انزلي سأقابلك بالأسفل، سألتني هل أنت مجنون؟ أومأت برأسي: أي نعم، هيا.

بالفعل وقفت لأصلي الركعتين قبل أن أنسى احساسي بالوقت أو أفقد وضوئي، هبطت الدرج بسرعة أكبر من المرة السابقة .. وجدتها لازالت بالشرفة، توسلت بيدي إليها، استجابت، وهي تؤمن الآن بجنوني..

شيرين

التقط أنفاسي بصعوبة، لأتذكر متى آخر مرة شعرت فيها بتلك الأحاسيس .. تضع يدها على فمي وأنفي .. استسلم لثواني .. اعتقدت أنها تمزح معي .. أبدأ بالاختناق فأحاول نزع يدها لكنها أحكمت يدها وتثاقلت بكل حملها فوق قبضتها، أشعر بجسدي يخدر، ترفع يدها بوجه جامد، بملامح باردة ثم تقول بصوت متهدج هذا هو إحساسي حين لا تكون معي في الفراش كل شيء حولنا يضغط على أنفاسي، يخنقني، يعتصر قلبي، بالطبع أحب الأولاد .. احببتك بالتأكيد .. اتتذكر شرط زواجنا الوحيد؟!

سامية

تنزل سامية وهي ترتجف من البرد، ابيضت شفتيها، احمرت وجنتيها:

- هو إيه ده، أنت مجنون، مش طبيعي على فكرة، جبت الشريطة ديه منين.

- براقبك.

- نعم، ليه خير، بوليس حضرتك.

- ههيه.

- لا مش بوليس بس يومي مرتبط بيك، يبدأ و ينتهي لما أشوفك، فضلت مستنيكي النهارده كتير أوي، وانت مرجعتيش، كنتي فين، فيه حاجة حصلت، حتى لما كنت بتتأخري، كنت بترجعي بسرعة بعد التمارين، أو لما بتخرجي مع والدك وتروحوا سينما، كنتي بترجعوا بعد السينما على طول، بصي هو أنتي مش تمام بقالك أسبوعين، مش بتذاكري كويس، مش بتنامي كويس .. بتحبي جديد ولا أيه؟

لم انتظر ردها واعطيتها الشكولاتة التي تحبها، مبررًا أنني لا اتناول غيرها منذ أن رأيتها تأكلها بعشق، فأصبحت عادة أن اتناولها مع القهوة، وقبل النوم حتى يتسنى لي أن أمتلك عادة أو إحساس مشترك معها.

أنهي كلامي، وأنظر لوجهها منتظرًا الرد .. وجدتها مشدوهة، فاغرة فاها كاشفة عن طواحنها، فأحدقت النظر بها وأومأت برأسي للأمام منتظراً الرد أو حتى التعليق لأعرف عما إذا كان كل هذا مقبولا أم مرفوضا.

فجأة ألقت بنفسها علي صدري، لفت أذرعتها حول رأسي أولا، ثم حول خصري محتضنة أنفاسي بفمها الذى لم يقترب من أنفاس مذكرة، سوى أنفاس أبيها وهي تتشبث به، حين يحاول الهروب منها أو التملص من ايصالها إلى النادي

إن كان مشهد القلوب المتطايرة التي تحلق حول رأس الشخصيات الكرتونية له إيحاء طبيعي فهذا هو المشهد الحقيقي له أو الشعور الذي يجعل أحدنا بإمكانه الانتقال إليه ، ناسياً العالم الحقيقي الذي ننتمي له ، بقوانينه التي تحمل ما لكلمة سخف من معنى ، لا تعرف إن كانت لتقييد الحريات أم لنزعها .. ربما لإمساك البعض وتمكين الآخرين منهم ، فيصبح البعض محكوم من قبل الآخرين الذين رفع عنهم الحرج ، فهم يعرفوا جيداً أن تلك القواعد والقوانين التي وضعت من أجلل منفعتهم وتحقيق ملذاتهم الخاصة

شيرين

قلت لشيرين عابثا :

ايه ... مالك ، انا مش فهمك ، يمكن سرحت ، قولي الكلام تاني .. لو بتتكلمي جد ، لكن لو انت بس بتحاولي انك تزودي إثارتي .. كفاية كده .. انا حاسس اني في مشهد من ايام الف ليلة

نظرت إلي بعينها الخضراء ورفعت حاجبها .. فارتكزت ببصري على عينها التي تحول لونها إلي الأزرق الغامق ثم شردت مجدداً ..

سامية

"أنت إيه ؟" تسألني بعينها الخضراوتين اللتان تشبهان دوامة ساحبة بوسط البحر، ما ان تخط بقدمك أولها، فلن تفلت منها إلا عندما تغرقك .. أكملت كلامها بعيون دامعة تضفي لمعة إضافية على عيونها الكريستالية:" أنت مش بشر .. أنت أكيد ملاك .. من سنتين كنت أجلس برفقة صديقاتي، كلا منهن تسرد في وصف لحبيبها، كيف هو طوله، شكله، صدره، عضلاته، خصره، ذوق لباسه، أما أنا، فقلت لهم، أنا أريده أن يراقبني قبل أن يقابلني، يعرفني قبل أن أعرفه، يحب كل ما أحب، يمارسه بمفرده ليكون معي بروحه، يأخذني بأحضانه وأنا أبكي.

هربت من بين جفونها الدموع وهي تتسائل هل باب السماء كان مفتوحاً في تلك الليلة، أم أنها ممن يتنبئون، ربما يحبها ربها لأنها تحدثه منذ صغرها!

التقطت بيدي تلك الدمعة ثم ضممتها إلي صدري، واحتضنتها، كما لم أحتضن أحدا من قبل .. لكن من يكون قد أحتضنها من بعدي سيظل هو السؤال؟

شيرين

أي نعم إنها الليلة الواحدة بعد الألف .. أي منتهي المتعة لكن نهاية القصة. قفز ليقف على الأرض، ارتدى القطعة السفلية من ملابسه الداخلية بحث عن علبه سجائره التي يحتفظ بها للأوقات الحرجة، لم يجد القداحة فهم ليذهب إلى المطبخ حتى يشعل سيجارته العشرين .. فقد نفذت علبته التمهيدية .. هذه العلبة التي فتحها منذ 10 سنوات.

شهاب و سامية

شهاب: ها قولي كنت بتعيطي كل ده ليه؟

مسحت دموعها وهي تبتسم: مش مهم أي حاجة دلوقت، المهم إني لاقيتك، أنا حلمت بكل ده كتير قبل كده، بس كنت بحلم وأنا صاحية، وأنا بعيط وأنا لوحدي ..

تحسست بأناملها وجهي وهي تحاول أن تتأكد أنني حقيقي، وأنها لا تحلم هذه المرة، فكم تخيلت لحبيبها أشكال عدة وشخصيات عديدة، دائما ما كانت تراه وهو يمسح دموعها ويبكيها إلى حد الموت .. لا تعرف بعد أن كانت وجدت ذلك الحبيب قدرا أم استجابة لأمنيات قلبية في صلوات خلوية .. مؤمنة هي أن الدعاء فقط قد يغير قدره ليصبح ما كتبه الخالق لها ..

أخذت يدي ومسحت بها على وجهي وشعري، تشممت عرقي حين لامست يدي أنفها فلثمتها بفمها قبلة تعرفت فيها إلى جسدي .. أحمرت وجنتها بعد أن اقتربت أنفاسي من وجهها.

ابتعدت عني كمعدن يبتعد عن حجر المغناطيس لتسالني وعد ليس بيدي ولا بيدها "أوعدني إنك مش تبعد عني مهما حصل، وهفضل عايشة جواك، وأن الموت مش هيفرقنا"

فأكدت لها الوعد وما كان بأمري إلا أن أقول "أوعدك"، وعلى سبيل رد الفعل غير المتوقع قالت لي مهرولة "لازم أمشي .. هشوفك تاني .. أكيد".

شهاب و شيرين

دخنت السيجارة عن آخرها، لكنني لازالت غاضب، أريد أن أكسر أي شيء وإن كان ذلك الشيء هو جسدها .. ظللت أضغط على طواحني، أفرك أنفي بيدي في حركة عصبية، تهدئني قليلا، ربما تشتت انتباهي، لازمة الجأ إليها عندما أريد أن أشتت تفكيري عن فكرة سوداوية ابتلعت ريقي .. نظرت لها والشرر يتناثر من عيني .. قفزت من مكانها .. اتجهت لحقيبتها، أخرجت علبة سجائر من النوع الذي أدخنه قائلة: شعرت أنك قد تحتاجها، فقد تفقدت علبة سجائرك، ولم أجد سوى سيجارة واحدة، فابتعتها لك، في حال احتجتها تجدها، اختطفتها من يدها، كي لا ألمس أطراف أناملها .. لكن دون جدوى فقد لامستها رغما عني، فأغمضت عيني محاولا ألا أبكي.

شهاب: أنت ليه بتعملي كده؟ مجنونة، لا طول عمرك عاقلة إيه اللي حصل؟

شيرين: أنا هقولك .. بس لازم تمسك أعصابك وتسمع كويس من غير ما تقطع كلامي .. اسمعني للآخر، بعدين نتناقش.

هز رأسه دليل على موافقته، وبدأت هي في السرد الطويل، ستخبره بما سيغير حياته للأبد أو قد ينهيها.

لم يعد عقلي يدرك وجوده أو يهتم لسماع كلامها، كل ما كان يخبرني به عقلي إننا لا نعرف قط متى ستنتهي اللحظات التي تتوقف عليها حياتنا لحظات طويلة .. مع ذلك لا نريدها أن تنتهي .. فسينتهي كل ما اعتدنا عليه، كل ما نعرفه، كل ما يسعدنا، سنفقد كل ركائز

الأمان فور انتهائها. جزء كبير من إدراكنا يتعطل بسبب انشغالنا بأحوالنا بعد ذلك، كيف سنمسي وكيف ستصبح أيامنا. نسلح أنفاسنا بكل وسائل الدفاع، نراجع حسابتنا، أخطائنا، ومعاصينا، انتهاكنا لعهودنا، تخلينا عن أحلامنا، فقدنا أنفسنا في رحلة إرضاء الطرف الآخر .. ذلك الطرف الذى يمثل أمامنا الآن وبحوذته "سيف مسرور" الذي سيقتلع قلوبنا من صدورنا دون أدنى رحمة أو مبالاة.

تطرقع أصابعها أمام عيني لتجذب انتباهه، قائلة:

إيه .. أنت مش معايا .. شهاب .. خليك معايا .. صدقني اللحظات ديه صعبة أوى عليا، خليها تمر بسرعة .. اسمعني، يتذكر حين قالت له أول مرة " اسمع عايزة أقولك حاجة " اقتربت منه لتهمس في أذنه "بحبك، بحب كل حاجة فيك، عايزة أكون معاك"

يضع رأسه على يده المستندة على رجله .. يمسح بيده أنفه وفمه.

رد عليها: معاكي أتفضلي، كلي آذان صاغية:

فأكملت سردها:

تقابلنا في فرح إحدى صديقاتي التي عقدت قرانها على صديق مقرب لصديقك كنت ملفت للأنظار .. لطالما كنت كذلك .. همست في أذني سيدة تقف بجواري "أنتي مش متجاوزة ليه .. ده الشباب أحلوت أوى الأيام ديه .. ليت الشباب يعود يوما"

بدأت أنت بالرقص .. فدفعتني لأجد نفسي أمامك، اندهشت من جرأتي .. ابتسمت لك، هززت أكتافي غير مبالية، بدأت بالتمايل على أنغام الأغنية التى لازالت تدوى في أذني إلى الآن، كل مرة أسمعها .. أراك أمامي بنفس الطلة الساحرة .. وإن كنت قد فقدت الكثير منها الآن.

انتهت الرقصة ومشيت لكني دون قصد أخذت عقلك معي ثم اتيت إلى حين بدأ العروسان بالرقص slow لتسألني عما إذا كنت مرتبطة .. حينها فكرت طويلًا لأجد الإجابة المناسبة ثم أخبرتك .. مش عارفة .. ضحكت كثيرًا، طلبت رقم هاتفي المحمول .. أعطيتك كارت التعريف الخاص بي، فنظرت به، ثم قلت لي "دكتورة شيرين، أهلًا وسهلًا" أنا شهاب الدين المحامي.

شهاب: تعرفي إنك شبه شيرين مرات عمرو دياب

شيرين: لا .. ما أخدتش بالي .. أكيد أنا أحلى، إبتسمت حينها وأنت تخبرني

شهاب: أكيد .. لأن أنا ستار أكتر من عمرو دياب .. هكلمك .. استنيني".

انتظرتك .. لم تتصل .. في يوم اتصلت بالعيادة حالة طارئة .. نزيف بالأنف ويحتاج لعملية كي أو حشو فتيل، اضطررت أن أتواجد رغم من إنه يوم الراحة وإذا بالمريض هو أنت .. ممسك بباقة ورد، و بابتسامة عريضة قدمتها لي .. اسكتتني الدهشة عن الكلام قبل أن أنطق ببنت شفه .. أخبرتني بأن المريض أصبح بحالة جيدة ولأنه يوم عطلة فقد حجزت لنا الغداء بمطعمك المفضل

لازال ذلك اليوم من أيام السعادة في حياتي، المطعم الفاره، الطعام المتنوع ضوء الشموع، لم يكن معنا أحد في صالة الطعام ثم رقصت على تلك الأغنية التي رقصنا عليها بالفرح وبالرغم من إنها لا تصلح لتكون الخلفية برقصة هادئة، إلا أنني لم أعترض .. في آخر الرقصة همست في أذني "ممكن تكوني أم عيالي، أنا عايز أتجوزك".

ابتعدت عنك، فجذبتني من ذراعي لتضمني إلى صدرك بقوة قائلا "متخفيش مش هتندمي .. أنا هكون زى ما انت بتحلمي، مش هزعلك

أبدًا بس عشان أكون صريح معاكي أكتر؛ فيه حاجة واحدة .. لأ، حاجتين لازم تعرفيهم، أولهم إني مش هقول تفاصيل حياتي قبلك، وعشان نكون متساويين مس هسالك عن حياتك قبل ما اشوفك.

تاني حاجة : أنا هحبك بالطريقة اللي أنتي عايزاها ، بس فيه بنت وهي دلوقتي في حياتها ممكن تكون متجوزة أو مطلقة أو أرملة أو حتى ست مش كويسة .. حبتها فى يوم من الأيام ووعدت نفسي أنني هتجوزها مهما فرقت بينا المسافات والاقدار .. لو لاقيتها في أي وقت هتجوزها، واوعدك ان لو ده حصل مش هقصر معاك في اى حاجة.

ابتلعت ريقها وهي تكمل كلامها بنظرة فارغة

"لم أعتاد أن أخسر رهان" هكذا قلت وأنت تقف أمامي محملق النظر بعيني لتستقبل أي رد فعل سيصدر مني، اعترتني الدهشة حتى انفرج ثغري، فأخبرتني وأنت تبتسم، "هحب الدهشة دى أوى، بس بعد الجواز، عشان أعرف أتعامل معها عشان اعرف اتعامل معها بالطريقة المناسبة".

فهززت رأسي نافية لكل شيء، سألتك: زواج، هل هذا زواج مشروط، هل هذا حلال يا سيادة المحامي؟

أجبتني" انا مقدرش اعمل حاجة حرام او حتى فيها شبهة حرمانية، بس بكرة ده في علم الغيب، وكلامي ده عشان اخلص ذمتي قدام ربنا وابقي معاكي على مياه بيضا، ومفيش حاجة تعكر صفونا بعد كده، وممكن يكون ده عيبي الوحيد، وقصاد العيب ده هتلاقي مميزات كتير، تتمناها اي بنت.

ثم تركتك فجأة، أخذت حقيبتي ورحلت، لم تجر خلفي أو حتى تستعطفني لكي أعيد النظر، "ما هذه الثقة، أو ربما الغرور .. من

أنت؟" كرست كل من أعرف ممن لديهم سلطة أو معارف في مناصب رفيعة المستوى لكي أعرف عنك كل شيء.

وجدتك وريث وحيد لأب ثري .. ولدت بفمك تلك الملعقة الذهبية .. أطوارك، أحداثك، لم تنم على أنك ولد مدلل .. دخلت كلية عامة الشعب ذي المستوى العلمي الضعيف، لتعمل بمكتب أحد المحامين الكبار في الدولة والذي أعتاد أن يتقاضى راتب من والدك في يوم من الأيام.

وبدأت فى تأسيس مكتبك الخاص .. يقال عنك زير نساء .. لكن النساء يعشقن التواجد بجوارك، معهن كل الحق، فلديك القدرة أن تشعر أي سيدة بجوارك أنها سيدة الكون .. لم يقل أي منهن إنك مختل عقليًا لكنهم يشتكون من ذكائك الحاد .. كل هذا جعل ردى على طلبك إما الموافقة أو اعتماد شهادة العته و الجنون.

وصلتني دعوة لحضور عقد قران بين عائلتين من عليه القوم والذي يذاع صيتهم وتلاحقهم وسائل الأعلام أكثر مما تلاحق أصحاب السلطة والمناصب أمسكت بالدعوة، شممت بها عطرك، فعرفت أنها منك .. بالطبع ذهبت لأراك هناك، متألق كالنجوم، تلمع حبات الندى على جبينك كنجمة توضع على رؤوس الصفوة .. استقبلتني كأميرة، كضيفة شرف، رحب بي كل من بالمكان بالرغم من أنهم لا يعرفونني لشخصي .. لكن ها أنا ذا بجوارك أشهر من نار على علم .. فوجدت اسمي يدوي بالليزر على الشاشات دعوة للرقص مع شهاب.

سامية

في صباح اليوم التالي كالعادة انتظر بالشرفة حتى تظهر سامية لتستقل حافلة المدرسة، ها هي تشرق، خصلاتها تتطاير كاشفة شمس الصباح تبرق و تسطع بالأعين دون أن تؤذيها، نبحث نحن عن الشمس

أو نختبئ منها، دائما تأخذ هي دور البطولة المطلقة، مثلها مثل نجمات السينما، لا تبحث عن أحد، لكن تتبعها الأنظار، لم تكلف نفسها عناء البحث عني أو النظر صوب منزلي، شعرت بالإحباط يتسرب إلى روحي، يؤلم قلبي، أصدرت أصوات كأصوات العصافير، لم تبالِ، أكملت بطريقها، صعدت على متن الحافلة، لتسمع كلمات الترحيب والحفاوة من صديقاتها يتخللها نظرات إعجاب متحسرة من قبل زملائها الذكور، لكن لم يعلن أحدهم عما بصدره، لم يتجرأ أحدهم على أن ينطق ببنت شفاه ظللت أراقب الموقف بنظارتي المكبرة حتى وصل للحافلة طالب آخر ثم انطلقت كطير يخطف سمكة فيخرجها من المياه ويسرع في الابتعاد عن سطحها حتى لا يعجب بانعكاسه على سطحها لماذا لم أكن بنفسي المجرى المائي .. لماذا لم يخلقني الله معها بنفس العمر، ماذا كان سيحدث إن أراح صدري وجعلني أقرب إليها لأسعد قلبي وأريح أساريري!

هكذا هي الحياة شقاء، عذاب، كبد، يجب ألا نرتاح فيها حتى لا نؤثرها على الحياة الآخرة، يجب أن نظل فيها تعساء، وإن سعدنا، يأتي ما ينقص تلك السعادة حتى لا ننسى الهدف من وراءها .. إنها فقط مرحلة مؤقتة تفصل بيننا وبين حياةأبدية ، منزلتنا فيها حصيلة إختبار نتيجته ليست فورية.

وهل هذا لصالحنا أم ضدنا، ماذا لو كانت نتيجته فورية كأي امتحان دنيوي أخر، أدرس المنهج، باجتهاد أو بإهمال، بكد أو بلعب، بحب أو باضطرارية ثم أدخل الامتحان فأنجح أو أرسب.

وقد أنجح وأنا لم أذاكر سوى ثلث المنهج، لكن الأسئلة تضمنت معظم ذلك الثلث، وقد أكد فى الاستذكار ثم تأتيني وعكة صحية تفقدني تركيزي أو تمنعني من الذهاب إلى اللجنة من الأساس، فأرسب

ماذا لو أجلت نتيجة امتحانات الدنيا فمثلي مثل كل البشر نتسلم كتاب الأحياء عند الولادة، تقرأ لنا أمنا منه مقتطفات في المهد، ثم نتعلم مع الوقت شيء فشيء بأنفسنا، يسحب الكتاب عند سن البلوغ، وتبدأ الاختبارات يوميًا، شهريًا، و قد نصاب بداء، كتب دواءه في الكتاب لكن لم نهتم بقراءته جيدًا، فيلازمني هذا الداء، يظل ينخر بجسدي، ويلتهم قواي إلى أن أهلك تمامًا.

قد أتمكن من سؤال من أجاد قراءة الكتاب، فيفيدني بالدواء .. تذكرت فهذا كتاب سري، لا يخضع لقوانين التداول وإن كان شفهيًا .. سأبحث في مذكراتي فقد كتبت بها بعض الملاحظات حول المعلومات الهامة التي تعرضت لها، لم تندرج معلومات ذلك الكتاب لقوانين علم الجبر الأرضية، فلكي تُكتب تظل بالورق على أن احفظها بقلبي أولًا .. أقطع تفكيري بضحكات منفجرة .. فبمجرد أن نصبت نفسي إلهًا في سر خيالي لم أتاونى لأضع العقبات والعقابات .. يا الله يا رحمن يا رحيم.

كتابك بيننا، نزهده ونهجره، نخالف قوانينك، نؤذي مخلوقاتك، نطمع فيك، نبخل عليك، نسرق من وقتك ولا تعاقبنا، قد نظل طول وقت الاستذكار والاختبار نلهو ونلعب، نغني ونمرح، ثم نقول جملة قبل ترك اللجنة فتنجينا بها، نبدو كالقتلة، كالسارقين، كالكاذبين، كالبغاة .. لكنك تعلم ما في سرنا ولا يعلمه سوانا وإياك، فترحمنا بسرنا وتتغاضى عن ظاهرنا قريب منا شئنا أم أبينا، نختار نحن أن نبعد بمحض إرادتنا فتظل قريبا رغم ذلك، نتعامل معك بمبدأ النفعية و المصلحة البحتة، لا نهرع للقائك إلا عندما تقضي المصلحة بذلك، فتهرع وتلبي لنا، وإنك عالم الغيب تعلم حقيقة مشاعرنا ولا تبالي، تعلم أننا سننصرف فور انصراف الضرر، أو انقضاء المصلحة ولا تبالي.

تزرقنا، اعترفنا بأنك رازقنا أم لا، ترعانا، اعترفنا بأنك خالقنا وراعينا أم لا .. ماهذا كيف نطيق أنفسنا، كيف نتأملها بمرآة، كيف نتعجب من جمالها والقبح قد عطن بداخلها. ترزقنا الجمال رغم كل ذلك، تعطينا من قدسك، وروحك فتمكن بداخلنا جنبًا إلى جنب مع دناستنا .. فنجتهد بردم ذلك النور بالتراب حتى لا يذكرنا بوضاعتنا.

شيرين

اسرعت إلى المسجد وتفانيت في الصلاة الفرض والسنة، ثم صليت ركعتين حاجة وسألت الله أن يهبني ذلك الملاك البشري وقطعت على نفسي عهدًا، أني لن أمارس أي ذنب أو معصية طالما هي معي.

بعد أن أنهيت الصلاة وجدت رجلًا كهلًا يجلس خلفي، يتفحصني جيدًا، أطال بي النظر، ثم قطعت صمته فاقتربت منه قائلًا "إزيك ياشيخنا"، فهز رأسه دون أن ينطق.

وضعت يدي على كتفه: بقولك، إدعيلي، شكل دعائك مستجاب.

فأجاب الشيخ باقتضاب: ربنا يديك الخير.

شهاب: طيب أفرض اللي أنا عايزه مش خير أو معرفش خير نص نص، بس هيبسطني، بص بلاش الخير ديه، قول ربنا يديك اللي أنت عايزه أحسن.

قام الشيخ ليرحل: "الله كريم"

أتصل بي صديقي الوحيد "خالد"، إيه يا كبير فيه مصلحة، دايس تنحنحت قائلا: لا

خالد: نعم، أنت رجعت للجامع تاني.

نظرت في الأرجاء بريبة، لم أستطع أن أرجع عيني لأعلى.

خالد: خير، إيه اللي جد.

شهاب: هخلص واكلمك.

خالد: لا يا معلم، أنا جيلك، أنت في جامع إيه، اللي عند البيت القديم .. أكيد يعني وأنت هتروح فين.

ثم أتت تلك الذاكرة لتصطدم بأم راسي، حين رحلت صديقتي وأنا في المرحلة الثانوية، لم استطع متابعة دروسي، وكيف لي ان أدرس؟ بل أردت ألا أتنفس، ألا أعيش، حينها ذهبت إلى الجامع وظللت أترجى الله أن يعيدها إليّ وسأمتنع عن كثير من الخصال السيئة وسألتزم بالصلاة والصوم وكل الأركان، وعندما لم تعد لم أفعل سوى كل ما وعدت أن أنتهي عنه، ولم أفعل سوى ما تعهدت ألا أقربه إذا هي عادت .. تقريبًا كانت آخر مرة ذهبت فيها إلى المسجد أو تحدثت فيها إلى نفسي أو إلى خالقي.

سامية

ترددت كثيرًا، منذ أول مرة رأيت فيها سامية، لم أرد الاهتمام بها، حتى لأدخل هذه الدائرة مرة أخرى، لم ألبث أن التأمت جروحي منذ المرة السابقة، لا أعرف كيف تسللت هكذا لتمتلكني، كنت أعرف أنه فخ، حين أريدها، ستبدأ بلملمة آثارها لتلهم وترحل عني.

لم أتوانى عن السقوط بهوته، فقد أحببتها، أريدها بشدة، سنها يجعلها مرشحة للتعليم أكثر منه للزواج، أو الارتباط، قد أكون أنا الأول في حياتها، الامر الذي يثير إثارتي، لدرجة أني أخشى أن اخسرها أكثر من شغفي للارتباط بها.. انتظرها كي تعود من المدرسة، عادت بصحبة مدرسها، ربما ميعاد المراجعة النهائية، اقتربت امتحانات نصف العام .. انتظر حتى خروج المدرس لا يوجد أحد بالمنزل .. من قال هذا.

صوت خافت برأسي، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إنه نزغ من الشيطان .. لازلت انتظر، يعود "البواب"، يليه الخادمة ثم مديرة المنزل .. لم يكن نزغ من الشيطان أم أن كلهم استجابوا لخطته، أقف بصحبة الانتظار والصوت الخافت الذي يخبرني أنها لازالت معه في غرفتها .. لا أسمح له أن يكمل ليخبرني ماذا يفعلان .. أشتت أفكاره بالتفكير فقط إنهما لا زالا يجلسان على مائدة الطعام في صالة الاستقبال يستذكر لها ما يصعب عليها أن تستوعبه، ها هو يهم ليرحل وهي لا تريد أن تودعه .. فتقبله قبله استثنائية لتقنعه أن يعدل عن رأيه، ويمكث بغرفتها طالما لن يزعجهما أحد وهي تحكم إغلاق الغرفة بالمفتاح لتأخذ فرصتها في ارتداء ملابسها ويختبئ هو بأي مكان آمن .. أصمت أيها الصوت اللعين وإلا لا تصدقني أصعد لغرفتك بإمكانك رؤية نافذة غرفتها .. صحيح.

أسرع لدخول العمارة، المصعد مشغول سيتأخر، سآخذ الدرج، أصعد بهرولة، لا استطيع أن آخذ أنفاسي، أفتح الباب، ينظر إليّ كل من تواجد بصالة الاستقبال، ألقي عليهم بداية للتحية التي أكملها وأنا على عتبة غرفتي، أفتح الشرفة آخذ أنفاسي، الستائر منسدلة على الشرفة، الرؤية محجوبة هاهي تخرج لتقف بمفردها .. ما هذا، إنه بالشارع.

لم استطع ان أراها وهي تودعه، لأعرف من أين خرج .. فإذا كان عبر الباب الرئيسي فيكون وجوده شرعي أم إذا خرج من باب الخدم والباب الخلفي، فإنه تسلل للخارج دون أن يراه أحد، دليل على عدم شرعية هذا الوجود.

لم يكن وجهها سعيد، وليس حزين إنه فقط مهموم، أشعر أنه اكتسب تجاعيد عدة سنوات منذ آخر مرة رأيتها عن قرب.

أصدر أصوات تشبه أصوات العصافير، تنظر باتجاهي .. تبتسم، تلوح بيدها تومئ برأسها لتسألني "كيف حالي" أسألها أن تنزل للأسفل لألقاها تستصعب الأمر، تخبرني أنها ستنام، ربما بالمساء، تدخل لغرفتها تسدل الستائر، بعد أن أشعلت بقلبي النار.. فسيعود الصوت ليؤنس وقتي مرة أخرى.

الصوت

لم البث أن أتركه .. ربما لم أتم ثلاث أعوام، أين كان كل هذه المدة، لماذا لم يلقي بنصائحه علي عندما كنت أعاشر اللائي كن يؤنسن وحدتي ويطيبن جراحي.

لا أذكر متى أول مرة سمعته، هل ولد معي أم إنه خلق لي ليس لديه مهام سوى أن يجلس بداخل أذني ويهمس لي بما ينبغي أن أشعر به، أقوله، أشتاق إليه، لا أنكر أنه أنقذني مرارًا وتكرارًا، حين كان يهمس لي أوقات الخطر أنه علي الفرار، وأخيرا حل المساء، أقف بصحبة الانتظار والصوت الذي يخبرني أنها ستفضل أن نلتقي بعد منتصف الليل أو بحلول الفجر.. ثم طلت كشمس المساء، كانت تبدو في حال أفضل، زالت بعضًا من ملامح الإرهاق التي أحاطت بوجهها عند الظهيرة .. أخبرتني أنها ستنتظرني عند بوابة النادي، قبل الخمس دقائق كنت هناك .. بانتظار أميرتي.

سامية

تلمسني وهي تصافح يدي .. أشعر بأنها تمسك قلبي، تقوم بتدليله ثم تقبله لا أريدها أن تعيده إلى صدري .. ابتسامتها بددت كل الأصوات، فقط ملئت الدنيا من حولي بجو من ربيع الكون، أشعر أني لأول مرة ألاحظ العصافير وهي تغرد، لم تكن الخضرة بهذا الخضار من قبل، ربما كانت هناك ستائر من اللون الرمادي كانت تغطي الكون، وتمزقت فور أن أضاءت ابتسامتها الشمس.

شهاب: إزيك .. هكذا قلت وأنا أتفحص عينها بحثًا عن إجابة لسؤال قلبي الحائر .. أتحبني .. أم أنني مجرد معجب في لائحة طويلة من المعجبين.

سامية: أنا الحمد لله، لما بشوفك بنسى كل حاجة، أنت إيه؟ ملاك؟

لم أتمالك نفسي من الضحك .. اعتذرت عن سوء رد الفعل، بأن آخر ما جال بخاطري من وصف يطلق عليّ، بأن أكون ملاك، اعتقدتها ستقول حرامي .. سرقت قلبها، محتال .. أحاول أن أنصب عليها أتلاعب بها، لكن ملاك .. ربما لازالت هي ملاك لم تتعرض لأمثالي من البشر المتدنيين.

غضبت، حين أخبرتها بذلك، و أصرت على رأيها، أن تراني ملاك أو طفل برئ .. يجذب الآخرين بسحره، فيقبلوه ثم يرحلوا لكنها تريد من هذه القبلة ألا تنتهي .. أوشكت أن أفقد وعي، لا أدعي التمثيل، أندفع الدم بعروقي بشدة، دارت الأرض من حولي، لم يتحرك معها سوى عيني، ورد فعل طبيعي أن يختل توازن جسدي.

غضبت من ردة فعلي رغم اعتذاري، فلم أجد ترضية مناسبة سوى أن أقبل يدها لا أعرف ماذا أصابها لكن أغمضت عيناها لبرهة ثم قطبت حاجبيها، أملست على شعري وهي تخبرني ألا أفعل ذلك أمام العامة مرة أخرى، لأن ذلك يزيد من توترها وقلقها .. ذكرني ذلك بمعلمها الذى جاء وغادر اليوم، فتحايلت على أفكاري، وتفحصت أحوالها الدراسية، ردت باقتضاب بأن كل شيء على ما يرام لكنها ضعيفة بقواعد اللغة العربية ومعلمها يحاول أن يرفع مستواها لمستوى زملائها، لكنها تستقبل الأمر بصعوبة، فهناك شيء يحدث عندما يبدأ هو بالشرح، قد يكون انسداد بالأذن، شرود قوي يحجب عقلها عن ما يحدث حولها ولا تعود إلى الواقع إلا عندما ينهي الدرس أو يتوقف عن الكلام

فباغتها بسؤال هل تحبينه؟ توقعت أن تصفعني على وجهي أو تغضب لكنها كانت تفكر، ما معنى ذلك هل تحبه فعلًا، وتخشى أن تخبرني قد يكون بينهم علاقة غير شرعية، يستغلها، و يغرر ببراءتها.

هربت من بركان أسئلة الشك بهذا السؤال: ماذا كان يفعل اليوم بالمنزل ولم يكن أحدًا من الخدم بالمنزل؟ لم يغضبها سؤالي الذي يتهم شرفها، إنما قالت بسرعة الصادقين، إنها وصلت للمنزل باكرًا لأنها لم تنتظر حافلة المدرسة، وحين وصلت، اتصلت بوالدها الذي طلب منها أن تحضر للمدرس مشروب بارد إلى أن يصل أحد بالمنزل وبالفعل وصلت الخادمة قبل أن تتمكن هي من عمل كوب العصير.

سامية: أنت عندك موبيل؟

شهاب: آه

سامية: طيب هات رقمك، عشان لو عايز تطمن عليا، بس مترنش كتير عشان بابا ميسحبش مني الموبيل، وممكن بالليل نتكلم على الأرضي.

مبادرة التواصل، أرضت غروري، وصدت شكوكي بل كممتها ومنعتها من الصياح برأسي لبعض من الوقت.

إنما لم تكن الأصوات لتصمت لتخبرني: "شكلك مش أول واحد، طلبت منك قبل ما أنت تطلب، المفروض إنها تتكسف". لكنها أسكنت الأصوات، حين طلبت مني مغادرة النادي، لأن والدها أوشك أن يصل ليقلها إلى المنزل، تثاقلت حركتي بالمغادرة وبدأت أخترع أشياء:

شهاب: مش هتعرفيني على أصحابك.

سامية: لا، مش المرة ديه، أو مش هعرفك عليهم خالص، أنت عايز تعرف بنات ولا أيه.

شهاب: ديه، غيرة.

سامية: لأ طبعًا، ده تحكم.

غادرت بعد أن قبلت يدها وكان رد فعلها كالمرة السابقة تمامًا.

شيرين

قامت شيرين بعدة محاولات بائسة، حتى تستعيدني في الواقع بجوارها، ثم منتفضة وهي تقول:

شيرين: شهاب أنت فين؟ أنت كويس ، أنت مش معايا ، تعالى معايا ، أحضرلك حاجة تكلها، ونكمل كلامنا.

ذهبت وراءها، كطفل يمسك بذيل فستان أمه، حتى يشعر بالأمان لكنني كنت شاردًا فى سعاد.

سعاد

كنت أتجول في الطرقات الكاحلة بظلام الليل الدامس، لا ينيرها سوى إضاءة القداحة و السجائر التي تتوهج ثم ينخفض توهجها تباعا، أنظر إلي أبراج القلعة وأتفقد أسوارها العالية، تقنية البناء، إضاءة مسجد محمد علي تجعل المكان أشبه بلوحة جدارية لا ينقصها سوى الخلفية المناسبة. أتذكر أول زيارة للمكان في رحلة مدرسية، قص المدرس علينا انتصارات صلاح الدين الأيوبي وأفكاره حول تأمين البلاد، وكيف أختار موقع القلعة الذي يشرف عليها ويحصن القاهرة والفسطاط معًا، أكثر ما جذب انتباهي إنه أختار المكان لأنه أخذ ثلاث قطع من اللحم ووضعهم بثلاث أماكن مختلفة مرشحين لبناء القلعة، فوجد أن قطعة اللحمة في ذلك المكان تبقى أكبر وقت ممكن طازجة دون أن تتعفن.

في ذلك اليوم قابلت أحد الحراس الذي طلبت منه أن يلتقط لي الصور بمفردي، لم أكن أحب أن أظهر بجوار أحد لا اعرفه أو لا أحبه في صورة ستبقى معي و ستخلد بذاكرتي، ثم أقترح الحارس أن يريني إحدى الحجرات الموجودة في الأسوار، لأنها غرفته المفضلة بمقابل بضع جنيهات، لم أبالي، فقد عرضت عليه مثلهم من أجل التقاط الصور في أماكن مختلفة، ومنذ ذلك الحين وقعت في غرام الحجرة والتقطت بها بضعة صور، كل لقطة في زمن مختلف.

شيرين

أدخل ورائها إلى المطبخ، تعرف تمامًا ماذا أحب أن آكل وأنا أمر بأزمة، فصنعت لي وجبة أجنحة الفراخ الحارة مع الصوص البرازيلي الحار، لازالت رائحتها كأول مرة تذوقتها

سعاد

بخطوات سريعة تهبط سعاد على طريق القلعة الهابط كفرس جامح، كسر سياج إسطبله قبل أن يرحل، فخلعت حذائها حتى لا يعيقها عن الهروب، تنظر خلفها لتتأكد أنه لا أحد يتبعها، يرن هاتفها المحمول، تفتح حقيبتها لتخرجه فتسقط منه بعض متعلقاتها، أتخفى فى ثنايا الجدران حتى لا تراني، تذهب بعيدًا، أتفحص ما فقدته إنه إيصال استلام جواز سفر، وعنوان لمكان ما .. أسرع خلفها لعلي ألحق بها، ها هي تقف على الطريق تنتظر سيارة أجرة لتقلها.

الصوت: كيف تتكبد كل هذا العناء ثم تجازف باستقلالها سيارة أجرة بنهاية المطاف؟

سيارة ملاكي تقف أمامها، تبتسم، يفتح باب السيارة من الداخل فتركب وهي سعيدة .. ابتسامتها ساحرة، ليست فقط ابتسامتها، جبهتها

الصغيرة التي يغطي منبت شعرها معظمها، تسريحة شعرها تليق بها كما تليق بكل السيدات رفيعات المستوى.

حليها، ذلك الحلي الخفيف باهظ الثمن، معنى ذلك إنها تقدر الأشياء بقيمتها الظاهرية فما يوجد بداخلي، أعظم كثيرًا، مما يبدو على مظهري

الصوت: قد تكون متزوجة، تخون زوجها وستهرب بجواز السفر مع عشيقها.

أرد عليه: أريد أن أعرف متى تستيقظ، هل تشم رائحة النساء، فتأتي لتفسد لحظاتي.

الصوت: لا، بل أشم رائحة سقوطك في بئر ليس له قرار، فآتي لأنقذك، الأحرى بك أن تكافئني، ولا تتذمر من وجودي.

وجدتني أستمع لكلامه، بدا لي مقنعًا، جدير بالاستماع، وقد أناقشه واستمتع بالسجال بيننا، لكن عليه أن يتركني حتى أركز مع هذه الوردة البرية، التي لا علاقة لها بالقلعة لكنها اخترقت أسوارها وهربت منها، لكنها نجحت في المرة الأولى فقط، ولن تبرحها مجددًا إلا بإرادتي.

عزمت على البحث، أجريت اتصالاتي، نعم أصبح لدي اتصالات وعلاقات، بتُ شخصًا مهم، غير معتمد على أحد سوى على حالي، بالرغم من هبوط ثروة إرث عائلي على والدي، وتبدل حاله و انتماءاته، اختلفت نظرة الآخرين لنا.

ارتقت درجتنا الاجتماعية، أصبحنا من أصحاب السطوة والنفوذ، لكن ذهبت وحدي بطريقي، حفرت بمفردي في صخر مقلعي، استخرجت منه الأحجار الثمينة، وصنعت ما هو رخيص من أتربته،

فأصبحت ذو مركز مهم في مصرف بنكي، بجانب عدة مشاريع صغيرة والعديد من الأسهم المتناثرة في مختلف البورصات العالمية والمحلية.

عرفت كل ما أحتاجه، حتى جدول مواعيدها الأسبوع القادم أصبح معي، فقط علي أن أختار أي الأماكن أفضله لتراني به، و بأي هيئة سأطل عليها، على أن أنتقي كل المواضيع والمعلومات التى سأستعرض بها أمامها، بالطبع ستنبهر مع أقل مجهود أو حتى بدون أن أجهد حالي، لكني سأبذل قصارى جهدي، حتى لا يكون مجال للخطأ، ولا طريق للرجعة. ففي الصباح هي بالجريدة، سأذهب لأضع إعلانًا بجريدتهم بالصفحة الأولى .. مبلغ طائل، سألفت إنتباهها، ثم اتراجع عن الصفقة فتضطر أن تقابلني لتقنعني ألا أعدل عن التعاقد معهم، سأقبل ذلك ثم أبدي إعجابي بها.

ذهبت للجريدة، لم تعرني اهتمام، لم تنظر لعيني، لم يأخذ أنفاسها عطري، ربما كان الرقم صغير لم يصل إلى ستة أصفار .. لم تلتفت لاسمي، اعتدت أن يلتفت الآخرين لاسمي أو لاسم أبي، لكنها لا تبالي، ربما تعاني من ضيق، أو لديها مشاكل مع رجال أعمال.

في المساء تذهب للصالة الرياضية .. ستجدني هناك، أتصبب عرقا، العرق يجعلني أبدو مثير، لن تقاوم إغراء صدري المفتول أو عضلات ذراعي

ها هي بجواري على جهاز المشي الكهربائي المجاور، لم ترني، فقط تجري، كأنها تعدو هاربة من أسوار القلعة مجددا .. رأسها مشوش، أفكارها تتصارع، أكاد أسمع أصواتها من على بعد.

علي أن استفز قلب الأم بداخلها .. وإن لم تكن أم، لا زال بصدرها ذلك الساحر، الآسر، الذي لا أقاوم أن أرمى بنفسي في أمواجه، فقط

كل ما احتاجه هو أن تستقر رأسي عليه ردحا من الزمان، برهة لن تكفيني.

الصوت

الصوت: من حرم مرة، لن يشبع بالمرة، وإن أخذت كل صدور نساء العالم، تناسى يا صديقي، لن تشعر بذلك الإحساس مرة أخرى، ذلك الشعور الذي تنام فقط لتحلم به، الاحتواء، الأمان، الحنين، الشوق الذي لا ينطفئ، السكينة، عدم الحاجة للدنيا وما فيها، إنه شعور قد تشعره مرة بالعمر أو مع شخص واحد .. إذا خذلك ذلك الشخص، أو ابتعد، لن تستعيد الشعور مجددا، سيصبح ليدك نهم، كلما تحصل على جزء منه تجوع أكثر.

أشعر بضربات قلبي تكاد تخترق صدري، أصرخ بالصوت "اسكت" يسحبني سير الجهاز بقوة للخلف أرتطم بشيء حديدي، ربما إحدى الأجهزة الأخرى ثم أسقط يغشى علي

لا أعرف ماذا حدث أو كم من الوقت ظللت غائبا عن الوعي إنما فقط استيقظت من حلم، إنها كانت تضمني على صدرها تحاول أن تجعلني استعيد وعيي، أشم عطرها النافذ إلى روحي، فتحت عيني لبرهة، فاخترقت نظرتها قلبي، فأغشى علي مرة أخرى .. استيقظ من ذلك الحلم بعيد المنال لأجد ما حولي من ورود وأزهار وها هي كالفراشة تنتقل بينهم.

أين ذلك الصوت؟ ربما يختفي حين تحضر الملائكة.

سعاد

أيها الصوت ألن تعطيني إرشادات .. يسبقني صوتي المتحشرج في حلقي، فتلتفت إلي: إيه ده صحيت؟ حمد لله على سلامتك، حاسس

بإيه، رأسك وجعاك، خوفتني، كنت هتلبسني مصيبة، أنا مبحبش اشوف ناس ميتة وكمان في الجيم بتاعي، كنت عمري ما هدخله تاني.

سريعة الكلام .. لا تعطيني مساحة من الوقت لأرد، أنظر لها وهي تتحدث، لا أعرف هل هذه أسئلة حقيقية تنتظر منها إجابة أم أنها فقط أسئلة خبرية، لاستهلاك الوقت والتعبير عن عواطفها المكنونة، وشحنتها الزائدة حين تعرضت لحادث بجوارها .. ابتسمت وهي لا زالت مستمرة فى الحديث.

فجأة صمتت: أنا آسفة، بتكلم كتير، بس لما بتوتر يبقى كده.

شهاب: أنا، آسف، مقصدتش أفزعك هو حضرتك صاحبة الجيم.

سعاد: آه، أنا أول مرة أشوفك، هي ديه أول مرة ليك؟ أنت كنت بتتخانق مع مين؟ وبتقوله أسكت؟

شهاب: أسكت، أتخانق، مش فاكر.

سعاد: طيب، المهم أرتاح شوية، وخلى بالك من نفسك، محتاج أي حاجة، تحب أتصلك بأي حد، حاولت أفتح موبيلك معرفتش.

شهاب: لا، خلاص، أنا كويس، كفاية إني شايفك، أهم حاجة إنت كويسة؟

سعاد: أنا، مش عارفة، المهم أنت.

شهاب: طيب، ياستي أنا كويس، مش عايز أعطلك، شوفي وراكي إيه وهطلب بس رقم تليفونك عشان أشكرك.

سعاد: لا، عشان لو احتجت حاجة، أنا فعلاً عندى حاجة مهمة دلوقت، مش هتتصل بحد من أهلك.

شهاب: عندك إيه؟ - سألتها بكل فجاجة وفظاظة - وكأنها ضمن أفراد عائلتي أو بيننا ما يجعلها تجاوبني، مع ذلك، أجابت بكل تلقائية، بأنها ستذهب لتحضر ابنها من المدرسة.

بالطبع لم أتفاجأ فقد كنت أعرف منذ ليلة أمس: إنها الآن بداخل قلعتي فلا يهم إن كانت بصحبة أبنها أو أي أحد آخر

قلت لها بصوت صادق: خدي بالك على نفسك.

سعاد: أنا، أنت خد بالك على نفسك، هتصل، أطمن عليك.

شهاب: لا، سجلي رقمي، أنا مش هقعد في المستشفى.

سعاد: لما الدكتور يقول، لو سمحت، أنا مش عايزة أقلق عليك، أنا اللي عندي كفاية.

شهاب: حاضر، متقلقيش، خدي بس بالك من نفسك وسلمي على "حبيب".

سعاد: مين، أنت عرفت أسمه منين؟

شهاب: أأأ، أنتي قولتي من شوية، مش حبيب بردو.

سعاد وقد خبطت على رأسها: آه آه "حبيب".

نطقتها بكل ما للكلمة من معنى؟ مضاف إليه حب من نوع آخر، فلم يكن ابنها فقط، إنما كان سندها، ابنها، صديقها وحبيبها .. بالطبع هذا ما فهمته لاحقا.

رحلت، وكان هناك ما يدفعني توسلها لتصطحبني معها، لا أريد أن أتركها، أو أن تتخلى عني، فقط أريد تمضية الوقت وأنا استمع لصوتها بالرغم من كلامها الكثير الذي يتميز بالسرعة إلا أن تأثيره علي يشبه

تأثير صوت هدير الماء، كما أن بكائها وضحكها يشبه صوت ارتطام الماء بالصخر

فكرت أنه يتوجب علي السعي لإرضائها والاجتهاد في الدعاء لربي حتى لا يحرمني منها، فيكفى إني حرمت ممن سبقوها، قد أرتاح، وأستقر هذه المرة في أحضانها.

كنت أشعر إني على ما يرام، طلبت الطبيب وسألته أن يسمح لي بالخروج، وافق الطبيب مع تحذيره لي من بذل مجهود، لأنه قد يظهر تأثيرات للضربة التي تعرضت لها رأسي حين اصطدمت بإحدى الماكينات الحديدية بالصالة الرياضية مع إن الفحوصات الأولية لم تظهر شيء .. شكرته وتوجهت إلى المسجد.

قررت أن أغير المسجد الذي اعتدت أن ارتياده، أشعر إنه يصيبني بسوء الحظ، عدت إلى الصالة الرياضية لأستقل سيارتي التي لازالت مصفوفة بجوارها .. وهناك وجدت سعاد تجري مسرعة في اتجاه سيارتها وخلفها زوجها.

الزوج: استني يا سعاد، خلينا نتكلم.

سعاد وبصوت متحشرج ينم عن نفس مكسورة: خلاص، كل اللي بيننا انتهي، ياريت تطلقني في أقرب وقت ممكن، أقولك، خلاص طلقني دلوقت مش عايزة أخد ضدك أي إجراء يشوه سمعتك وسمعة أبني.

الزوج: ركع أمامها وهي لازالت تقف أمام باب سيارتها، قبل يديها قائلا: سعاد أوعديني إنك مش تسبيني وأعدك إنها تكون آخر مرة.

سعاد: إنت نسيت يوم القلعة، إنت فاكر إني مشفتكش؟ أنا هربت قبل ما تشوفني عشان مكنتش عايزة أواجهك لكن هنا وفى الجيم، ده مكان أكل عيش يا بيه مش مكان للهلس.

الزوج: صدقيني أنا تبت، أكيد مقصدتش أعمل كده، معرفش هي طلعت منين، كأن فيه حد مسلطها عليا، حاولت أخدها ونروح أي مكان بعيد صممت، حاصرتني.

انهارت سعاد رفعت رجلها ربما لتركله، لكن شيء ما أجبرها على التراجع، دفعته بعيدا عن باب السيارة وقادت مسرعة بعيدة عن المكان، جلس على الرصيف يبكي ويضرب قلبه بيده وهو ينظر إلى السماء.

انتشت أساريري، فابتسمت وأنا أنظر إلى السماء .. انطلقت بسيارتي في الشوارع بحثا عن مسجد جديد وإذا بصديقي يتصل، لم يحدثني منذ ثلاثة أشهر، لماذا تذكرني الآن؟

إن لم يكن الصوت موجود، فهو يقوم بدوره!!

أجبت على الهاتف: أيوه يا سيدى آمر خير.

خالد: يا حبيبي مالك واخدني وش ليه.

شهاب: خالد، أنت بقالك 3 شهور مكلمتنيش إيه اللي فكرك بيا؟

خالد: أنا كنت مسافر في شغل بره مصر، خلص أول أمبارح فجأة، ولسه راجع أمبارح.

شهاب: لا .. رجعت في الوقت المناسب.

خالد : ليه، أوعى تكون رايح الجامع.

شهاب: ييييه، لا يا عم، عندي شغل، هخلص و اكلمك.

خالد: طيب، أشوفك على السهرة النهاردة الليلة لوز.

شهاب: لا مش هقدر، عندي شغل الصبح بدري.

خالد: طيب، أنا كنت عاوزك في حوار، لما تفضي كلمني؟

شهاب: حوار إيه؟

خالد: مش هتصدق، غير لما تشوف الصورة.

شهاب: طيب خلاص، هخلص وأكلمك.

أنهيت المكالمة، ثم تحدثت مع الصوت: أنت فين ياعم، أنت زعلت عشان، زعقتلك فى الجيم، ما أنت اللي بتنرفزني وبتقل العيار عليا وأنا مش مستحمل.

ضغطت على مكابح السيارة، فجأة فقد وجدت مسجد فخم جدا لم أره من قبل ربما حديث البناء.

خلعت حذائي، وأنا أفكر أنه يتوجب علي أن أشعر بالخشوع والتذلل الآن .. أذهب لأتوضأ، أغسل يدي، فأتذكر آخر مرة أمسكت بكأس من الخمر، أغسل فمي، أرى نفسي وأنا الثم شفاة إحدى فتياتي، استنشق الماء، فأسترجع مزيج من الروائح، رائحة العطور المثيرة، رائحة جسدها، رائحة عرقنا ممتزجة مع رائحة الفراش، أمسح على رأسي، يقشعر بدني حين استرجع إحساس عندما كانت والدتي تملس بيدها على شعري، هاجمني البكاء فجأة، أعجز عن السيطرة على دموعي، تنهار، تنهمر على وجهي، تنزل على صدري بعد أن تبلل قميص، أضع رأسي تحت الصنبور، لعل شريط مشاهد الذكريات يتوقف ويرحمني.

الشيخ

هناك يد تمسك كتفي من الخلف، أنفزع، لكن بصوت رخيم يقول لي: تعالى معايا يا بني، بلاش تعيط فى الحمام.

يشمي معي محتضنني ويساندني حتى وصلنا إلى غرفته، صنع لي كوب شاي وأعطاني عدد من التمرات الطيبة .. شربت وأكلت ثم

سألني ما بالي أبكي هل فقدت أحد من الأعزاء في حياتي .. فضحكت من سؤاله بسخرية، ثم أجابته: إني قد فقدت كل الأعزاء واحد تلو الآخر حتى لم يتبقى لي سوى عمل ليس علي الاجتهاد فيه ليدر على الأموال بجانب ميراث قد يسعى خلفه الكثيرين، لكنه لا يعني لي شيء سوى .. صوت ابتعد عني بعد أن صرخت فيه، وصديق لا يظهر إلا وأنا على أعتاب المسجد!

يقطب الشيخ حاجبيه ويربت على كتفي قائلا: ما شاء الله أنت مواظب على الذهاب للمسجد وملتزم بالصلاة.

شهاب: مش بالظبط، أنا بروح لما بحب أدعي ربنا، دعوة وتستجيب.

الشيخ: كل الدعاء مستجاب يا بني، لكن بطريقة لا نفهمها ولا ترضي بشريتنا.

شهاب: بس كل مرة بدعي فيها ربنا في الجامع يستجيب لي.

الشيخ: ربنا يفتح عليك، بس هو ينفع ندعي ربنا في المناسبات بس؟

شهاب: الحياة سريعة، و مفيش وقت والله، أقولك أنت النهاردة هتدعى معايا، إن ربنا لا يحرمنى منها ويخليها لي.

الشيخ: ربنا يهديك ويديك على قد نيتك.

شهاب: لأ، بلاش نيتي، خليها يديني اللي أنا عاوزه.

الشيخ: مش كل اللي نحتاجه بيفيدنا، ساعات كتير يضرنا.

شهاب: بس مش هرتاح إلا لما أخده، يمكن ربنا يهديني واستقر.

الشيخ: خلاص ربنا يديك اللي أنت عاوزه، بس قولي إيه حكاية الصوت ده.

شهاب: ديه حكاية طويلة، عندك وقت.

نظر الشيخ للساعة، ثم قال كلي آذان صاغية

فقلت في نفسه لازال أمامنا وقت يكفي لأخبره عن ذلك الصوت .. فلم أجد مهرب سوى أن أخبره:

لا أعرف متى بدأت أسمعه، أو بدأ يخاطبني، لكن كل ما أعرفه أنه حين مرضت والدتي وأنا صغير، كنت أجلس بجوارها أبكي، أخشى ألا تفتح عينها مجددا، أو ألا تستطيع أن تضع يدها على قلبي كما اعتادت أن تفعل وهي تخاطبني.

في يوم استيقظت لتجدني أجلس بجوارها أراقب أنفاسها وأتأكد أنها مستمرة، لم تنقطع، كنت صغيرا لكن أعي أهميتها. مسحت دموعي بيدها، وقالت لي أدعي ربنا يخفف عني.

شهاب: أنا صغير، هو ربنا يسمع صوتي.

احتضنتني أمي وهي تبتسم، وأخبرتني أنه هو من خلقنا كلنا ويحبنا أكثر من أي مخلوق، فيحبني أكثر مما تفعل هي، ويحبها أكثر مما أفعل أنا .. شعرت بطمأنينة لكلامها لكن صابتني الحيرة والغيرة، كيف يكون هناك حب أكبر من حبي لها.

الأم: يلا قوم صلي وأرفع أيدك وأدعي بكل حاجة أنت عايزها.

قمت توضأت كما علمتني هي، ووقفت لأصلي ورفعت يدي للسماء دعوته: يا رب، خلى ماما تخف ومتحسش بألم. لم أتم الصلاة حتى سمعت صراخ، نظرت خلفي وجدت الخادمة تصرخ، ثم تغمض عيناها وتغطيها بالملاءة. جريت عليها، فتحت عيناها رغما عن الخادمة مسكت يدها، انها دافئة هززتها، نهرتها، أخبرتها بغضب أني دعوته، لكنها تحبه أكثر مما تحبني، وذهبت لتكون عنده .. أخبرني والدي هكذا حين علم

بمرض والدتي إنه هناك وقت نترك فيه الأرض وتذهب لنكون عند الخالق.

في ذلك المساء، كنت نائما على سريرها، أفكر وأناجي ربنا، أعاتبه، لماذا أخذها، كنت أحبها أكثر من أي شيء آخر، كان بإمكانه أن يأخذ أبي عوضا عنها .. وفجأة دخل المناجاة طرف ثالث، أقول لربي: أنت عارف أنا بحبك قد أيه، فيخبرني الصوت بس هو ليه حرمك منها، المفروض يرجعهالك مش هو اللي خلقنا كلنا، ممكن يخلقها تأني، أدعيه بقى، خليها يرجعهالك.

حينها غفت عيني على أمل أني سأدعوه في اليوم التالي أن يعيدها ومنذ ذلك الحين وقد لازمني الصوت، لا يفترق عني غير أوقات قليلة، لكن ربما هو غاضب مني لأن صرخت فيه حين أثار حفيظتي.

انت عندك أصحاب؟ .. سألني الشيخ.

فأخبرته عن خالد، صديقي منذ الطفولة الذي أحببته لأن والدته كانت تشبه والدتي، تغمرني بالأحضان والقبلات، تصنع لي الفطائر الساخنة في الصباح وأنا ذاهب إلى المدرسة

فجأة تدهورت أحوالنا المادية لأن والد خالد كان شريك والدتي بالعمل، فاضطررنا أن ننتقل من المدرسة بالحي الراقي إلى مدرسة ذات مصروفات أقل.

دخلت يوما وجدتها تبكي .. احتضنتني وعصرتني بداخل صدرها ثم قالت لي بحرقة؟ ادعي ربنا يا شهاب إنه يرزقنا بفلوس كتير، فقلت لها حاضر. فقمت توضأت لأصلي وأرفع يدي للسماء وأدعو الله أن يرزقنا بأموال وفيرة. وفي الصباح أيقظني والدي قائلا: مفيش مدرسة النهاردة، هنسافر البلد عشان عمى مات وهنروح الدفن والعزا.

كان يخبرني بخبر الوفاة وهو مبتسم، لم أفهم حينها أن وفاة عمه كانت إجابة لدعائي، أن تركته التي سيرثها والدي هو المال الوفير الذي سألت الله أن يرزقنا به. لم أكن أعلم أن ذلك المال سيفرقني عن والدتي الجديدة لتستبدل بزوجة أب، فقد تزوج والدي و انتقلنا بعيدا عن منزلنا القديم المجاور لمنزل خالد، أيضا والد خالد تزوج بأخرى حين أصبح لديه مال وفير من مكاسب الأعمال الجديدة مع والدي .. فماتت أمه من الحسرة.

منذ ذلك الحين لم أرى خالد كسابق عهده، فاصبح شخصا عابثا لاهيا يسعى فقط وراء المال والنساء، حين أخبرته يوما ما يحدث معي حين أدعو الله، سألني ألا أدعو مرة أخرى بخصوص شيء يخصه .. لازلنا أصدقاء، فهو صديقي الوحيد، لكن هناك شيئا ما بداخله لم يسامحني عليه .. أشعر به أحيانا، لكن الصوت يخبرني أنني فقط أتوهم الأمر.

كان الشيخ يستمع لي وهو مشدوها .. لا يعرف ماذا يخبرني ثم قال لي أن ذلك الصوت هو صوت من أصوات الشيطان، أما عن صديقي، فعلي البحث عن صديق صالح يجذبني في اتجاه آخر غير طريق المال والنساء.

سعاد

أما عن الدعاء، فهذه نعمة من الله عز وجل أن يكون دعائي مستجاب .. فالإنسان يدعو بالخير والشر، ويعطيه الله الخير، لكن هو ونفسه من يفعلون الشر.

كاد كلامه يخترقني، لكن ها هو الصوت يخبرني أن أنظر في جدول المواعيد الخاص بسعاد، لأعرف متى سأقابلها .. أقف مهرولا لأغادر المسجد، أقبل رأس الشيخ، أسأله الدعاء ثم أرحل.

أنظر بالساعة، لازال أمامي بضع ساعات حتى يحين موعد عودة حبيب من المدرسة، قد تسنح لي الفرصة لأعود للمنزل آخذ قسطا من الراحة، اتحمم، أبدل ثيابي وأقابلها.

يرن الهاتف، إنها هي: شهاب، معلش، انشغلت معرفتش أطمن عليك .. أنت عامل إيه؟

اتنحنح، لا أريد أن تبدو السعادة على صوتي: لأ ولا يهمك، أكيد مشغول، أطمني أنا خرجت و كويس، متقلقيش، آسف أني تعبتك معايا. تخبرني، إنها حقا تهتم لأمري وليس بدافع الواجب الإنساني ثم يخنقها البكاء، فيتحشرج صوتها. أسألها عن مكانها فتخبرني عند المقطم، سألتها أن ألحق بها فليس لدي ما أفعله وأريد التحدث معها.

لم تمانع، لحقت بها، فإذا بخالد يتصل: أنت فين؟

شهاب: لا مش هينفع، النهاردة، لسة ورايا شغل.

خالد: والله عارفك، شكلك، لاقيت واحدة جديدة.

شهاب: خالد، بلاش الاسلوب ده، نتكلم لما نتقابل.

خالد: مادام اتنرفزت، يبقى أنا صح.

شهاب: ماشي يا حبيبي، نتقابل بكرة ونتكلم محتاج أتكلم معاك.

أسرع في القيادة حتى لا يمر الوقت وأنا بعيد عنها، لا أطيق الانتظار.

ها هي تقف بجوار سيارتها كنجمة سقطت على الأرض، تتلألأ وتشع لتنير ضرب المارين .. تقابلني بابتسامة دافئة جعلتني اشتاق لأن أكون بأحضانها مرة أخرى ياليت شيء يصدمني فأسقط لتتلاقاني بحنانها.

تلمس رأسي وتتفحص مكان الجرح: ها حاسس بأيه؟ لسه فيه وجع؟

شهاب: وجع إيه، لأ خلاص أنا كده خفيت، مكنتش أحسن من كده أبدا، أنت هتروحي إزأي؟ الوقت أتأخر؟

سعاد: لأ، مش هروح، مش عايزة أروح، عايزة أفضل كده تحت السما، من غير أي حاجز أو عائق

شهاب: طيب تسمحي لي أفضل معاكي، أنا كمان معنديش حاجة، وزهقان.

سعاد: أنت مش عندك شغل الصبح ولا أيه؟

شهاب: لأ، أكيد عندي، بس أنا مش مجرد موظف، ممكن أتابع بالتليفون.

تنظر لي نظرة حيرة متألمة، لا تعي ما يحدث لها، زواجها ينهار، أنا بجوارها، تشعر بما أشعر به تجاهها، غاضبة هي على زوجها بسبب الخيانة .. هل هي الآن تخون، لم تختر، لم ترفض، لم ترسلني بعيدا عنها، عذرها أنها لم تبادلني الإحساس، لقد تحسست جرحي بكل ما لقلبها من نبض وإحساس، واحتضنتني حين اصطدمت، لم تكن تعرفني ربما تقول إنها مجرد مشاعر إنسانية، ماذا عن زوجها، هل يملك نفس المشاعر الإنسانية التي قد تودي به إلى الخيانة، إذا الخيانة قد تحدث حين نترك العنان لأفعالنا لتخدم مشاعرنا.

تستقل سيارتها، تضغط على زر ليفتح صندوق السيارة الخلفي . تخرج بطانية وزجاجة حافظة للحرارة بها شاي محلى بالسكر والكريمة، تجحظ عيناي من الدهشة ما هذا .. هل أحلم بمشهد بأحد الأفلام الرومانسية. إذا كنت أطلقت العنان لمخيلتي لم أكن لأنجح، في

تخيل شيء مماثل، النجوم تغطينا، القمر يضيء لنا، ينقصنا الموسيقى، ها هو الكروان يأتي مهرولا ليكمل الصورة.

سعاد: قولي بقى، إنت حكايتك إيه؟ بتظهر في حياتي كتير في الكام يوم اللي فاتو.

ابتسمت وأنا أقول: إيه السؤال ده؟ بصي سيبك مني، أنا هنا دلوقتي عشانك، أحكيلي عنك.

شيرين

انتهت شيرين من إعداد الطعام .. وأنهيت تناول الوجبة الساخنة دون أن تصدر صوتاً، أما أنا فكان صوت الطعام الممضوغ في فمي يؤنس وحدتي التي شعرت بها فجأة، كما كان كفيلا ليشوش على أي صوت أو حماقة تدفعني نفسي لارتكابها، أي نعم فقد تمكنت أخيرا من التحكم في مستوى تأثير الصوت على كياني، بنفس اسلوب سيطرة الصوت على رأسي، لم استطع منعه تماما، لكنه لازال موجود، كصوت راديو في خلفية الاحداث. أستطعت الوصول لذلك عن طريق العند، كل ما يدعونني له أقوم بعمل عكسه .. لم ييأس مني، لكنه لازال معي، بالطبع بعد كل معاركنا معا، أصبحنا نعرف بعضنا البعض كما نعرف ظهر يدينا.

سامية

كانت سامية تجسيد لصورة الملائكة على الأرض .. فكانت تتمتع ببراءة الأطفال ممتزجة مع الجنون الطيب للشباب، لم أشعر بانتمائها الى كوكبنا يوماً ما، فكانت حالمة، محاطة بهالة من الضوء، حين تلمسني، أشعر كمن لمس تيار كهربي دون أن يصعق.

لم يكن يؤرقني شيء سوى عائلتها الغير متماسكة، غريبي الأطوار بجانب علاقتها غير المألوفة بمعلمها الذي يزورهم بالمنزل، يستقبلها صباحا ليلقي عليها تحية الصباح ثم ينتظرها عند باب الخروج ليلقي عليها تحية الوداع. لم يكن هناك أي شيء على وجه الأرض سيحول بيني وبينها، لم أضع بحسابي خالد الذي عاد لحياتي فجأة، أصبح يقضى معظم وقته معي.

خصوصا أن الوضع لم يكن يساعده على التركيز في متابعة دراسته بكلية الهندسة، فجأة أصبح متفوق بالدراسة، حين حصل على مجموع يقارب 97% صدمنا جميعا، فكيف يصبح في سنتين هكذا، لقد رسب بالصف الأول الثانوي، ثم اكتئب لما يزيد عن العام، ابتعد عني واختلط بأصحاب جدد، اعتقدنا جميعا أن ذلك بسبب تأثره بوفاة والدته غير المتوقع، ثم تزوج أبيه من أخرى، لكني رجحت أن ابتعاده عني لأنه يعتقد أن دعائي هو سبب كل الكوارث التي حلت عليه بعد ذلك.

لم يتحدث أبدا عن الأمر، لكن عينه اعتادت أن تفضح ما يعتل به صدره ولا ينطق به لسانه، كان يتعارك معي في كل مرة أذهب لمقابلة سامية، كان يستغل أوقات فراغه في مراقبتها من أجل أن يطمئن عليّ وعلى شئوني، فلا يريد لي أن أدخل في تجربة نهايتها الفشل.

كان يستغل كل أوقاتنا معا، ليحثني على الاهتمام بالدراسة والعلم فهي سر كل الأمان والتقدم فالقوة تكمن بالمعرفة، عندما سألته ماذا عن الحب؟ أخبرني أن الحب ضعف وأول مسمار في نعش نهايتي أو هزيمتي من قبل الزمن.

كان خالد بمثابة أخي، لم أنهره قط، بل استمعت لكلامه الذي لا يدخل إلى قلبي، فقط يمر من خلال أذني اليسرى ليعبر الي الأذن اليمني ثم تبدد ذبذباته بالهواء.

وفي يوم كنت نائما بعد قضاء 24 ساعة متصلة مع ملاكي السامي، كان لديها تخييم ليلي بمعسكر رياضي، مخييم ترفيهي الهدف منه تعزيز روح الجماعة، ورفع قيمة الفرد.

أيقظني خالد مفزوعا، ظننت أن هناك زلزال، أو أحد أصابه مكروه، لكن المكروه لم يلبث أن حدث حين أخبرني، أنه كان يراقب سامية كالعادة، لم تعد للمنزل بعد الدراسة، لكن ذهبت إلى بيت معلمها الأعزب .. شعرت بأن سقف زجاجي قد تحطم ثم توجهت كل شظاياه لاختراق رأسي، جسدي، عيني، قلبي، تملكني الخوف والغضب، الدماء تفور بعروقي، ينز جسدي عرقا كرشاش للماء، لا أدري ماذا أرتدي وكيف سأذهب إلى هناك، أين منزله؟

لم أعد أعرف شيئا، فالمعلومات قد محيت، كل الثوابت قد زالت، يكاد قلبي أن يخترق ضلوعي ليهرب من هذا الحصار الدامي. كنت أهرول، وأتمنى أن يمر الوقت ببطء فلا يفوتني شيء، أو يسرع الوقت، فينتهي كل شيء دون أن أشاهده

الشيخ

اتخذت الطريق الذي أمر فيه على المسجد أولا، كدت أفقد المسجد ولا أراه لولا اصطدامي بالشيخ، الذي لم يعجب بدعائي في المرة السابقة.

الشيخ: إيه يا بني مالك؟ هكذا سألني الشيخ بحنو بالغ؟

لم أستطع الرد، فكنت سأبكي إذا رددت، لا أكذب عندما أقول أنه قد سمع ضربات قلبي وطلب مني دخول المسجد لأداء الفريضة، ثم القيام بصلاة ركعتين لقضاء الحاجة

اتبعته في كل خشوع، مسلوب الإرادة، يكاد الصوت يصبني بالهمم من كثرة صراخه لألحق بسامية قبل أن ينتهي وضع التلبس، لكن جزء كبير من عقلي أراد للوضع أن ينتهي بسلام قدر الإمكان، على الأقل لا أوذي حالي أو أؤذيها، وما لا يدرك كله، لا يترك كله

دخلت وصليت لربي، لم أشعر بهذه السكينة من قبل، حين تصفى الدنيا من حولك، لأنه لا يوجد بها غيرك، فقط أنت وخالقك منتهي اللجوء، الحماية، الأمان، إذا انتهت أنفاسي الآن سأكون راضٍ عنها، لأن ذلك الوضع قد يكون المعنى الحقيقي للجنة، وضعك الضئيل في حضرة العظمة دون أن تخشى أن تكون عظمة باطشة ظالمة كالمعتاد في الدنيا حاشا وكلا، إنها عظمة الرحمة والعدل.

"يارب، سلمت نفسي لك، فلا تستلم روحي إلا وأنت راضٍ عنها"

شيرين

أقمت رأسي لأجد شيرين تحدق بي، ربما تفكر في عنف ردة فعلي أو أني سأعذبها ولن أوافق على الانفصال، أنا من خلق هذا الوضع وسمح بهذا الحوار أن يتواجد بيننا، علي أن أسدد ديني. فقد اشترطت عليها قبل الزواج شرطين:

الأول: ألا تخونني.

الثاني: أنه في حال رجوع ملاكي السامي في أي وقت أو عرفت طريقها سأذهب لها في أي مكان وأتزوجها، وسأظل زوجا لها وأبا جيدا لأولادها، لكن هذا الشرط لا يخضع للنقاش.

لدي يقين بانها وافقت فقط، بسبب إستحالة تحقق هذا الامر الغريب، عرفت ذلك من صديقتها المقربة، فهي عميلة مهمة عندي

بإحدى مشروعاتي، كما أنها تأتي لي بصفقات جيدة مع حفظ عمولتها بالطبع.

إنها ليست صديقة سيئة، لم تحاول أن تغويني، فقط كانت تستفيد من وضعها كصديقة للسيدة التي سأتزوجها، أتت إلى مكتبي لتخبرني بذلك وتؤسس معي علاقة عمل، وافقت على العقد، على أن تنهي علاقتها بشيرين بعد زواجنا، وقد وافقت.

ثم وقفت أمام مكتبي ثم مالت بجذعها تجاهي قائلة: اسمع يا شهاب أنا سناء العلاليلى محدش خدعني قبل كده، جتلك بخدمة، هتقصر عليك وقت ومجهود في سبيل إننا نشتغل سوا، أنت حرمتني من صديقتي وأنا مضطرة لأن الشغل أهم من الصداقة، لكن لو حرمتني من الشغل .. أنا مبنساش.

أخذ شهاب نفساً عميقاً قبل أن يعترف بمعصيته حين بدأ بوضع الشروط قبل ارتباطهما، لكن قد يغفر له حبه لها وللأولاد وتقديسه لحياتهما معاً، الامر الذي دفعه لإنهاء أي عمل به مخاطر، خوفا من فقدانها هذه المنحة الربانية .. كخطوة على طريق التوبة والاستغفار.

أنهي شهاب هذا الخطاب بسؤال مباغت : أنا عايز أعرف يا شيرين ، هو أنا بالنسبة لك أيه؟ حبيبك ولا مجرد جوزك وأبو عيالك؟

سعاد

سعاد: عايز تعرف حكايتي.

شهاب: آه .. عايز اعرف كل حاجة عنك.

سعاد: حياتي كلها عبارة عن كتاب كل فصل فيه حكاية منفصلة، متعرفش أمتى بدأت ولا أمتي هتنتهي، عايز تعرف الفصول كلها، عندك وقت

شهاب: العمركله

سعاد: العمركله .. ليه أنت معندكش شغل عيله، أنت إيه؟

شهاب: أنا بني آدم عادي عندي شغل .. معنديش التزام أسري، لأني متجوزتش، كان عندي عيلة، مش على وفاق معاهم أوي، بس موجوده.

سعاد: طيب يا عادي ياللي مش باين عليك إنك عادي خالص أنا هكلمك عن الفصل الحالي، لعله ينتهي بسلام وتبقى حضرت معظمه.

شهاب: ياريت يكون اسمي مكتوب في الفصل الجديد.

سعاد: دي حاجة في علم الغيب، محدش عارف بكره فيه إيه

شهاب: طيب أنا هفرد رجلي وأبص للسماء وأنت أحكي ومش هأقطعك لحد ما تخلصي خالص

بدأت سعاد بصوت حنون تقص علي قصتها المثيرة

بعد أن تخرجت من الجامعة وأنهت دراستها بمجال الفندقة .. بدأت العمل بإحدى الشركات الكبرى لتجهيز الفنادق والقرى السياحية بدون أي خبرة في الحياة أو في البشر، وقعت في الشباك العنكبوتية لمديرها تحت اسم الحب ولم تستطع أن تخلص نفسها دون مساعدة زوجها الحالي، الذى أصبح حبيبها الأول، وأب لابنها الوحيد، لكن قبل ذلك، لم تكن تعترف برجولته بسبب مواقفة غير الحازمة مع رؤسائه ومديريه، واستغلاله لمن يرأسهم .. ولازال ذلك السؤال الحائر بداخلها لم يجد إجابة، هل ساعدها لأنه معجب بها كأنثى، أم لأن به بذور نخوه أو شجاعة متناثرة لا تجتمع معا إلا بسبب فوران داخلي جراء مشاعر حب فياضه لأحد.

تزوجها بمفرده بحجة أن والده قد غضب عليه حين رفض الزواج من ابنة عمه التي عرفت بعد ذلك أنها لم تخلق من الأساس فلا يوجد أعمام أو أي أقارب من الدرجة الأولى، حيث كان والده لقيطا أخذه جده وجدته من إحدى الملاجئ ليؤنس أيامهم الوحيدة بمصر فقد كانا يعملان بإحدى شركات البترول وحين انتهت مدة عملهما لم يرجع الجد لأمريكا منشأه الأصلي لكن قرر البقاء مع جدته بأصولها النوبية التي كانت قد تركت أهلها وخرجت عن عرفهم حين عاشت بالقاهرة بمفردها ورفضت أن تعيش كل عمرها بالنوبة المنسية، أرادت أن تصبح جزء من الحياة ومن ثم طالت أيامها أو بمعنى أصح سنينها بالقاهرة وتباعدت مرات سفرها لزيارة أهلها حتى توفى والديها فانقطعت عن جذورها. وفي باريس الشرق قابلت ذلك المهندس الأمريكي الذى عشق ليالي الشرق في سمارها، آنست غربته بوجودها، لكن عمرهما لم يسمح بالإنجاب، لذا تبنوا والده وعاشا حتى تخرج من الجامعة ثم توفيا في يومين متتالين.

كان خالد غريب الأطوار، يتمتع بطباع غير مألوفة، وأيضا أفكار غير مألوفة. بعد زواجهما بمدة قصيرة، بدأ الحديث عن مدى إمكانية الحديث مع الموتى، ثم توقف عن الصلاة أو الذهاب للمسجد، ساءت علاقته بكل ما يمت للدين بصلة، لكن كان يبدو عليه علامات تدين من نوع آخر .. فكان يتوتر حين تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، يعصب عندما يستمع صدفة للقرآن الكريم وهو مدار بأحد أركان المنزل.

في بادئ الأمر، لم تشغل المسألة بالها، لكن لاحقا حين بدأت تتسرب الحقائق إلى يديها عن طريق التودد أو التجسس. لم يلفت أنتباهها ارتفاع درجاته المفاجئ في الدراسة، أيضا اعتلاؤه مناصب كبيرة وكثيرة في أوقات لا توازي الوقت الذى يلزم زملاءه للترقي فقد

اتكأت على الحظ الذى أشتهر به في اختياره صفقات بعينها دون الأخرى .. لكن الهالة التي بدأت تعتم على من يعاديه هو ما اثار حفيظتها، فتذكر جيدا، صديقتها التي كانت تحاول الايقاع بينهما، اختفت بلا أثر أو رجعة، لم يظهر منها سوى رسالة نصية من هاتفها الجوال تخبر أنها لن ترجع وسوف تتزوج حبيبها الذى طالما أحبته منذ صغرها.

لم يستطع حتى أهلها تفسير الرسالة، لكن عجزت كل الجهات الأمنية أن تبت بالأمر، واعتبرت رسالة دليل قوى على سلامتها وكونها في الرابعة والثلاثين من عمرها، فإن ذلك يعطيها الحق بالتواجد أو الانتقال لأي مكان دون قيود.

تبع ذلك المدير الذى كان يتعرض لي حتى بعد زواجي، وجوده بمكتبه منتحر عن طريق قطع العرق الأورطي بزجاجة غريبة المصدر، حين سألني الضابط المحقق، عن نوعية الزجاجة وعما إذا كنت رأيته أم لا نفيت أي معرفة لدي عن مصدرها، لكني كنت قد رأيت زجاجة فارغة بنفس اللون الأرجواني غامق، وحين سألته عنها أجاب أنها تخص أحد العملاء الذى اقله بعد الاجتماع إلى الفندق المقيم فيه ..

ظل الوسواس يتسرب اليها حتى تمكن من احتلال صدرها بالكامل، فقررت أن تراقبه، مراقبة لم تنجح أو تتمكن منها، فدائما كان يفلت منها أو يختفي وهو تحت نظرها، بالإضافة إلى عدد من المضايقات والحوادث التي كانت تقع لها حين تعزم أمرها على أنها ستصارحه .. بالشكوك التي تجول بخاطرها.

تقابلت في ذات يوم مع والد زوجها، لم تكن المقابلة صدفة، لم تراه من قبل سوى بالصور، التي يتحدث إليها ليلا، لكنها كانت مقابلة مدبرة من قبل والده، الذي أرتاب به حين علم أنه قد تزوج دون

علمه، فقام بتحذيرها من خالد، كان لديه شكوك بدون دلائل، فقط قلبه غير مطمئن تجاه توجهاته الجديدة، بالإضافة إلى أنه أصبح يحلم بوالدته التى توفيت منذ زمن ، تطلب منه الاعتناء بابنها وبمساعدته لأنه في مأزق كبير.

سألها حماها عما إذا كانت لاحظت أشياء غريبة تحيط بزوجها أو إ أي شيء مثير للريبة بتصرفاته، أنكرت سعاد في محاولة بائسة منها لكي تطمئن حماها، لكن بدأ الشك يلتهم أمعائها فبدأت تواظب على تناول أقراص مانعة للحمل، حتى لا تزيد همومها بالخوف على روح جديدة، كما أنها بدأت تفكر جليا في الانفصال عن الزوج المريب.

قطعت كلامها لأسألها وهل كانت كل الشكوك في محلها؟ أم إنها ظلمته؟ وهل هذا الزوج هو زوجها الحالي.

تعصبت من سؤالي الذى ينم على أنني لست مستمعا جيدا، فقد أخبرتني من قبل أنها لم تنجب سوى من زوج واحد، الفضول لا يجعلني انتظر لسماع المزيد من التفاصيل حتى تصل للإجابة.

فقالت لي بصوت حاد: "شهاب، لو مستعجل روح وسيبني أنا محتاجة استرجع كل التفاصيل ديه دلوقتي، كده كده محتاجة أفتكر كل التفاصيل عشان أعرف هعمل إيه"

توسلت لها أن تكمل حتى نصل لحل المشكلة معاً ولأنني استمتع بصوتها الحنون، أكملت على غير يقين أن لمشكلتها حل أرضي، فقد تحتاج لعناية السماء لتخلصها من قيود مشكلتها المنغلقة حولها بإحكام.

لم يلبث ان سأل زوجها عن سبب تأخر الحمل، أخبرته أنها لا تريد الاستعجال في أمر الإنجاب، فهم لا يزالا صغار، أمامهما متسع من الوقت لينجبا عددا كافٍ من الأولاد .. لم يبتلع الحجة وبدلا من

تعنيفها، تبدلت طباعه، اختفت كل مظاهر الشك من سلوكياته، أهداها الصالة الرياضية التي اشتراها و أتم تجهيزها دون أن تدرى فقط ليقدمها لها في ذكرى زواجهما الثاني.

ربما قد قرأ أفكاره، وشعر بشكوكها، فأصبح رجلا لطيفا يهتم لأمر امرأته، يعود باكرا من العمل فقط ليدللها، ويصنع لها المفاجآت وقد أحبت كل ذلك .. حتى تناست ذات يوم أن تأخذ قرص الدواء المانع للحمل .. وكأنه الميعاد المحدد لتكوين الطفل المنتظر، فقد أكمل مسلسل الرجل المثالي لأخر مدة الحمل، حتى آتى ذلك الملاك الذي يجبر أي شخص على الوقوع في غرام طلته.

قد يكون أطمئن أن وريثه الشرعي موجود فلن تؤول ثروته إلى والده الذي كأن يتجنب الحديث عنه في كل المناسبات، جمد جزء كبيرا من الأموال باسم حبيب، وبدأ يستثمر بالجزء الأصغر في البورصة أو المراهنات حتى تضاعفت لتصبح ثلاثة أضعاف الجزء الأكبر المجمد باسم حبيب، توسع في شراء الأراضي الشاسعة لإقامة المنتجعات السياحية، ثم النوادي الرياضية بالتشارك مع شركاء أجانب، ذاع صيته بالأسواق بأن التراب بيده يتحول لألماس، في غضون عشر سنوات، أصبح من أشهر المستثمرين في الاقتصاد القومي والقطري والعالمي.

لم تتبدد كل عاداته الغريبة، فكان يدمن القمار تارة، يلتزم بالصلاة تارة أخرى، يعشق صلوات الأعياد التي تقام في ميادين بعينها دون عن الأخرى، ثم بدأ بالإعداد لصلاة الجمعة في تلك الميادين حتى تصبح أشبه بصلاة العيد من كثرة الحشد بها.

قطعت نظرات الانبهار على وجهي كلامها، فقالت لي: أسكت ولا أكمل!

فقلت لها: طبعا كملي، أنا هفطس وأعرف الباقي.

فاعتدلت في جلستها، لتكمل سردها، وأذكر على لسانها:

كان حبيب ينمو ويكبر أمام عيني، وكان زوجي يعتني بأطفال آخرين، أطفال العالم العربي، بدأ باستثمار أمواله في مجال الإعلام، عمل سلسلة من قنوات الأطفال، و بالرغم من تزايد ارتفاع عدد المشاهدين باستمرار إلا أنه حذرني وهددني على ألا أترك حبيب يشاهد تلك القنوات وعلى أن أهتم بمداومته على الرياضة، حفظ القرآن، متابعة الدروس الإجبارية في المدرسة، والاختيارية في الكورسات الحرة.

كل ذلك جعل حبيب شبه عبقري ناضج في علوم الحاسبات والمعلومات وتطبيقاتها من وسائل التواصل .. كل ذلك لم يرضه، فأراد لحبيب أن يتقن عدة لغات حتى يتمكن من إلحاقه بإحدى الجامعات الخارجية لدراسة الهندسة في سن مبكر إذا ما أجتاز اختبارات القدرات.

بدأ التودد إلى حبيب بعد أن تم العشر سنوات، كأنه قد تعرف عليه للتو، أصبح يصطحبه كثيرا في نزهات كثيرة، يذهب معه للنادي، يأخذه للمكتبة ليقرأ .. وفي يوم ليس ببعيد أخبرني أنه سيأخذه معه في حفلة لكبار المستثمرين .. لم يطمئن قلبي .. قررت أن أراقبه، تخلصت من سائقي لأنه يراقبني لحساب زوجي المصون فذهبت لمكان الحفل الذي أخذ إليه حبيب، لكنني لم أجده بالقلعة لذا غادرت مسرعة، لأتفحصه بمكان كان يذهب إليه دائما .. وبالفعل وجدت سيارته بالأسفل لكنني لم أتمكن من الصعود إليه لأن المكان مدجج بالحراس.

وحين اصطحبه معه للمرة الثانية، تأكدت أن هناك شيء سيء سيحدث، فذهب إلى المكان الذي يتجمعون به بمبني مطل على أحد الميادين الشهيرة، فلم أجد الحراسة، فصعدت لاجد حبيب معصب

العينين في وسط الظلام غير دامس بفضل شموع متناثرة في المكان، وكنت قد اختطفته من وسطهم قبل أن ينتبهوا .. هربت منهم وخبأت حبيب في مكان أمين، ثم ذهبت لزوجي بالقلعة حيث وجدته كما اعتقدت تماما في الحفل مندمج وسط كبار الشخصيات العامة المرموقة محليا وعالميا.

وكان ذلك اليوم السابق للقائك، حينها أخبرته أن حبيب معي وأنني أريد الطلاق ومصممة عليه هذه المرة، كنت قد طلبته عدة مرات من قبل، لكن هذه المرة كانت مختلفة، فقد هددته بفضح وسطه المشبوه والمرفوض دينيا وبما أننا شعب متدين بالفطرة سوف يفقد الكثير من واجهته وغطاءه السياسي كما أن أعماله ستتعرض للخسارة في أسواق المال المتأثرة بالشائعات أو الاهتزازات الناتجة عن تغيير جذري أو طفيلي في طبيعة الشخص القائم بهذه الأعمال أو مالكها الأصلي.

استوقفت حديثها هذه المرة ولكن ليس عن عدم تركيز بل عن جهل بما تقصده أو ترمي إليه عن نشاط زوجها، ماذا كان سيفعل بابنه؟!

شيرين

وقفت شيرين متسمرة بالأرض جامدة الملامح لا تعرف ماذا تكون إجابة السؤال "ماذا تتوقع مني كرد فعل على طلبها بالانفصال؟"

امتلأت عيون شيرين بالحب و الاثارة وشيء من الحسرة وهي تقول:

ما أقدرش انكر ان علاقتنا مثالية كزوج وزوجة، حتى لما عارضت وامتنعت عنك في اول جوازنا وصممت انك تسيب الاوضة كلها عشان انام لوحدي، لبيت كل طلباتي وانت بتحذرني انك مش هترجع تقرب مني تاني غير لما اترجاك واتوسل اليك، طبعا عشان ترضي غرورك.

الشيخ

لم يتركني شيخ المسجد إلا عندما وافقت أن أدخل وأصلي .. بعد الصلاة جلست أمام المحراب رفعت يدي للسماء .. " يارب .. مش عارف أدعي إيه، لكنك أدرى بقلبي واللي فيه .. أديني بس اللي أقدر استحمله .. أنا عارف إني عبد سيء، لكنك ربي الكريم، معنديش غيرك، أرتاح وأنا بتكلم معاه، وأحس معاه بالأمان .. يارب"

شذى

خرجت من المسجد، ارتديت حذائي الذي كنت قد اشتريته خصيصا من أجل أن أبهرها لتحدث نفسها عن أناقتي .. أنظر في الحذاء وأطيل النظر به، ثم يصطدم بي والدها وهو مقيد ذراعها بقبضة يده .. من الذهول، توقفت عن التنفس، جحظت عيناي وهي تنظر إليه، ارتبكت حين لمحتني، لم تكلف نفسها عناء النظر إلي فقد كانت تعاني بما يكفي .. ماذا حدث؟ لن أخسرها إلا إذا كانت قد قامت بخيانتي، فلن أتزوج بعاهرة وإن كانت حبيبة قلبي الوحيدة ..فلن تكون أفضل عندي ممن سبقتها .. شذى أين هي الآن؟ إن كانت شذى قد أخطأت وارتكبت المعصية ولم تخاف من تعصي فهل تخافني أو تعبئ نفسها بحمل التفكير في حبيبها الأرضي إن كان حبيبها السماوي يراها ولم يوقفها أو يمنعها من فعل مالا يرضيه.

شذى .. أتذكر حين كانت تنتظرني في ميعادنا الأخير ترتدي ملابس ماكنت لأختار ما هو أفضل، كانت تعرف تماما ذوقي في ملابس النساء قامت باختيار ما يجعلني أراها أفضل نساء الكون، خصوصا أنها تحبني، لم اعرف إن كنت غارقا في حبها أم فقط أتجول في قاربي على سطح بحرها في حين تضرب الأمواج العاتية شاطئها وتكاد تغرقها، ولا تبالي إن كانت ستغرق في قلبي، لا تبالي إن امتلأت رئتها بالماء وامتنعت عن التنفس، فكفى أن مائي قد ملئت جدرانها التي لم تلطخ من قبل

إلا بشهواتي .. سُمعتها، لم تكن طيبة، قيل عنها عاشقة للانحراف، لا تتحكم بجسدها حين تشتهي أحدهم، كلمة واحدة تثيرها، لمسة تجعلها تتجرد من ملابسها، وتكشف عن مفاتنها خصوصا من كان يخبئه زر القميص الثالث فكانت تترك الأول والثاني مفتوحين لتسهل على الآخرين التخيل.

لم أنظر لها أو أراها قبل أن يخبرني عنها خالد، ثم قام بمراهنتي من سيصل للزر الخامس أولا .. حينها .. أغلقت كل منافذ عقلي سوى منفذ واحد .. باب لا ينفتح إلا من خلالها ، أصبحت أراقبها منذ خروجها من عتبة منزلها وحتى تعود إليه مرة أخرى ، لم تكن تختفي عن نظري .. لم أرى أي علامات توحي بالانحراف أو الخروج عن نصوص وشرائع المجتمع الذي تعيش فيه، فكل نسائه متحررات ورجاله راقين لا يمانعون تبادل القبلات بين زوجاتهم وأصدقائهم كنوع من أنواع التقرب في السلام، لا ترى الرجل يقبل صديقه بل وجنة زوجته.

عائلات راقية يرتادون نوادي الروتاري، ليس فقط كأعضاء وورواد بل كان أجدادها من مؤسسيها 1929 م ليس كمتبرعين بل كمختارين بسبب أعمالهم الخيرية التي كانت منتشرة بطول البلاد وعرضها .. وفي يوم تعرض لها بعض الصبيان ليجبروها على التعارف عليهم، لم أعرف باقي نواياهم، فلم أحتمل المشهد، شعرت بالدم يندفع بعروقي ليفجر شعيراتها.

فانطلقت نحوهم والغضب يتملكني، دون أن ألاحظ بنيانهم الضعيف مقارنة بعضلاتي المفتولة، لم أتذكر إلى الآن ماذا حدث بعد اصطدامي بهم، كمن غاب عن وعيه لبعض الوقت وحين استعدت وعيّ كان أحدهم صدمته سيارة مارة والآخر غارق بدمه ... قتلت ..؟!

لا ، لم أقتل صدمته السيارة .. من دفعه؟ لا أتذكر إن كنت دفعته أم إنه فقد توازنه جراء لكمة قوية في صدره، أو ربما كان يحاول الهرب مني فاصطدم برفرف السيارة الصلب الذي وجه لقلبه صدمة أوقفته "عمره .. مسبش في عمره دقيقة" هكذا قال الآخرين الذين مروا مرور الكرام. "لا حول ولا قوة إلا بالله" "في ذمة الله"

"شهيد .. إنا لله وإنا إليه راجعون" هكذا قال المارة الواقفين حولنا في دائرة محكمة الإغلاق .. لم يفكها سوى دخول رجل كبير له هيبة يهاب منه الناس دون أن يتعرفوا عليه.

لم يتعرف عليه سوى ابنته شذى، التي كانت تقف ملتصقة بي، نصفها الأيسر خلف نصفي الأيمن متشبثة بقميصي.

"طيب يا جماعة يلا ننقلهم على المستشفى شباب طايش، دي آخرة الخناق والطيش واحد أتعور والتاني مات" هكذا قال الرجل. أنفرج ثغري، لم أجد ما أقوله، فأنا المتهم الأول والأخير، أصبحت من المتفرجين، أم الضحية الذي لازال على قيد الحياة، أصبح المتهم الاول في دم صديقه.

بصرف النظر عن اشتراكهم في جرم أو أثم في لقائهم الأخير، لم أعرف نواياهم، إن كانت ستتوقف عند المشاكسة أم كانت ستتطور للتحرش ومن ثم الاغتصاب .. من هذا الرجل، ما هذا الذكاء، سرعة البديهة، حسن التصرف، الثبات الانفعالي كمن هو مقتنع بما يخبره، كأنه كان شاهد خفي ثم خلع حجابه، نظراته لي تعرف يقين المعرفة أنني قاتله، لم يكن بعمقي يقين بذلك، لكن شذى أكدت علي الأمر وهي تبكي في أول لقاء مرتب بيننا.

"أنت كويس .. متقلقش"، مفيش حاجة حصلت هكذا قال أبوها بعد الحادث.

وفي اليوم التالي، جاءت في وقت الغداء بالمدرسة وجلست بجواري، حينها قام خالد ورفاقه بالتهليل والتصفيق، أحمرت وجنتيها من الخجل ثم أخبرتني إنها تريد أن تتحدث معي على انفراد.

"هستناك في نفس مكان الحادثة" هكذا أنهت حديثها، انزعجت عندما تذكرت الحادثة ومكانها، وحدثت نفسي عما كنت سأقابل شذى بمفردها أم ستأتي بصحبة شبح القتيل لينتقم مني.

ترى ماذا حدث لصديقه، هل لازال مصاب؟ هل تعافى؟ هل يتذكر ما حدث، سيصمت حين يواجهون إليه تهمة القتل عن طريق الخطأ، أم سيفضل أن يقول أن صديقه المتوفي رحمة الله عليه الذي يقال عنه شهيد كانت آخر أعماله تحرش.

بعد المدرسة ذهبت لمقابلتها، وصلت قبلها لألقي نظرة اختلاء بالمكان وددت أن اعرف هل أنا قاتل؟ وإذا بالصوت يفاجئني كأن نفسي ترد علي، "طبعا .. قاتل، بس ده غصب عنك، إنت مكنتش في وعيك" فصحت عليه "أمال مين كان في وعيي إذا غبت أنا عن وعيي، مين كان حاضر مكاني، صمتت نفسي، ولم يرد الصوت لأن شذى قد حضرت بشذاها الذى يشبه عبير حديقة كاملة بأزهارها وورودها المختلفة مختلطين برائحة الندى الذي يستيقظ ويروي عطشها كل صباح.

دائما تلعب الروائح دورا مهما في العلاقات وسوط العذاب عند الغياب، فتجد نفسك مشتاقا لرائحة حبيبك أكثر من اشتياقك لنَفَسْك الذى قد لا يعود إليك إذا ما غاب عنك عبيره، وعند الافتراق قد تتمكن من تناسي كل الذكريات وتغلق رأسك عن مشاهد الذكرى، قد تمنع نفسك من ارتياد الأماكن نفسها، لتسد مداخل الجنين، لكن الرائحة تأتي مباغته لتخترق أنفك وتشق صدرك فتقتلع قلبك تلطمه

ثم تتركك وترحل، فربما يذهب عقلك، وتسير هائما على وجهك وراء تلك الرائحة، كمن يضع الضمادة على جرح ويخشى أن ينزعها فينتشر في أنحاء جرحه الآلام مبرحة.

شذى: "إزيك" هكذا قطعت لحظة هيامي مع عطرها الفواح.

شهاب: أنا كويس، إنتي عاملة إيه؟

شذى: أنا خايفة أوى مش عارفة أقولك إيه، أنت قتلت عشان تحميني، أنت مين هو أنت كنت بتراقبني، أنت بتحبني، شفتك كذا مرة ماشي ورايا.

شهاب: أنا .. أنا .. آه

شذى: آه إيه بتحبني؟ أصل أنا كمان كنت براقبك وأنت مع اصحابك، لكن عارفة إنهم بيتكلموا عني وحش، عشان كده خفت أتكلم معاك، أو ألفت انتباهك، بس أنا أعجبت بيك، لأنك مختلف مشغول بحاجات غيرهم، بتبص في السما كتير، أو في الأرض، بتسمع حاجات أو بتكلم نفسك، مش جنان بس بحسك بتفكر بصوت عالي، بحس إنك أكبر من سنك، أعمق مننا كلنا.

شهاب: أنا .. يعني.

شذى: خلاص بلاش تتكلم لو مش عايز، بلاش تضغط على نفسك، عارفة إنك مؤدب ومش بتفكر زى أصحابك المتخلفين، سوري، مقصدتش، بس بسمع الكلام اللي بيقولوه

شهاب: والدك .. أأ هو غريب شوية؟ ممكن يكون طيب عشان والدك، بس هو مريب شوية او شويتين .. ولا أقولك، خلاص أنسي، آسف مقصدتش . أنا كنت عاوز أسأل هو قالك حاجة عني.

شذى : خالص هو أنبسط لما قلتله الموقف اللي عملته عشاني، بس كان زعلان لأن شكلك مصدوم، لما حصلت الحادثة وأنت مكنتش تقصد.

شهاب: آه، أنا بس مش فاكر أي حاجة غير إني جريت عليهم وكنت ناوى أموتهم من الضرب، كنت هموتهم من الضرب عادى، زى مابقول هموت من الجوع، أو بكره السبانخ موت، أو بموت في الكنافة .. مش فاهم إزاي ده حصل.

بكت وهي تخبرني أني قتلت من أجلها؟ وأن مشاعري قد تحكمت بي لذلك، اندفعت بقوة تجاهه فطار بعيدا ليصطدم بالسيارة، حينها اصطدمت رأسي بوجه الأخر .. كانت ترى في ذلك كل الحب ولا أعرف ما ينبغي أن أرى أو اشعر، لكنها ساحرة أجمل نساء الكون، أشهي النساء في شجرة حواء .. ما يتوجب على أن اشعر به .. ها هو الصوت، يجب أن تجعلها تفتح زر القميص الرابع والخامس.

شهاب: "لا طبعا" أنطقها بصوت عال.

شذى: لا طبعا، إيه؟ أنت مضايق من وجودك هنا ؟ أمشي؟

شهاب: لأ، خالص، أنا كنت عايز أعترفلك بحاجة بس من غير ماتزعلي مني أنا كنت مع أصحابي وأتحدوني إني أعرف أوصلك وقالوا عليكي كلام وحش فبدأت أراقبك وعرفت كل تاريخ عيلتك، بس مفهمتش ليه تدخلي مدرسة زى بتاعتنا، لما ممكن تكوني في مدرسة في أي مكان بره مصر أو أحسن مدرسة في مصر يعني مش مدرستنا.

لم تجب على كلامي، و تملكتها نظرة فارغة في الفضاء المحيط.

شيرين: "أنت افتكرت .. صح"

قالتها شيرين بابتسامة مليئة بالأغراء تأملتها، وكأني أخبرها "إيه، مش فاهمك، هو ده وقته .. لم تبالي بنظراتي التي أدركت عدم أهميتها جيدا، مشت خطوات بطيئة ودارت من حولي، كقمر يدور حول أرضه على مهل وباتزان، أناملها تعرف أماكنها.

فقد تجنبت الاتصال الجسدي بها طيلة شهر العسل، تجاهلت كل محاولاتها بالإغراء، التي أتقنتها باحتراف. كإسقاط الأشياء على ملابسي، وأثناء تجفيفها وعن غير قصد! و بدون اعتناء فتصطدم بداخلي وكأنها تركل شهوتي لتتحرك. تحركت بداخلي عدة أنواع من الشهوات لكن لم أبالي.

تدخل لتأخذ حمام دافئ، ثم تخرج بحجة أنها نسيت الكريم المرطب، أتفاجأ بخروجها دون ملابس لا يغطي جسدها سوى شعرها المتدلي على صدرها الساقط، لتجلس بعدها على ركبتيها لتأخذه من مكانه الذي ربما وضعته بأسفل أدراج الكمود الذي يقع بجوار السرير وأمام الكرسي الهزاز الذي استلقي عليه .. كانت بيدي تفاحة، أكلتها لأقتل ما قد يمزقني من رغبة. تعددت ألاعيبها التي أضافت جوا غير اعتيادي على شهر عسل لم يمارس من قبل .. متأكد من ذلك، فليس هناك من يجد داعي ليكبح لجام شهواته بعد زواجه.

لكني أردت أن ألقنها درس لا تنساه مهما حدث، لكنني لُقنت درسا بألا أبالغ في اتخاذ القرارات خصوصا إن أردت أن أحتفظ برجولتي .. الآن إنها تستعيد ذكرياتها حين أغوتني أعادت حركاتها بإتقان وتركتها تقوم بكل ما أرادت إلى أن تملكتها شهوتها، ثم قبعت فوقها، لأساومها على ما تريده في هذه اللحظة وما تريده بقية حياتها لعبة إبليسيه بحته

، لطالما نجحت معنا بني البشر ، تعلمتها منه جيدا فقد درست خريطة جسدها جيدا وأعرف أكثر من عشرين نقطة تجعلها تبيع دنياها لتسكتها عن الأنين .

الآن لقد نامت وأنا مستلقي فوقها ، لم تكن لتصل لهذه الدرجة إلا إذا قمت بما يكفيها هي وعشرة نساء أخريات معها ، فتريد أن يستمر الاستمتاع حتى وهي نائمة .. رؤيتها وهي نائمة ، ذكرتني بسعاد .

سعاد

مستلقية كرائد فضاء يستلقي في فضاء القمر فيخيل إليه أنه يرقد فوق الأرض، كمن يتكأ على عقود ملكيه الكون، كيف ستبدو ملامح وجهه حينها، سعيد، مطمئن، حائر، شيق، غامض، متلألئ ...؟ جمعت سعاد كل هذه المشاعر وهي تحملق في النجوم كمن يطيل النظر بوجه حبيبه حتى يحفر صورته بوجدانه.

شهاب: ولا كأني معاكي، مكنتش أعرف إن وجودي له تأثير كده.

ضحكت سعاد وهي تخبرني أنه يتوجب على أن أتأمل السكون وأصادقه حتى أفوز بصداقتها.

لم أجد أمامي سوى الاستلقاء بجوارها حتى يتسنى لي أن أرى ما تراه، فلعلي أشعر بما يدور بداخلها .. ليت البشر يظلوا كالنجوم يلمعون منذ أول لقاء بينهم، محتفظة هي بحقيقتها، ليست بحاجة إلى الادعاء، لأنهم يعرفوا جيدا أنهم نجوم، فلا يبالوا بالتظاهر من أجل أبله قد ينخدع بالقمر ولا شيء يميزه سوى قربه الإجباري من نور الشمس الذي يعكسه أي أنه يعكس ضي نجم لأنه معتم كمن يدعي صفات في نفسه فيصدقه من يريد أن يصدق، أما من يريد أن يعرف الحقيقة فسيبحث ولا يسلم بالظاهريات فقط، وحده من سيصل إلى الحقيقة، وليست الحقيقة التي يفرضها علينا الآخرين كحقائق وهي

ليست إلا افتراءات، لكن من كثرة تكراراها ننسى حقيقة كذبها ونصدق وجودها ونسلم بها.

شيرين

لازالت احملق بالسقف، فقد اقترب ميعاد أتوبيس المدرسة الذي يقل الأولاد قفزت لآخذ حمام سريع، أعددت الفطور، أيقظتهم بلطف، ارتدوا ملابسهم وجلسوا بجواري كلا منهم يخبرني ماذا سيفعل اليوم وما هي مهامه متسائلا عن جائزته إذا أنجزها كاملة.

أتبع هذه الطريقة معهم، قبل حتى أن يتحدثوا، تشجعهم على إنجاز المهام الأقدام على تحمل المسئولية، اعتياد الخسارة والتعلم منها الاعتياد على مكافآت الذات، معرفة ماهية الأشياء التي تسعدهم وأخيرا وليس أخرا تجعلهم يتعرفون على نقاط قوتهم وضعفهم وتعلمهم إجادة التعامل مع كل نقطة على حدة، لتحقيق الاستفادة القصوى وتجنب الأضرار المفاجئة، فليست كل المفاجئات سارة، ومن لم يعتاد على الصدمات لا يجيد التعامل حتي مع المفآجات السعيدة.

استيقظت شيرين لتقبلهم قبلات الصباح وليحظوا جميعا بأحضانهم الإيجابية، فالشخص السوي يلزمه ثمانية أحضان يوميا للحفاظ على صحته النفسية، أما المتفوق فيصل إلى اثنتا عشرة حضنا يوميا بعد أن ذهبوا قالت لي بصوت متثاقل: أنا هكمل نوم

فأخبرتها بأنني أرسلت إيميل يفي بأني في إجازة سنوية، ولن أستقبل مكالمات.

شذى

بدأت لقاءاتنا أنا وشذى تتوالى وتطول مدتها دون أن تفقد متعتها، فمن المعتاد أن يظل الآخر ممتع إلى أن تحبه أو تمل البقاء معه حين

تعرف كل خباياه وأدق تفاصيله، فتعرف حين أصمت بماذا أفكر، حين أتراجع عن كلمة، تدركها فور تراجعه عنها، عندما يتوتر، متى ينتابه الضجر أو الإثارة .. فيصبح كالكتاب المفتوح .. عندما تقرأه ستبحث فورا عن كتاب جديد، إلا إذا وقعت في الأسر مع مؤلفه، أخذتك كلماته إلى حيث تريد البقاء، فلا تشعر بالنعاس إلا وأنت في أحضانه بين طيات أوراقه .. السؤال الذي لم أجد له إجابة قط: يا ترى من هو المؤلف؟ أنت، عقلك الباطن، أم خالقك وأنت فقط البطل الذي يؤدي الدور بتقمص رائع.

كانت تأخذني أفكارها إلى حيث أريد البقاء، الإخاء، الحرية، المساواة، يا الله ما هذا الحلم .. لم توافق على وصفهم أحلام، فكان لديها يقين عن وجودهم ووجود من يكرسون حياتهم فقط لتنفيذها على أرض الواقع، حتى يصبحوا جزء من حياتنا اليومية الفعلية وليس فقط مجرد أفكار خيالية تثير جذعنا إذا اقتربت من الواقع.

لم أكن استوعب كيف لفتاة لم تنه دراستها الثانوية أن تكون مشبعة بكل هذه الثقافات، ربما لأنها مختلفة، قد يكون انتماء عائلتها للطبقة الأرستقراطية، مجتمعهم أرقى وأسمى في الفكر والعقيدة .. أي عقيدة؟ عقيدة مشابه للإسلام تنادي بكل مبادئه لكن تظهر بكل مظهر ينافيه.

وفي يوم أخذتني لعالم الأحلام السرمدي، والرومانسية القناصة التي تظل ترصدك إلى أن تصيبك في مقتل، فلا تنجو من رصاصتها وآخر شيء تقع عليه عينك هو وجهها المقنع، مثلها تماما تبدو من الخارج أنثى بكل ما للكلمة من معنى، مثيرة فاتنة لا تنم عن وجود امرأة ناضجة بداخلها، إنما فقط بركان من الرغبة لا يكفيه بشر لإطفاء نيرانه، ربما زلزال يطبق عليه الجبال فيردم أسفلهم لكن تظل نيرانه منقادة، تنتظر من يكشف عنه الحجاب

لم تكن الفتيات تكفيها اللمسات، أو يهدئها التلاصق والاحتكاك، لكن كلما أصل لنقطة معتقدا إياها علامة التوقف، تأخذني لما هو أبعد لما هو ألذ وأشهي، حتى أضاءت هي إشارتها الحمراء، قائلة يجب أن نبقى على هذا الختم، إنه ضمانة وجودي هنا في هذا العالم.

لم أتذمر من اللون الأحمر قدر حيرتي بمعنى الوجود أو على حد تعبيرها "وجودي هنا في هذا العالم"، هل هناك عالم آخر تود البقاء فيه؟ ومن وضع هذا الشرط؟ هل تحتقر هذا العالم الذى لم تختاره وفرض عليها؟

لكنها لم تكن ناقمة، بالعكس تبدو متأقلمة من الخارج، ليس تأقلما بالمعنى المتعارف عليه من الالتزام بقوانين الجوار .. لكن الأصح هو أنها متفاعلة بطريقتها وإن كانت فجة، فتعرف رفض مجتمع مثل مجتمعنا لمظهرها، لكنها لا تبالي وسعيدة بإشاعة الفتنة والأقاويل عليها بالإضافة إلى تزعزع ثقة الفتيات المجاورات التي لا تتاح لها الفرصة للتقليد دون انتظار العقاب، أولئك الفتيات إما تتكون عندهن عقدة يخفونها بالالتزام المبالغ فيه، أو الانحراف السري الذي لا يعاقب عليه الأهل ويتيح فرصة للاستمتاع والتفريج عن رغباتهم النابعة من الخارج وليس من الداخل.

كانت شذى كصندوق مليء بالأسرار والمفاجئات لم أكن أمل من العبث بمقتنياته، لاكتشاف خباياه، وبالطبع الانحراف في تياره غير الواضح لي إن كان تيار عشوائي عابث أم منظم بدقة وتعقيد .. مبدأ الحرية كان معمول به في علاقتنا أيضا، فأنا حر في أن أكون معها أو مع غيرها أو معهما الاثنين بنفس الوقت.

لم تقترح بالطبع هذا التطبيق المتعسف، بل أثارت حفيظتي بحريتها العقائدية فأردت اختبارها، لأعرف إن كانت أنوثتها ستعترض وتقيد

حريتي، لكن دون أن تفكر وافقت معقبة "طبعا، لو في حد تأني غيري عنده نفس اللي أنت بتحبه فيه، مقدرش أحرمك منه، أنا عايزاك مبسوط، ومستمتع، ولو ده على حسابي"

شهاب: لأ طبعا، أنا مش عايز أظلمك أو أضايقك، أنا بس بسأل ، وده موضوع سابق لأوانه، المهم عيد ميلادي الأسبوع ده، هتيجي في قلب الحدث، ولا هتتكسفي.

شذى: لأ مش هتكسف، بس أحب أحتفل بعيد ميلادك على إنفراد!

شهاب: بس كنت عايز أعرف، ياترى الغيرة ديه شيء مسموح للحرية.

شذى: اكيد، طبعا، أنت حر، تحس اللي أنت عايزه، المهم متحرمش حد من حريته بسبب شعورك ده، لأنك كده هتقيد وجوده وحريته

سامية

خرجت من المسجد اصطدم كتفي بكتف والد سامية وهو يجرجرها كمن يجرجر ذبيحة لسكين جزارها .. تعافر معه كأي ذبيحة أخرى، بل كانت مستسلمة ومنكسرة، كأم فقدت وليدها .. ثم شتت نظري عنها ضوء انعكاس الشمس على عدسة ساعة ذهبية ملتفة حول معصم والد شذى، ظهر من العدم، يبدو أنه بذل مجهود حتى يتمكن من ذلك، ربما قام بعدة محاولات حتى نجحت الساعة في توجيه الضوء على عيني .. لم يبتسم، لكني سمعه صوت قهقهة صارخة تأتي من داخله

كان فراقنا كسنبلتين خلقا من بذرة واحدة، نضجا سويا، تعرفوا على الكون بجوار بعضهم البعض ثم افترقا وقت الحصاد وكلا منهما

وقع في سلة مختلفة لتبدأ رحلة أخرى من الطحن والتصنيع كلاً على حدا.

اقتلع الفراق لب فؤادي، انفجرت بعض الشعيرات فوق صدري الأيسر فتجمعت في شكل قطرة أو دمعة لازالت أتحسس موضعها إلى الآن انتبهت إليها حين أوقفني أحدهم لينبهني أني قد خرجت وهناك نقطة من الدماء مفترشة على قميصي الوردي، قد تبكي الوردة إذا ما خلعنا من قلبها أحد ابتلتها لكن لم تكن سامية مجرد بتله في وردتي النابضة إنما كانت قلبها ربما هذه القطرة الهاربة هي روحي التي هربت ورائها.

يقول أحدهم أن توصيف الروح هو تجمع دموي غامق جدا يكمن في قلب القلب .. إن كان صدقا، هي هربت من سجن ضلوعي لتحلق حولها.

صرت بلا روح بلا أمل، بلا هدف، عدت للمنزل، لأكسر كل ما تقع عليه يدي لعلي أجبر خاطري، وكيف أجبره وما أنا بجابر، الجابر بالسماء، يراني، يسمعني، أدرى بي من حالي، اخترت ألا أكون قريب منه، لأن الحب مضنٍ وملوع، فيكفيني لوعتي في حب البشر، قد لا أحتمل لوعة حبه، يعرفني أكثر ما أعرف نفسي، أتذكر حين كنت بالمسجد، ماذا دعوت، لم أدع أن تعود إلي، لم أدع أن أكون معها للأبد لم أدع أي دعوة واضحة، خشيت من تقديري للأمور هذه المرة، قد يخطأ ويصيبني في مقتل، ففوضت له الأمر لأنه أعلم مني بذلك وأنا أعلم ذلك.

تسمرت تحت السماء، واقف بنافذتي المطلة عليها، لم تظهر بعد، لم تهتز، لا يوجد لها أثر، امتنعت سيارة المدرسة عن المجيء، أصبح الخدم رابضين بالمنزل حتى والدها لا يذهب للعمل لا أحد يتحرك من

المعسكر، ربما هو التدريب الأخطر، الأكثر سرية قبل الحرب .. على من ستشن، ضد سامية، وهل هناك حربا تشن ضد الملائكة، ماذا سنفعل إذن مع الشياطين.

نصادقهم، نتعاون معهم، نستمع إليهم، ننفذ أفعالهم، نمشي على صراطهم ونهجهم حتى ننسى أدميتنا التي رفضوا السجود لها، نتخلى عنها بكل بساطة، نسد آذاننا عن كل ما يدعونا لحربهم، نغلق أعيننا عن وعد مكتوب منهم، ثم ننكر وجودهم أولا، إذا ما اختفت الشياطين من عقولنا، لن يصبح للملائكة وجود، وبالتالي لا يحتاجون لوجود خالق عظيم.

لا داعي لوجود خالق عظيم يخلق الملائكة والشياطين والأنسان يرسلهم إلى الأرض لتتبع علامته، يأمرهم بمحاربة شياطينهم وأنفسهم أعدائهم الأساسيين والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله إذن لن يكون هناك داعي فحل السلسلة يأتي من أسفلها، أسفل سافليها، إذا صدقنا ادعائه بعدم وجوده، فنصبح نحن أجساده، عقول أبدية، أدواته لأداء وعده.

هنا من السهل أن يكون الإنسان مادة، كأي مادة أخرى، لأنه لا يجب أن يلجأ لخالق ليجيره من مخلوق خبيث رجيم

شذى

حين لمعت عينا والد شذى وهو ينظر إلي، تذكرت عيد ميلاد شذى لقد كان أسوء احتفال بعيد ميلاد في منذ مولدي لم يكن احتفالا بالولادة، لكنه كان يحتفي الموت، الموت الأسود غير الرحيم، موت دنيء، كيف لأحدهم أن يأخذ سلطة تقع فقط في أيدي الخالق حتى ينسبها لقدراته، هل هم أدواته؟ كما قال أحدهم، لكنه لم يكن يتحدث عن نفس الخالق الذى نعرفه نحن، أيضا لم يكن يقول

خالق، كان يقول عليه السيد الأعلى الذي يتسيد القمة التي تندرج تحتها كل الدرجات، لا أتذكر عددهم ربما ثلاثة وثلاثين درجة.

إلى الآن لا أتذكر هذا اليوم جيدا، فقط لقطات تصطدم بذاكرتي، وحين أحاول التركيز وإعادتها، تتبخر في الهواء، كدخان ينفذ من عود بخور، لا تلبث أن تمسكه إلى أن يتجدد بإفراز المزيد، فتظل مشتت لا تستطيع سوى النظر إليه وهو يرسم لوحاته الدخانية أمام عينيك، لوحة ثلاثية الأبعاد على الجدران تسخر من قدراتك الواهية لتخبرك "إنه بالرغم من تدخلك إلا أني لأزال موجودة، وإن استطاعت العبث بجسدي، فلا يمكنك محو ظلالي".

ذهبت إلى المسجد تلك المرة، ليس لأني لدي حاجة أريد إشباعها كالعادة إنما لأن لأول مرة بحياتي أشعر بضيق في التنفس، لأول مرة أشعر إني أريد اللجوء إلى الله، كمن يجري مسافة طويلة، ليرتمي بأحضان والدته، شعرت بالغيرة عليه، على الله، لم ينطق أسمه، لكنهم كانوا يلغوا وجوده، بالرغم من إنه خالق هذا القلب، لكنه لم يجبرنا قط على حبه، وإن كان بالأمر اليسير على الخالق أن بدمغ أسمه على مخلوقاته، لكنه ترفع عن ذلك!

لسنا خالقين، فقط مستهلكين، نلهث لحفر أسمائنا على كل ما هو حولنا، نملكه أم لا يمت لنا بصلة، غير مدركين او معترفين أننا لا نملك فيها شيء! لم ألتزم بحياتي بالصلاة ولم ألتزم بتعاليم الدين، لكنه دوما كان في طيات قلبي مكانا مخصص لوجوده، لم أركن إليه كثيرا بسبب .. لا أعرف السبب الحقيقي، ذات مرة سألتني سيدة تجلس بجواري على البحر، هل أنت راض عن ربنا؟

انزعجت كثيرا من سؤالها، وكأنها تتهمني بالكفر، أو قد تعدت على قدسية الخالق بذلك السؤال، فذكرت لي آية لا أتذكرها جيدا تعني أن من يرضي الله عليه، يرضي هو نفسه عن الله

لم أجب على السؤال، لكن صداه ظل بداخلي هل أنا راضٍ عن الله، إذا تخيلت للحظة أن هذا السؤال لا يوجد به شبهة، فسأجيب بأنني أحبه، لكني لم أصل الي اي درجة مرضية من الحب.

حرمت من أشياء كثيرة، إما بأني لم أحصل عليها أو كانت لدي ثم فقدتها .. أيضا حصلت على أشياء كثيرة، لن أكون تعيسا إذا فقدتها، ومن أردت الاحتفاظ بهم من الأشخاص فقدتهم جميعا .. وكأن هذا هو سبب الفجوة بيني وبين ربي، لا أعرف إن كان من المفترض الاعتراف بكل تلك الأشياء ولكن ها أنا الآن في منتهي العمر أعترف أمامكم بكل غلطاتي وهفواتي، ذنوبي، معاصيّ، إن كان لي صفة أحمد عليها ربما تكون هي الحب، واللجوء إلى الله، حتى إن كان لجوئي للمصلحة حين أحتاجه فقط.

شعوري بأني لست راضي يقعدني عن الصلاة، ومع ذلك كنت أتصدق كثيرا، لم أعتنِ بالزكاة، لكن كنت أطعم المساكين كثيرا، لا أعرف لماذا كنت أتبرع بالعمل التطوعي، وأمتنع عن أداء الفريضة، فقط لم يكن لسوء اقتناع، إنه يتوجب علي القيام بالفرائض وأن ذلك يقلل أو يبطل إيماني.

ربما تصالحت مع ربي في ذلك اليوم الذي اعترفت له بعدم رضائي عن كل شيء فقدته، أعلنت عن خوفي بما لا أعرف أو بما هو مكتوب إلي وعلي، ولم أره بعد، أيضا أعلنت عن حبي له. في المصارحة والإعلان عن المشاعر شفاءً مؤكدا، فقد تحسنت حالتي بعد هذه الصلاة التي لم تكن صلاة فريضة إنما كالعادة صلاة حاجة .. قرأت بعد ذلك عن الاعتراف وتأثيره الإيجابي على نفسيتنا فالاعتراف بوجود مشكلة يمثل جزء كبير من حلها.

بالرغم من عدم إعلاني للغضب أثناء مراسم عيد الميلاد، صدمة المفاجأة سلبتني القدرة على الكلام، لقد تفاعلت معهم عوضا عن الرحيل، كانت لمراسمهم أثر على نفسي، يشبه أثر السقوط من ارتفاع شاهق ثم الاستيقاظ قبل الاصطدام بالأرض، سقوط متكرر مع استيقاظ متكرر، حتى فقدت إدراكي باليقظة من الغفلة، كل الحدث أشبه بحلم سيئ ثقيل يطبق على قلبك، يجثم عليك، لكنك لا تستطيع الاستيقاظ، لأنه ليس كابوس، بل حلم أشبه بواقع كارثي، تشهده وأنت مقيد، ثابت بمكانك لا تقدر على شيء، أي شيء!

شاهدت، تفاعلت، اشتركت بقدر، وفي وسط كل ذلك كنت أختطف نظرة سريعة للأعلى "ربي، خليك معايا متسبنيش، خليك جنبي، ماليش غيرك، أنا مش فاهم حاجة"، حينها كانوا يعتقدون إني أنظر للسقف المذهب بنجومه الزرقاء، شيء مبهر حقا، مهيب، وفي الأركان كانت هناك تماثيل لكلاب وأسود تتدلى من السقف.

وفي اليوم التالي، ظلت شذى تتصل بي، حتى ذهبت لمقابلتها، كانت تريد أن تعرف مردود الحدث علي، وهل أنا معهم بكل مالهم من سلطة وقدرات خاصة، أم ضدهم بكل ما يستطيعون عليه من أفعال انتقامية ضد أي شخص في العالم، لهم أيديهم المنتشرة بالإثم والعدوان في كل مكان قلت لها: أنا مش فاهم حاجة، أنت مين، أنتوا مين، وإيه القرف ده، تنويم مغناطيسي إيه، وأكلم اللي مات إزاي؟ مين سيدكم ده، أنا حر، وماليش سيد على الأرض، ربي في السماء وأقرب إليّ من حبل الوريد.

نظرت لي كأنها تتعرف علي للمرة الأولى وكأنها تقول لي:

نعم يا ... أمك، وأنت من امتى بتعرف ربنا، واللي بينا ده إيه، ومقابلتنا، اللى أنت لو متوضي وأفتكرتها، هتفقد وضوئك.

لكنني رددت عليها في نفسي: وده من ضمن الأسباب أني مبصليش، بس إنت اللي غوتيني بكل حاجة بتعمليها، وكأنك عارفة بالضبط تأثيرك على نفسى، تأثير عطرك، إيدك، لمساتك، تحرشاتك بأنحاء جسمي، هو أنا إيه، مش بشر، دنا لوحجر كنت نطقت، بس الغلط مش عندك، الغلط عندي أنا، مكنش المفروض أقابلك أصلا

أطلقت العنان لصوتها ليخبرني:

بص يا شهاب، أنا بحبك وعملت كل اللي عملته معاك بدافع الحب أنا عايزة أفضل معك، لحد ما أموت، مش عايزة أي حاجه من الدنيا غيرك، ولو طريقة لبسي مضيقاك، هغيرها، ولو خايف من أهلي، أسيبهم وأهرب معاك، أنا شايله فلوس كتير، ممكن نعمل بها أي حاجة إحنا عايزنها وإحنا معانا جوازات سفر، نسافر أي مكان و نكمل تعليمنا بره في المكان اللي تشاور عليه على الخريطة، المهم نكون سوى، أنا بحبك، فاهم يعني إيه بحبك، وبحب كل حاجة فيك، لما بلمسك بحس بأنوثتي، لما بحسس على ضلوعك، بحس أنه هو ده الضلع اللي أنا أنكسرت منه، وإنه هو اللي بيكملني ، لما بتدخل جوايا ، بحس إني في أمان ومش مهم إيه يحصل بعد كده، ولو مت في اللحظة ديه هكون راضية.

قاطعت كلامها: هنكون متنا على معصية، حتى مش هنلحق نتوب.

شذى: نتوب ليه، هو إحنا هنحارب نفسنا، ربنا خلقنا كده بنحب بعض، مش بنرتاح غير لما بنكون مع بعض، جنب بعض، كل الكائنات بتعمل كده

شهاب: بس مش بتحس اللذة، اللي بنحسها، ومش بيفكروا زينا، معندهمش إرادة، معندهمش عقل، ولا عندهم مشاعر، و إحساس، ولا فيه حاجه عندهم إسمها إرتياح يعني لو كلب كلبته ماتت أو حتى

عايشة، وهو محتاج يعمل حاجة، هيعملها مع أي كلبة معدية، لأنه مش بيقدر يتحكم في نفسه، وهيفضل يتألم لحد مايخلص الطاقة اللي جواه.

شذى: على فكرة في رجالة بتعمل كده برضوا.

شهاب: عشان دول حيوانات، تخلوا عن أدميتهم، فبقوا زيهم زي الحيوانات فأخذت يدي بين راحتي يدها، واعتصرتها بحنان بالغ، فشعرت بما قد أشعر به، إذا أخذت شيئا أخر لتعتصره بداخلها، لم أستطع أن أسحب يدي في بادي الأمر، فاستعذت بالله من الشيطان الرجيم بصوت عالي.

سحبت يدها تاركه يدي لتصدم بأرجلها، صاحت فيّ:

شهاب أنت تقصد إيه؟ إني أنا شيطان؟

شهاب: لا العفو.

نفثت زفيرا ساخنا، شعرت بسخونته من مكاني ثم بصوت مستكين قالت:

عندك حق إنك، تشوفني شيطانة، عارفه إنك أتفاجئت واصطدمت، بس لما لاقيتك بتتكلم معاهم، قلت خلاص الجو عجبك، أنا مش عايزة غيرك، أنا أساسا قرفت منهم كلهم، ومش مصدقاهم، بس بموت في جلدي، بخاف منهم ينفذ كل اللي بيقولوه.

أنا كنت عارفة إنك بتراقبني قبل الحادثة، مقولتش، لأني كنت مستمتعة بكده أوي، كنت بحس وأنت بتراقبني، إنك بتحميني، مش بتتحرش بيا بعينيك، كانت ودانك بتحمر لما حد يعاكسني أو يضايقني، وده دليل على الغضب أول مرة أعرف النخوة والشهامة، لما شفتك حبيتك وأنت بتتخانق مع الشباب، كنت مرعوبة مش من الأحداث،

مرعوبة لحد يشوفك منهم .. وفعلا بابا شافك، وكان لازم تيجي عيد الميلاد، لأنه شاف أندفاعك، شغفك بيا، خوفك عليا، أنت قتلت علشاني.

تسارعت أنفاسي وأنا أرد عليها وأدافع عن يدي التى لطختها الدماء رغما عني: والله مش فاكر إيه اللي حصل، وعمري ماكنت هعمل كده لو كنت بوعيي.

ردت بكل ثبات وهي تمسك بوجهي: عارفة طبعا إنك مش مؤذي بطبعك، بس الغضب عماك وشحنك بقوة أضعاف قوتك الطبيعية، كنت عامل زي التور الهايج، اللي نطح مصارعه بكل قوته وقضى عليه على مراى ومسمع من الجمهور.

محدش يقدر يلوم الثور، لكن في حالتك، محدش عرف حاجة ولو كانوا عرفوا، كان هيحولوا المذنب لشهيد وأنت قابيل قاتل البشر.

شهاب: أنا مش فاهم حاجة، مخي هينفجر من التفكير، وكنت بفكر ماليش دعوة بيكي تاني، أيوة أنا هقطع علاقتي بيكي كل اللي بينا أنتهي

أمسكت يدي وقبلت أناملها، فإذا بأنفاسها تجتاحني كفيضان يجرف كل شيء بطريقه ويلقي بما جرف على السد فينهار أمام عنفوانه. أغمضت عيني وأنا أبعد فمها عني، فشعرت كمن شق صدره خنجر، فأجتذبه للخارج بعيدا عنه، فكاد ان يموت فأعاد النصل لصدره مرة اخرى .. فاقتربت من ثغرها رغما عني.

وقلت لها بصوت متهدج: شذى، أحميني، أنا بتقطع، خلاص مش هكون معاكي تاني، بعد اللي شفته أنا خلاص مش هغضب ربنا تاني، ومش هعمل حاجة حرام.

شذى: خلاص، نتجوز، أتجوزني دلوقت.

شهاب: دلوقت إزأي يعني.

شذى: أقولك، زوجتك نفسي، وتقولي أنت كمان زوجتك نفسي، وخلاص أبقى مراتك قدام ربنا اللي أنت بتحبه.

قبل أن أكمل سمعت نقرات على باب غرفتها، وضعت يدها على فمي وهي تقف ولازال جسمي ملتصق بمقعد بجوار السرير، وحين تنفست في يدها، تنفست الصعداء، فالتصق صدرها وبطنها بوجهي، تشممت عطر جسدها الداخلي، فاحتضنته فردت على من يطرق الباب بصوت متهدج: أنا نايمة دلوقت.

تعالت أنفاسها، فاقتربت أكثر فأكثر حتى وقفت بين أرجلي تماما تسرح أصابعها بين خصلات شعري وفي كل أنحاء وجهي، كنحات ينحت خطوط مموجة بأصابعه ليصنع شعر السيدة التي يقوم بنحت وجهها الجميل .. لا أستطيع أن أتمالك نفسي، ليس بسبب النشوة، إنما بسبب آخر، أنها تجتاحني، تستطيع بلمسة أن تجمد نبضات قلبي، وبلمسة أخرى تجعل الدماء تغلي و تفور، تكاد أن تمزق شراييني قبل أن تجرأ على لمسة أخرى.

قبلت منتصف بطنها فارتعشت كفراشة ترفرف بأجنحتها فوق آخر زهرة تستنشقها قبل أن ترحل بعيدا عن عالمها، همست في أذني: زوجتك نفسي، فتنفست الصعداء، لقد زال عن كاهلي حمل المعصية فهمست في فمها، زوجتك نفسي على سنة الله ورسوله.

سعاد

تسألني سعاد هل تزوجت من قبل ؟

فاجأني السؤال، حتى كادت تهلك أنفاسي من قسوة ضحكتي، دمعت عيني، فاختلط طعم الملح بفمي الذي من المفترض أنه يضحك

فاعتدلت في نومها، واستلقت على جانبها بدلا من ظهرها لتراني جيدا، داعبت خصلات شعرى الأمامية: إيه مالك؟ بتضحك كده ليه، يبقى شكلك متجوزتش.

شهاب: لأ هو أنا أتجوزت ومتجوزتش، خلفت ومخلفتش، حبيت ومحبتش.

سعاد: ديه إيه فزورة، محزرتش، قولي بقى، مش فاهمة حاجة.

شهاب: ولا أنا.

أزاحت يدها بعيدا عن شعري، قائلا: بلاش الحركة ديه، انا مش مستحمل، وأنت ست متجوزة، وأنا بحب الحلال، تفتكري ده كان حلال؟ علت ضحكاتها في الهواء، فاصطدمت بالفراغ وصخور المقطم، فتردد صداها من حولنا . وضعت يدي على فمها : بس الله يخربيتك، هتودينا في داهية.

سامية

كانت سامية تمر بجواري هي ووالدها، وثمة هناك ما تتحسسه في بطنها، وقتها لم أعرف أنها كانت تتحسس ثمرة حبنا، وأن هناك قلبين ينبضان بجوفها.

أخبرني خالد أن سامية حامل، عرف ذلك الخبر من نسرين صديقة سامية التي كانت تعشق خالد في الظلام فقط .. لأنها أكبر منه سنا، وبالطبع تكبر سامية، فكانت تدرس لأخيها الصغير فور تخرجها من كلية التربية.. التي فضلت أن تعمل مدرسة خاصة لعدد من الطلاب، بدلا من أن تعمل في أي مكان وتكون مسئولة عن عدد كبير من الطلاب بلا مقابل كافي لتسد حاجتها الشرائية، كما أن العمل سيقيد حركتها وانتقالاتها، لكن التدريس الخاص يوفر لها المال والوقت الكافي لتخدم علاقاتها المتعددة.

كانت نسرين المدرسة الخاصة لـ "علي" أخو سامية منذ سنتين ، ومن حينها أصبحت الصديقة المقربة لـ سامية، بحكم إنها تدخل منزلهم الذي كان محرما على من هن في نفس عمرها، فلم يكن يدخل المنزل سوى مدرسة أخيها ومدرسها الخاص الأستاذ شريف.

كانت ملامح سامية تنتمي إلى ملامح الأستاذ شريف، أكثر من قربها لملامح والدها .. لم أحلل الأمر أو أفكر فيه حينها، إنما كان بعد مرور مدة طويلة من زواجي لـ شيرين .. أحببت ملامحها كما أحببت ملامحي التي تشبهها وكأن دمائنا واحدة، أو نشترك في فرع أو أكثر من فروع الأجداد، كل هذا لم يلفت انتباهي ..

أخبرني خالد، أن سامية تحمل طفل ينتمي إلي، فبدأت أتخيل كيف ستكون ملامحه، وهل سيشبهني أكثر أم سيشبه والدته الجميلة ..

لم أستطع رؤيتها، بعد أن أحضرها والدها بالعنف من منزل الأستاذ شريف، ثم سمعت عنها شائعات مختلفة إنها قد سافرت لتكمل دراستها بالخارج، لكن قال خالد ربما قتلها والدها ليغسل عاره المزدوج فكانت تحمل بداخلها ثمرة فعل الرذيلة، وعثر عليها بمنزل رجل أعزب .. وبدافع المواساة المريضة، طالبني خالد أن اشعر بالسعادة، لأن القدر خلصني منها فلم تكن أهلا للحب أو الزواج الذى كنت انتويه.

كانت زوجتي بالفعل، لم أكن أحتفظ بنيه الزواج بداخلي، بل أعلنتها أمامها وأمام خالقة، هي كانت زوجتي بالفعل فقد همست بأذنها زوجتك نفسي، ثم رددتها وهي في منتهي نشوتها، لقد كانت زوجتي أمام ربي، وهذا الذي تحمله هو ابني الشرعي، لم أرد أن تتطور الأمور بيننا لتصل إلى هذا الحد، لم نكن نعرف بعضنا البعض منذ مدة طويلة، لكن حبها تملكني حيث التقيتها في يوم النادي الرياضي،وقبل أن ترحل اقتربت منها، لأخبرها أني أحبها، فوجدت فمي يصطدم بأنفاسها، لم أستطع سوى تقبيلها قبلة تخرجنا من عالم الواقع إلى عالم الأحلام، بعيدا عن الشهوة أو النشوة، احساس يشبه الغوص في بركة من العسل الحلو الذي لا تجزع نفسك إذا لعقت منه المزيد، فتنهم في لعقه فيزيد من جوعك الذي يدفعك للحصول على المزيد والمزيد، وقبل أن تفقد هي سيطرتها على نفسها، اقتلعت فمها من بين شفتيّ، اقتلاعا يشبه اقتلاع الحصاد، سهل وممتع يدعوك لمزيد من الاقتراب لاقتلاع المزيد من الثمار الأرضية.

وفي الليل، قبيل الفجر وجدتها تقف بالنافذة على غير العادة، لم تكن تبحث عني، إنما كانت تنظر إلى القمر الساطع في السماء، فأرسلت للقمر قبله، لقفتها بيدها ووضعتها على قلبها، فابتسمت للحب الذي يمزق أواصري، أشرت لها بيدي لتأتي بالأسفل حتى أراها،

فأخبرتني أنها لا تستطيع، وقبل أن أفقد الأمل، أشارت لي أن اتسلق واجهة المنزل وأصعد إليها بعد ساعة، بالطبع سبقني خيالي إلى غرفتها قبل أن أغادر منزلي، كانت دقات الساعة كسكين تغرز بأسفل معدتي، دقه فاثنين فثلاثة فأربعة .. لا أحتمل المزيد سأذهب الآن.

غرفتها كغرفة أميرة في روايات الأميرات، الإضاءة الخافتة، الرسومات المضيئة، الكواكب والنجوم المتدلية من السقف، السرير الدائري الذي يشبه الوردة، لم أجدها بالغرفة، فسمحت لنفسي العبث بأشيائها، وممتلكاتها قطع اندماجي صوت صرير الباب الذي فزعني، لم أجد سوى السرير لأختبئ، فقفزت عليه وسحبت الغطاء على وجهي، لم يكتشف وجودي من دخل إلى الغرفة، استرق النظر إنها هي، تنتشر قطرات كالندى في جميع أنحاء جسدها، شعرها مبلل يتخلى عن قطرات ماءه بانتظام، قطرة تلي قطرة، تلمس كتفها، تترنح على ظهرها لتصل إلى كعبها الوردي، ما هذا الحلم الوردي "يارب لا استيقظ منه إذا كان حلم، ولا أخرج من حدوده قبل أن تصيبني لعنته، وأحمل ذنبه، أو اجعله حلالا فلا أعصيك"

تفاجأت حين رأتني، لكنها مفاجأة سعيدة، فقد وفرت عليها لوعة الانتظار وإن كانت ممتعة

سامية: إيه ده أنت ليه جيت بدري، لسه الساعة مخلصتش، أكيد إني عايزة ألبس، ومش هاقبلك كده، متبصليش كده، ممكن تخبي وشك، وعينيك اللي عماله تبصلي ديه.

قفزت بعيدا عن السرير: خلاص، أمشي وأرجع لما تلبسي. هكذا قلت وأنا قريب من ظهرها، وبحركة ذكية، لمست أطراف يدي جسمها، فأغمضت عينيها، ربما شعرت مثلما شعرت، فراشات ترفرف أسفل معدتي، لتصنع تيار كهربائي يسري في أنحاء جسدي مرورا بقلبي، رؤيتها

وهي مغمضة عينيها مقطبة حاجبيها، منعتني من إغماض عيني، فشعرت شعورا مزدوج مضاعف بالتيار الكهربائي الذي يشزر منها فيصطدم بجسدي ويتلبسني.

شهاب: ها .. أمشي ولا أستنى، أنا مش عايز أضغط عليكي، بس بجد مش قادر أمشي ومقدرتش اقاوم إني أجيلك بدري عن الوقت، مقدرتش أستني، مش قادر أقاوم رغبتي عشان أكون معاكي، وأنا جانبك بحس إني كامل، مفيش أي حاجة نقصاني، وأنا بعيد عنك بحس إني وحيد، ناقصني كل حاجة.

قالت وهي تزيح خصلات شعري الحمراء عن وجهي: أنا بحب أبص في عينيك، زى اللي بيبص في دوامة وهي بتسحبه، يبقى حاسس إنه هيغرق، لكنه مش مهتم، كل اللي عايزه إنه يفضل شايفها، ومسحور بدوامتها.

شهاب: أنا مقدرش أبعد عنك ومش عايز، تعالي نهرب سوا ونتجوز، محدش هيوافق إننا نتجوز في السن ده وخطوبة والكلام ده هياخد وقت طويل أوي، مش قادر أستحمله ولا تقدر

سامية: طيب، مفيش حل تاني، أنا مش عايزة أهرب وأسيب أخويا وبابا لوحدهم.

شهاب: خلاص، نتجوز دلوقت، ونعمل خطوبة ورسميات زى ماهم عايزين بعدين.

وقد حدث أن تزوجنا من قبل أن أتمادى في تقبيلها ولمسها، فهي زوجتي، لا أعرف إن كان هذا الطعم هو طعم الحلال الذي يدوم تأثيره كشرارات كهربائية غير منقطعة اللمعان والتلألأ كلما تذكرت لحظاتنا سويا

نفس الشعور ونفس الترتيب الذى حدث مع شذى، فقد تزوجنا في تلك الليلة، وتكررت لقائتنا الحميمة لتنير ليالينا، وفي ذات يوم، أخذت يدي ووضعتها على بطنها ثم طلبت مني أن أقبلها، فقبلت بطنها، لكن لم تقابلني الرعشات إنما قوبلت بركلة في وجهي، من أبني الذي بداخلها، فانتفضت مبتعدا عنها، فهدأت روعي بقبلة في ذقني، ثم أخبرتني إنها حام، وقد تأكدت من الخبر ذلك اليوم الذي ذهبت لتزور خالتها التي تدير مستشفى شهير، ثم قامت بعده فحوصات دورية، وبطلب سري بينها وبين الممرضة طلبت منها أداء اختبار حمل في السر وظهرت نتيجته إيجابية، قبل أن أتفوه بكلمة، وضعت يدها على فمي، تهمس بإذني "خلينا نمشي من هنا، نسافر، نتجوز بره ونخلف ابننا ونربيه في بيئة مناسبة، هنا مش هيشوفنا غير واحدة زانية واتجوزت طايش، المجتمع لا هيغفر ولا هيرحم ، والولد هيشيل عارنا طول حياته ، ولو طلعت بنت هتشيل فوق راسها كل ذنوب ومعاصي بنات حواء، ومش هيكون ليهم ذنب في حبنا عشان يشيلوا عاره فوق كتافهم وكمان فوق تربتهم، ولو حد لازم يتعذب ويتحاسب يبقي احنا مش حد تاني.

لم أرفض أو أعارض كل ما قالت، لكن التساؤل المهم أو الأهم على الإطلاق، ماذا عن أهلها؟ هل سيتركوننا لحالنا، أم لن يغمض لهم جفن حتى نلقي حتفنا .. بكت بعينها المرتعدة وهي تخبرني، أنها ستضحي بحياتها من أجلي ومن أجل ابننا، لكن يتوجب علي إخبارها بالحل الأفضل والآمن رمت بكرة ثقيلة من المعدن بملعبي، لا استطيع سوى دفعها بكل ما أملك من قوة، والنتيجة أن تتحرك كرة المعدن فقط لعدة سنتيمترات من الحركة الغير مجدية.

ذهبت إلى المسجد هذه المرة، لا أعرف ماذا يتوجب علي فعله، فهو الراعي الوحيد لي، أريد مساعدته لأرعى عائلتي.

لم أنهي صلاتي، لأجد خالد يجلس على يساري، فقفزت حين رأيته:

شهاب: ماذا آتى بك إلى هنا؟ وكيف علمت مكاني؟

خالد: قلبي دلني يا صديقي، بحثت عنك في كل الأماكن المعتادة لم أجدك، وخمنت أنك هنا، ماذا هناك هذه المرة؟ لماذا أتيت إلى هنا؟

خالد: أنا صديقك، يمكنني مساعدتك، فقط أخبرني، ماذا بك؟

أخبرته بالأمر، ففكر كثيرا، ثم قال لي مالم أتوقع أن يقول:

"هو معنى إنك قلت لها زوجتك نفسي، تبقى مراتك، هو فيه حد شافكم، يعني أنت حر، وإيه عرفك إن اللي في بطنها ده إبنك، ما أنت عارف شذى، داحنا كنا متراهنين عليها وأكيد كل اللي أنت عملته عشان تكسب الرهان، وتفوز عليا في حاجة، كل الحاجات اللي أنت حستها ديه، هتحسها مع أي واحدة هتعمل معها كده، أنت بس عشان معندكش، تجارب .. وبعدين سيبك من الجواز والخلفة، هو أنت قد أهلها، أنت مش عارف مين دول، ويقدروا يعملوا إيه؟ وسيبك من عيد الميلاد واللي حصل، تلاقي المشروب اللي شربته في الأول كان فيه نسبة كحول وأنت دماغك خفيفة متستحملش، ممكن يكون ثلاث أرباعه خيال والربع حقيقي، أنت مش فاكر، لكن خليك في الواقع، إيديهم طايلة وتوديك ورا الشمس، أو ترميك من فوق سطح عمارة، وتكون شهيد الحب، أو تبقى الشاب اللي قتله ضميره بعد ما غلط مع بنت الجيران

شيرين

شهاب، شهاب، أنت معايا؟ سامعني

هكذا قالت شيرين وهي تعتدل بنومتها لتتمكن من رؤية وجهي بعد تنهيدة طويلة: آه ياشيرين، بتقولي إيه؟

شيرين: أنت بتسرح أكتر مابتعمل أي حاجة تانية، ركز معايا شوية ومتفكرش في حاجة وأنا بكلمك.

شهاب: حاضر، يلا قولي يا ستي.

شيرين: فاكر لما اشترطت عليا، إنه لو رجعت شذى في أي وقت، هترجعلها سواء وافقت بمزاجي أو غصب عني.

شهاب: آه فاكر.

شيرين: طيب، كان المفروض تسأل سؤال بديهي، أنا ليه وافقت.

شهاب: أكيد عشان نتجوز، أنا عرض كويس لأي واحدة، وزوج مثالي، رومانسي، وسيم، عندي ميراث، وأسم يشرف أي واحدة.

شيرين: لأ، مش لأي حاجة من اللي أنت قولتها ديه، أنا قبل ما أقابلك أتقدم ليا ناس كتير، زيك أو أحسن، بس أنا كنت برفض، لأن عندي شرط، محدش ممكن يقبله.

شهاب: ده، إيه الشرط ده؟

هكذا قلت بعد أن جلست في مواجهتها ناظرا لعينها، لا أعرف صحة ما ستخبرني به.

شيرين: الشرط ده، إن لو حبيبي الأولاني رجع في أي وقت، أنت هتطلقني، وتسيبني بسلام أرجع أعيش معاه، ولو عايز الأولاد خدهم، بس أشوفهم في أي وقت ويقضوا معايا الإجازات.

فرت دمعة من عيني دمعة مباغتة، لم أتفوه بكلمة، تركتها لتكمل: أنا شفته أول رجل في الكون، حبيته، عشقت وجودي معاه وجانبه، لمسة منه بتحييني، بسمة منه تطيرني فوق السحاب، ضمه لصدره، تخليني أملك الكون باللي فيه، اختفى مرة واحدة، بدون أسباب،

سابلي جواب كتب فيه "حبيبتي الغالية، عرفت الحب على أيدك، وفي عينيك أنت، هي حواء الوحيدة التي سيقبل بها قلبي، لكن أحيانا علينا الانسحاب إذا كان الانسحاب المؤقت هو سبيل العودة والانتصار، سأفوز بك في يوم ما، يوما ما سأعود من أجلك فقط، سنعيش ما تبقى لنا من عمرنا سويا، لا أعرف متى سيأتي هذا اليوم، سأكون وفي لقلبك، مخلص لحبك، وإن لامست النساء، سألمسهم بيدي وبجسدي فقط، لا ألوم عليك فعل أيا كان أو أي ردة فعل حتى لو كان أقسى مما أحتمل، أحبك، حب يكفي الكون وكائناته، سامحيني، أسامحك في أي شيء.

سأعود يوما ما فقط من أجلك. حبيبك للأبد"

حفظت الجواب من كتر ما قريته، بسمعه لنفسي في أوقات الشدة، عشان أهدى، وأخرج من الأزمة

رفضت إني أتجوز أي حد عشان كنت عارفة إنه هيرجع في يوم من الأيام لكن الشرط اللي أنت قولته، ولكل المميزات اللي أنت لسه معددها وافقت، راهنت أن حبيبتك هترجع الأول، مرجعتش كنت ممانعة فكرة الحمل عشان منظلمش حد تأني معانا، ظروفنا زي بعض، كون إننا مع بعض لحد دلوقت ومن الأول خالص، ديه معجزة، أن اثنين عندهم نفس الظروف ونفس الأفكار والإصرار يتقابلوا ويكونوا بيت على نفس الأسس، أكيد ده شيء قدري، لأننا مهما كنا خططنا مكنتش هتظبط ونقدر نوصل للمواصفات ديه.

عقلك ميروحش لبعيد، مكنش فيه بينا أي اتصال جسدي، لكن اللمسات والنظرات وتأثير الكلمات في حد ذاته، بيخليني أوصل لأبعد الحدود، يبقى تفتكر لما هيكون فيه اتصال جسدي، هيكون حالي إيه.

الفكرة من التواصل الجسدي، أنا معاك في السرير، ملكة وسلطانة، عاهرة، عشيقة، زوجة، يعني كل حاجة ممكن تحلم بيها أي واحدة ست، بس برة السرير أنا مش مبسوطة، لو هنفضل مع بعض في السرير لآخر العمر معنديش أزمة، هكون مبسوطة ومش هقدر أفكر في أي شيء تاني لأني مجربتش الشيء التاني ده

أول مانخرج بره باب الأوضه، بحس بالغربة والمسئولية، الهم، الخوف يهاجمني، إني مش هكون سعيدة مرة تانية لو حبيبي الأولاني مظهرش، عمري ماحسستك بحاجة، خصوصا إنك مشغول في شغلك المتجدد والمختلف كل يوم، أنت عمرك شفت حد عنده أملاك وأسهم في كل مؤسسة بالبلد، بدل ما يتفرغ لإدارتهم، يروح كل كام شهر يشتغل في مكان منهم زيه، زي حد عادي، أنت مش مبسوط، بتدعي السعادة، أنا كمان بدعيها يمكن وجود الأطفال هو اللي بيخلينا نحس أن حياتنا عادية وبيملوا الفراغ والألم اللي بيدخل على حياتنا، أنا كمان كان المفروض أكون دكتورة ناجحة، لكن اكتفيت بعيادة جنب البيت عشان أمارس فيها الطب اللي أتعلمته، حتى المساعدة أنت اللي اخترتها عشان تكون عين عليا، أنا مش فاهمة ده لأنك مش واثق فيا، ولا لأنك بتشك في كل الناس

سألتك قبل كده وقولت، إنها بس حماية زيادة لأنها كانت في سلك الشرطة وأخدت تدريبات خاصة.

في حاجة مخوفاك، معرفهاش، لما الأولاد يتأخروا شوية بتجنن، دايما عندك إحساس بالمؤامرة الخفية واللي بتحوطنا من كل اتجاه، معرفش إذا كان ده سبب في عدم شعوري بالأمان، لأنك مجروح، أنت زوج مثالي، وأنت أب رائع، كنت أتمناه وأنا صغيره، عشان كده لو حابب تخلي الأولاد معاك، أنا مش هزعل وهكون مطمنة عليهم بحس

أنك بتحبهم وممكن تضحي عشانهم أكتر مني، بدليل إنك مضيعتش أي وقت إنك تدور على حبيبتك ، لكن أنا كنت بدور من بعيد لبعيد

شهاب: عايز أسألك سؤال، معرفش فكرت فيه ليه؟ أنت راضية عن ربنا؟

شيرين: إيه ده، يعني إيه راضية ديه؟ بس هو يرضى عني الأول، مش أنا اللي أرضى عنه.

شهاب: افهمي بس، يعني راضية عن كل الحاجات اللي أدهالك راضية يكون ربك وأمه بتدين له بالربوبية، طبعا هو ربي، بس أنا مش أمه كويسة، يعني مش بلتزم بالصلاة والعبادات أوي، الصيام طبعا بصوم بس عمري ما فكرت أحج، على طول بفكر في السفر لأي مكان للعالم وأخطط للسفر، لكن عمري ما خططت إني أحج.

شهاب: طيب أنت بتعصيه.

شيرين: مش معصية كبيرة يعني، عمري ما زنيت أو سلمت جسمي لحد غير جوزي في الحلال طبعا، بس بكدب، مش بسرق مش على الطول بطلع الزكاة بالضبط حتى لما باخد منك الفلوس بحس أنهم كتير أوى، يعني نصهم كفاية أو حتى تلات أربعهم كفاية ويزيد، يعني هوفيه كام واحد بيطلع المبلغ ده كله!

شهاب: طيب أنت بتعملي الحاجات الوحشة ديه بمزاجك ولا في حاجة بتدفعك إنك تعملي كده؟

شيرين: قصدك الشيطان يعني، لا مفكرتش، أصلي مش بعمل حاجة كبيرة يعني عشان الشيطان يوسوسلي، أنا مش بأذي حد وبعدين المفروض أن الشيطان مش عايزني مبسوطة، لأنه عدوي، لكن أنا كل الحاجات اللي بعملها ديه عشان أكون مبسوطة بس.

شهاب: طيب وإيه اللي بيخليكي مبسوطة؟

سعاد

ظهر أول شعاع للشمس، ليخترق الصمت بيننا، فاعتدلت لتراقب ظهور باقي الأشعة تباعا لترى الضوء يجتاح الظلام، هكذا وصفت هذه اللحظة "بأنه اجتياح الظلام بواسطة الضوء تماما كانتصار الحق على الباطل، الباطل والظلام وجهان لعملة واحدة، لذا علينا دوما إتباع النور و الاختباء في الظلام، لأن هناك كائنات ترانا بوضوح أكثر في الظلام، فحين لا نستطيع أن نرى كف أيدينا بوضوح، تستطيع هي أن ترى أدق تفاصيلنا الداخلية والخارجية".

أثار فضولي حديثها عن الكائنات، فتساءلت هل تقصد بها الجن والشياطين، فأخبرتني أن المفاهيم لدي مغلوطة وعلي أن أفسرها وأدقق فيها أكثر من ذلك، بمعنى أن الشياطين تنطبق على الجنة والناس، فهناك بشر يمتلكون كم من الظلام أكثر من شياطين الجان ولديهم سلطات أعلى من سلطاتهم لأنهم منذ البداية قد خلقوا من طين وخصائص الطين الفيزيائية أعلى من خصائص النار أما عن الجن، فمنهم من يعيش في سلام، يتعبد بهدوء ومنهم من يعاون الآخرين على جلب الأذى ووقوع الضرر على الآخرين.

فركت فروة رأسي حتى أستوعب كلامها، فابتسمت وهي تعيد كرسي القيادة لوضعه الطبيعي، ثم دعتني لتناول القهوة لأن هذا الحديث مهم ويحتاج إلى تركيز مضاعف.

تناولنا الفطور المحمص مع القهوة المضاف إليها نكهة البهارات في إحدى المحلات التي يمتلكها زوجها ثم سألتني:

شهاب: إيه رأيك في المكان ده.

سعاد: جميل، حلو، الجو فيه ليه نكهة خاصة، ده غير نكهة القهوة المختلطة بريحه المخبوزات الطازجة، تقدر تقولي إيه الحاجات المعتادة هنا، وإيه الحاجات الدخيلة علينا؟

شهاب: لأ مش واخد بالي، أهو مكان غالي وخلاص.

سعاد: غالي بس؟

شهاب: آه والناس المهمة بتحب تقعد فيه.

سعاد: خلاص، ما علينا، أنت لسه قدامك كتير عشان تستوعب حاجة.

شهاب: أنا مش فاهم أي حاجة، هو فيه إيه، أنا حاسس إنك بتعامليني على إني حمار.

ضحكت سعاد عدة ضحكات متكررة وهي تقول: لا، العفو، مقدرش ده أنت حاجة غريبة بس حلوة، أحكيلي أنت طلعتلي منين، ليه بحس إنك مهم وفاضي في نفس الوقت، أنت مين.

شهاب: أنتي بجد بتسألي، ولا ده سؤال بلاغي.

سعاد: آه .. بلاغي

قالتها بسخرية وضحكة مباغتة.

شهاب: عجبتك، أقولك كملي الموضوع المهم اللي كنت هتقوليه، وأكيد هقولك وهحكيلك، أنا فعلا محتاج حد معايا، يفهم ويفهمني، انا تعبت من كل شيء، معرفش أنا دورت عليكي ولا، أنت لاقتيني واستلقتيني، بس مش عارف هتكملي كده ولا هتبقى كابوس في الآخر، ومش هعرف أصحى منه زيك زى أي حد تاني.

سعاد: شكل كوابيسك كتير، الطيور على أشكالها تقع، بس ربنا يستر ومتقعش على جدور رقبتها، فتتكسر، وتموت.

شهاب: والله ديه هتبقى موته شاعرية، تفتكري، بيتهيألي، إني مش هموت بالسهل، لازم هيكون في موتي عبره.

سعاد: ليه بتقول كده، متبقاش متشائم.

شهاب: ده إحساس مش تشائم، فيه حاجات كتير أوي، مش فاهمها ونسيتها أو عملت ناسيها، لكن مفيش حاجة بتنسي كل حاجة بتلف في الدايرة وترجعلك، والوقت اللي هترجعلك فيه متوقف على حجم الدايرة اللي بتلفها قد أيه، وأنا دايرتي كبيرة أوي، وأهو بعد عشر سنين، خلصت اللفة، ودلوقتي جه وقت الحساب.

سعاد: واو، إيه ده، صدمتني، كنت فاكرة، إني لوحدي اللي بفكر كده، بس الظاهر، إن فيه حد تاني، وده شيء مريح ومزعج في نفس الوقت، مريح إني مش لوحدي، ومزعج وغريب إنك إزاي وصلتلي، مفتكرش إن فيه ناس كتير بتفكر زينا كده.

شهاب: فعلا.

سعاد: هو أنت بتراقبني، أنت وصلتلي صدفة فعلا، ولافيه حد بعتك ليا

شهاب: مخك ميرحش لبعيد، أنا حاسس إن الموضوع صدفة قدرية يعني أكيد فيه هدف أكبر من الظاهر قدمنا، السبب إننا نتقابل، وخلاني في طريقك

سعاد : طيب، أنا معنديش غير إني أصدقك، نكمل فطار ونروح أي مكان هادي نتكلم فيه.

شهاب: أنا البيت عندي فاضي، ومتفهميش غلط، أنا حاسس إن الكلام اللي هتقوليه أو هنقوله مش المفروض حد يسمعه غيرنا.

سعاد: هو أنت قاعد لوحدك، مش عندك أسرة، عايش لوحدك يعني.

شهاب: اكيد عندي عيلة وأسرة، بس أنا في الفترة دي قاعد فيها لوحدي بعيد حساباتي.

لم تعارض سعاد أن تأتي معي إلى منزلي، فقط قامت بإجراء عدة مكالمات ثم أغلقت هاتفها المحمول الخاص بالعمل، وتأكدت من الخط الخاص بابنها يعمل بكفاءة من حيث الشبكة والبطارية، ثم رمت بكل ذلك على منضدة في مدخل المنزل، خلعت حذائها، كمن يلقي بعبء بعيد عن كاحله، دارت وجالت بالمنزل تتفقده بدقه بالغة كل تفاصيله الإضاءة، اللوحات المعلقة على الجدران، ألوان الطلاء، الروائح المعطرة، أعتقد من عينها أن كل شيء قد حاز على اعجابها، لأنها بعد ذلك ألقت بجسدها المتثاقل على أريكة تشبه حرف الكاف في اللغة العربية ومددت أرجلها على مقعد يوضع بدلا من الهمزة الخاص بالحرف

اشارت بيدها وهي تقول مستنكرة:

تعالي واقف بعيد ليه ؟ مالك ، مش تيجي تقعد جانبي ولا الصراحة اعتبرتها وقاحة، وقتلت الفضول جواك؟

شهاب: على فكرة كل اللي بتفكري فيه ده مش صحيح، أنا بس رجعتلي كام ذاكرة مش سعيدة، في مواقف مشابهه، حسيت إني اتشاءمت شوية، مش منك، خفت عليكي، كل اللي قعدت معاهم في أماكن خاصة على انفراد، انتهي بينا الوضع بالجواز والحمل ونهاية مجتش لحد دلوقت ولا عارف هتيجي أمتى..

سعاد: متخفش عليا، المفروض أنا اللي أخاف عليك مني ومن اللي حواليا، أنا ورايا مشاكل كتير أوي، جزء منها كفيل إنه ينهي حياتي، أنا عايشة حلاوة روح، بقاتل بس لحد ما أطمن على ابني، وجوده في حياتي خلاني شرسة مقاتلة بقيت أفكر، أحلل، أدقق، أكتب، أسجل مكالمات حاجات عمري ماكنت أتخيل إني ممكن أعملها، ولو كنت أتفرجت عليها في فيلم مكنتش هكمله، لأنه هيكون فيلم سخيف بالنسبة ليا، بعدت عن كل الناس، قفلت حياتي علينا أنا وهو وبس.

شهاب: طيب وجوزك.

سعاد: جوزي، مش عارفة ده قصة طويلة، مش عارفة العيب في مين أنا ولا هو، تعرف حاجة عن الطاقة.

شهاب: شوية، مش متعمق فيها، بس اللي متأكد منه هي أفكار الجذب والطرد، يعني الأفكار السلبية بتجذب كل ماهو سلبي أكتر بكتير من اللي أنت بتفكر فيه، والأفكار الإيجابية بتطرد كام أكبر من حجمها أضعاف من أحداث كانت ممكن تحصل فعلا .

سعاد: معنى كده أن القدر ممكن يتغير.

شهاب: الأحداث الفارقة بتحصل زي الموت والحياة وجودك في مكان معين في وقت معين، مقابلة أشخاص بعينها كل ده نقط فاصلة بتحصل بس المهم هي محورة الأحداث حولين النقط الفاصلة هو ده اللي إحنا بنعمله، فاهمة.

سعاد: أحب افهم اللي أنت فاهمه.

شهاب: بصي، مثلا أنا كان مقدر ليا أني أشوفك في الجيم مثلا، فشفتك فعلا، لكن كان ممكن أشوفك وتقول صباح الخير وخلاص، لكن الحادثة قربتنا من بعض، وده بسبب أني كنت بفكر أوصلك إزاي

سعاد: إيه ده، توصلي؟ إزاي يعني، أنا كده أخاف منك.

شهاب: بصراحة، أنا كنت مشدود ليكي، معرفش، حاسس إني أعرفك، واتكلمت معاكي قبل كده، الكلام معاكي كأنه حصل كتير قبل كده، ومجرد إني بكرر فعل أعتدت عليه، حتى قبل مانتكلم كنت بتخيله، فاهمه

سعاد: آه، فاهمة، مع الأسف.

شهاب: ليه، أنت كمان حسيتي إنك تعرفني.

سعاد: لما وقعت، حسيت إني خفت أفقدك من غير ماتكون ملكي حضنتك، معرفش ليه، حسيت معاك براحة غريبة، حتى حضنك مكنش غريب عليا، كأني كنت فيه قبل كده، بس حضن من نوع مختلف، مفهوش حاجة ممكن تكمل، هو كامل من غير أي حاجة، من غير أي أفكار.

شهاب: أنا كمان حسيت إني مش عايز أفارق الحضن ده، حسيت منتهي الأمان، وده اللي خلاني أرجعلك تاني، وأحس إني خايف عليكي مني ومن اللي أنا فيه، وفي نفس الوقت مضغوط وماشي في طريق ضلمة، ممكن تكوني الشمعة الوحيدة اللي فيه.

سعاد: طيب إحكيلي عنك وعن اللي أنت فيه، أكيد هتوصل لحل.

شهاب: بصي، أنا هحكيلك كل حاجة، بس حابب أسمعك، لحد ما أرتب أفكاري، وأرتب الكلام اللي عايز أقوله، كل حاجة ملغبطة جوايا.

سعاد: طيب، أنا هبدأ الحكاية من الأول من قبل خالد جوزي ... أنا أتولدت وفي بقي معلقة ذهب، مدللة من كل الناس، كنت دايما الأفضل، الأجمل، أكتر واحدة مرحة، بنت لاغني اب في كل ولاد عمامي وحفيدة أغني جد في كبارة العيلة، كنت بشتري اغلى لبس عشان

البسه مرة واتكرم بيه على اي حد تاني، كنت الاميرة والملكة، بس خسرت كل حاجة بسبب الكبر والعجرفة، كنت معمة ومفتحتش عينايا غير لما كل حاجة راحت .. !

ورثت من بابا الغنى ، الكبر ، الغباء ، الكسل ، العجرفة ، العنصرية، حب للدونية .. وبدل ما اون أكتر واحدة في كل الغني والجمال والدلال، كنت اكتر واحد في الصحبة السيئة ، والفشل ، والعلاقات البايظة، والصحاب الشمال، دخلت دايرة ضلمة، ولما حاولت اخرج دلخلت دايرة اضيق منها، دورت على الحب في كل الناس الي مينفعوش واتمسكت بيهم، دوست في كل حاجة ممكن اي بنت ممكن تعملها وتفضل بنت زي ماهي، حاجات كتير اوي سكر ، عربده بارات، خمارات ، أو الديسكو ونوادي قمار، مفيش خطوط حمرا، كله مباح تحت اسم الشغل.

كنت بتكلم كذا لغة بسبب المدارس الدولية، عشان كده لما دورت على شغل يمشي مع كل ده كان "كوول سنتر"

شهاب: وهو شغل الكول سنتر كان هيساعدك ازاي؟

سعاد : بص الشغل ده حلو ومفيد لاي حد بيدور على شغلانه مؤقته عشان يدفع مصاريف تعليمه او عايز يسافر او حتى عايز راس مال يبدا بيه مشروع.

لكن بالنسبة لي، بابا منع عني المصروفومن الطبيعي ادور على شغل، واي شغل غير الكول سنتر مش هيزيد عن الفين، فقلت لماما اني بقبض الفين، يعني يادوبك مواصلات واكل وشرب وكنت بقضيها بخمس الالاف سرمحة، اعمل اي حاجة مش مسموحة، ودراستي مكملتهاش كنت باجل سنة ورا سنة عشان احزنهم واوجعهم.

كنت بعمل دوشة وشبورة حواليا عشان مسمعش صوت نفسي بتلومني، ادمنت كل انواع الموسيقي التافهه والدوشة والحرام والبيئة والشعبية والمنحطة، كنت حافظة اكتر من 400 اغنية يتكسف اي حد محترم يسمعهم مش يغنيهم. كنت بشتم واسب زي الشبيحة، واطلع من بلاعة عشان اتكعبل في مقلب زبالة، من زفت لازفت وازفت.

طبعا كنت بهرب من اني اشوف اي حد بيحبني وانا في الحالة ديه، كنت بحس اني عريانه ملط قدامهم، فضلوا يدوروا عليه ويحاولوا يقابلوني ولو عن طريق صدف مفتعلة لحد ما فقدوا الامل فيا، والى كان بيشوفني كان بيكتئب من الى وصلتله.

لكن فيه واحدة بس مفقدتش الامل فيه، وكانت بتطاردني زي شيتا، عمرها ما زهقت او ملت، كانت على طول بتقولي حاجات تضعف عزيمت على الفشل، لكن كنت بفوق نفسي بسرعه وابقي اسوء واسوء.

كل الي قابلتهم في طريق الشر كانوا بيستغلوني اسوء استغلال، كانوا بيتغذوا على اداميتي لحد ما اختفت، وروح راحت لمكان بعيد اوي واتحبست جواه، كنت باكل كتير اوي او قليل اوي، مالوش علاقة بالجوع او الشبع لكن ليه علاقة انا رغباتي جعانه ولا شبعانه.

حبيت كل الاماكن الضلمة عشان بتظهر جمالي بنورها الخافت، مع السكرانين والمدروخين مش هعمل مجهود عشان اثبت الماسك الي لبساه طول الوقت.

بعد أربع سنين تقريبا اختفت كل حاجة ليها علاقة بالادامية او الانسانية، كان كل الناس بيبعدوا بعد ما ياخدوا غرضهم، وسيبوا مكان لغيرهم فضلت انزل زانزل لحد ما بقيت انا وطبقة الالومنيوم مع بعض في مستوي واحد.

فقت في جواز اختي الصغير، كان فرحها مهزلة الناس يروحوا يهنوها وييجوا يوسوني لم يصفعني سوى زواج أختي الصغرى ، كان الحضور يهنئونها ، ويواسون أحزاني ساعتها حسيت انا عملت في عمري ايه ورايحة على فيين، واحدة بس جت خدتني في حضنها غصب عني ، كل مرة كنت بقدر اصدها لكن تقريبا كنت اضعف في الفرح.

حضنها ده حاجة تانية تقدر تحس انك رجعت بطن امك تاني، منتهي الامان والدفي و السكينة الى مش ممكن يحس بيها انسان غير قبل ما يتولد، كنت زي الي هيموت مرت حياتي قدام عيني زي شريط ، همست في ودني " خليكي معايا ، متبعديش تاني " ، رديت عليها وانا بمنع نفسي من العياط : " أمسكيني ، متسبنيش، حتى لو إيه حصل "..

فضات بعدها اطلع من بلاعة واتكعبل في مقلب زبالة لحد ما جت واحدة جديدة للساحة وفضلت تحاربني عشان ابعد وكنت خلاص مش قادرة لا اصد هجوممها ولا احربها، وكان ربنا استجاب لدعوة حد صادق فسيبتلها الساحة، واتعرفت على ناس اقل في الفساد اخرهم كافيهات وخمسات بالعاربيات ومعاهم قابلت ت إحسان دكتور بالدفاع الجوي ، اول ماشفني مشلش عينه من عليه، وفضل يتنقل على الكراسي لحد ما قعد جانبي:

إحسان: سعاد، إزيك أنت مش فاكراني، أنا إحسان.

سعاد: إحسان؟

إحسان: آه، إحسان، كنا سوا في المدرسة، إفتكرتي؟

سعاد : بحاول .. معلش ساعدني شوية، يعني كنا أصحاب؟

إحسان: مش بالضبط.

سعاد: إزاي يعني؟

إحسان: كنتي صحبتي الخيالية.

سعاد: مالك.

إحسان: يعني، كنت بقعد أراقبك، وأتخيل إننا أصحاب.

سعاد: والخيالات ديه وصلت لفين بالضبط.

فتحرج إحسان من أسلوبي الهمجي، وهو يقول لأ، حضرتك، متفهمنيش غلط.

سعاد: حضرتك، ربنا يكرم أصلك، حلوة منك حضرتك ديه.

إحسان: طيب، هو أنتي بتتريقي عليا، ولا أيه، مش فاهم.

قطعت سرد سعاد بانطباعات وجهي على كلامها، فقالت لي : ايه مالك .. اسكت ولا اكمل؟

شهاب : لا خالص كملي معاك

سعاد: بس يا سيدي كان بيسالني وهو بيلزق النضارة في وشه ، مكنتش هتقع بس كان متوتر فبيحاول يشتت توتره باي حركة، طبعا كان متوتر عشان حس اني مش مهتمه بكلامه، بس الحقيقة انا كنت بحاول امنع نفسي افتكر ايام المدرسة.

هذا ما قالته سعاد لكن ما ادركته ان إحسان كان لامعا حقا، يتبارى مع نفسه من أجل الأفضل على الإطلاق، استطاع ان يحافظ على براءته كل ذلك الوقت، لم يتغير، حافظ على مستواه الاجتماعي، أنهي دراسته، وجمع بين حلمين للغالبية العظمى من الشباب، دكتور وضابط بنفس الوقت، ياله من محظوظ.

ثم عادت لسرد قصتها مع إحسان

إحسان: انت بتتريقي عليا

سعاد: لا يا سيدي، مش بتريق عليك، أنا بنكشك بس، بهزر معاك يعني، ولا ملكش في الهزار.

إحسان: لأ أكيد، طبعا بحب الهزار، بس يمكن مش مصدق إني بهزر معاكي، وقاعد جنبك.

سكتت سعاد لبرهه وهي تتحدث، ربما هاجمتها إحدي الذكريات التي تحاول تشتيتها، لكنها تمالكت أعصابها وأكملت

"لمعت عيناه وهو يتحدث معي، فعرفت أنه صادق، لم أر لمعانا بعيون أحد منذ زمن طويل، كنت من هؤلاء اللائي تلمع أعينهن عندما يشعرن بالإثارة، لكن لم أعد بالطبع منذ وقت طويل، عدم النوم المنتظم، تناول الكافيين، تدخين النيكوتين، تناول الأطعمة سريعة التحضير، شرب الخمر باستمرار، كل ذلك كان ليطفأ مضغة القلب وليس لمعان العيون فقط.
ما هذا؟ هل هذا هو الضمير الذى عاد من الموت ليتجسد وينعت نفسه بالإحسان هل لازالت تحت تأثير الكحول؟ متى آخر مرة تناولته؟ لا أتذكر؟ أمس كنت بالسيارة مع إحدى الآفات من صديقاتي اللائي يستغلين علاقتي بهن للتواجد بجواري، لإضفاء بعض اللمعان الخاص بي عليهن فيصبحوا مرئيين أو في مستوى الإناث المرغوبين، فتجد شيء من المصلحة المتبادلة هي تقلني بسيارتها من وإلى المنزل فتقوم بعمل الغطاء الشرعي أمام أسرتي، وأنا أعطيها حضور أمام من تود أن تصادق، لقد تعاركت مع صديقها، انطلقت بالسيارة لإحضار الشراب، ثم رجعنا لمنزلها المستقل، ظلت تشرب وتشرب حتى انتابتها الرغبة الملحة بالجنس فلم تجد أمامها سواي، فلم يكن ما يمنع من استغلال جسدي، مبررة ذلك أننا أصدقاء منذ الصغر، وهي على دراية بما

أمارسه مع أصدقائي الذكور، فستراعي ذلك، لن تخدشني بل ستكون أكثر نعومة صدمة وصمت لمدة تزيد عن الثلاث ثوان، ثم دفعتها بعيدا، ودخلت للحجرة التي كنت أنام بها، أغلقت على نفسي، ظلت تنقر على الباب وتتحدث حديث أعي تماما إنها لن تتذكره لكنني لن أنساه ظلت هكذا حتى نامت، وسمعت جسدها يرتطم بالأرض، حتى غفوت قليلا، وفي الصباح اتصلت بأحد الأصدقاء ليأتي ليقلني للمنزل.

إذن كل هذا لم يحدث أمس إنه منذ شهر أو أكثر، لأنها بعد ذلك أجبرتني على الاستقالة، لأنها لا تريد أن ترى نفوري منها بعيوني، كرهت كل ما تذكرته، كرهت نفسي، كدت أتقيأ حين تذكرت"

اهتز جسدي فجأة حين رن هاتفي المحمول ، فوضعته على وضع الصامت ، ثم التفتت اليها: سوري إني قطعتك كملي يا سعاد.

تنفست بقوة وكانها تحاول ان تجبر نفسها على العودة للماضي مرة اخري:

إحسان: أنت كويسة، حاسة بإيه؟

سعاد: معرفش دايخة وحاسة إني هرجع؟

إحسان: أنت مكلتيش من أمتى؟

سعاد: مش فاكرة.

إحسان: ديه أعراض هبوط، معاكي عربية، ولا أوصلك؟

سعاد: لا، مش معايا.

إحسان: طيب، يلا نبعد عن الدخان ده شوية، وأكلك حاجة بعيدة عن التلوث.

استئذن الحضور بكل أدب، ثم انصرفنا، كنت أشعر بإعياء شديد لكنني استطعت تمييز نظرات الغيرة والحقد بعيون البنات الأخريات اللاتي لم يستطعن أن يحظين بلحظة منفردة معه.

فتح لي باب السيارة ، قاد بكل نعومة ، لم أتذكر إنه مر بحفرة أو مطب ، كان حريص ألا يشعرني بالأعياء مرة أخرى ، توقف أمام السوبر ماركت ، ذهب ليحضر لي أنواع مختلفة من الشكولاتة الألمانية، وبعض ثمرات الفاكهة الطازجة، عصائر فريش، حليب غني بالفيتامينات والكالسيوم

ظل يدللني كما كان يدللني والدى من قبل، أحببت ذلك الشعور المفقود، لقد كان شعوري المفضل، إنها لحظاتي التي لا أنساها أبدا، وهل يتسنى لي أن أنسى ما قد فعلت، كأنني استيقظت للتو من سبات طويل، قامت خلاله حروب شنعاء، خسرت كل جولاتها ماذا فعلت بنفسي، هل جننت؟ لم أجن فقط إنما وصلت لحد المجون ليت هذه اللحظة لم تنتهي

إحسان: ها أحسن دلوقت؟

قالها وهو يخشى أن تلمسني يده، فيزعج جسدي بما قد يشعر به من حنين، لم أشعر إلا وأنا ألقي بنفسي في أحضانه لا أريد أن أفقده، لم أشعر إنني بحضن رجل، لم يثر، ضمني إليه وحوطني بأذرعه وهو يهمهم:

إحسان: أنت فيكي إيه، مالك كل حاجة هتكون كويسة، ده وعد، هخليك أسعد واحدة، مش عايز منك أي حاجة، عايزك بس تكوني مبسوطة، وسعيدة، عينك بتلمع زى الأول؟

سعاد: أنا، كويسة، مش عايزة حد، مش عايزاك، أنا كويسة.

إحسان: ششششش، أنا عارف إنك كويسة ومش محتاجة أي حد، بس حابب أكون جانبك ومش هضايقك.

بالطبع كنت أريده بجواري، وأعي إنني لست بخير، لكن لا استطيع أن اظهر ضعفي، لن أقتل كبريائي، كما قتلت كل شيء أخر، حتى وإن لم يكن كبرياء وكان كبر بداخلي، لن أقتله، سأبقى عليه أو على ما تبقى منه.

كان يعاملني كملكة يخشى أن يفقدها، لم أظهر له اهتمامي ولو ليوم، لكنني مللت حياته العادية، التي تخلو من أي شيء مثير، فكان علي أخذه لحياتي، ولأنه يحبني ويخشى أن يفقدني، سار خلفي كظلي لكن الظل ولأول مرة يساعد صاحبه، لقد كان برئ حقا.

ففي أول عيد ميلاد لميعادنا الأول كعشاق قرر إقامته في شاليه العين السخنة الخاص به، فعل كل ما قد يُفعل أو لا يُفعل ليسعدني، حتى صديقتي التي كانت قد جرحت مشاعري دعاها، وحين أتت، صفعها لأنها جرحت مشاعري، صرخت بوجهه:

صديقتي: أنت فعلا كده راجل، لما بتضرب واحدة ست كل ده عشان تفوز بيها، متخفش، هي عايزاك أكتر ما أنت عايزها، هي كده، بتعرف كل واحد عايز إيه وتعمل عكسه، عشان تضمن أنها هتاخد اللي هي عايزاه، كل حاجة عندك، هي عايزاها ومحتاجها وبالذات فلوسك ومشاعرك، ولو كنت زبال مش دكتور كانت بردو هتاخدك وهتحبك.

إحسان: أخرسي يا سافلة

ثم قام بصفعها مجددا، لكنها نزفت، فأصابه الذعر فجرى لسيارته ليحضر حقيبة الإسعاف الأولية، أوقف نزيف فمها وعقمه، ثم اعتذر لها، كان يعتذر لها وهو يجلس بجوارها على الأرض، فاقتربت منه بحجة

أن يرى أن كان فمها مازال ينزف، حاولت إثارته، أثار بالفعل، لكنه أبتعد عنها، وطلب منها الرحيل في هدوء وعدم التعرض لي مرة أخرى، غادرت وهي تسبنا نحن وآبائنا.. لم يبالي، كان ينظر إلي حتى يتأكد أن مزاجي لم يتعكر بسببها وأن ما فعله قد أرضاني وأراح صدري.. أغلق الباب خلفها، فنظرت بالساعة وأنا اسأله:

سعاد: إحنا هنروح أمتى؟

إحسان: إنتي مش قلتي لهم إنك عندك دوام إضافي الليلة ديه.

سعاد: يعني أنت عايزني أقضي معاك الليلة في الشالية، أنا وأنت بس.

إحسان: لا مقصدتش، أنا هبات تحت وأنت خليكي فوق، أنا بس عايزك تغيري جو وتنبسطي، عشان لما نرجع القاهرة عندك مقابلة شخصية عشان الوظيفة اللي قولتلك عليها.

سعاد: أنا واثقة فيك، بس مش عايزاك تاخد فكرة وحشة عني، أو تصدق الكلام اللي قالته الـ .. ديه.

إحسان: لا طبعا، أنا بحبك، شايفك حبيبتي وعايزك تبقي أحسن واحدة.

سعاد: حبيبتك!

إحسان: آه طبعا.

سعاد: مش مراتك يعني؟

إحسان: مراتي، ياريت.

سعاد: طيب وإيه المانع.

إحسان: يعني أنت حابة تكوني مراتي.

سعاد: أحب أي حاجة معاك، أصبلك كاس؟

إحسان: لأ، أنا هاخد كانز ده.

سعاد: ده حاجة جديدة، آه هدية من واحد صاحبى ظابط.

إحسان: طيب، هات حبه، خلاص أنا بق وأنت بق.

كان شرابا ممتعا حقا، شعرت بأول رشفتين، لم أشعر بأي شيء آخر، سوى الشمس تحرق جلدي المبلل بمياه البحر، استيقظت لأجد نفسي عارية، قدماي بالماء وجسدي كله مستلقي على الرمال، ملابسي الداخلية طافية على سطح الماء، لم يكن إحسان بجواري، وأرى من كانوا يلتقطون الصور الفوتوغرافية أو تصوير فيديو، بالشالية المجاور، لم يقترب أحد أثناء يقظتي، فقط يكتفون بإمساك أعضائهم كناية عن رغبتهم الملحة في ممارسة الجنس معي، هكذا تسمرت مكاني، تمنيت أن أكون داخل كابوس، سيأتي أحدهم لكي يوقظني، لأني لم أبتعد كل هذا الحد، لم أبع نفسي، لم أصبح عاهرة، لازلت أنا سعاد من فعل بي هذا؟ دارت برأسي كل أنواع الاسئلة المنطقية: كيف جئت هنا على الشاطئ؟ كيف تعريت؟ وماذا فقدت مع قطع الملابس المنثورة حولي؟

فالفستان ملقي على عتبه الشاليه .. أكاد أبتلع أي شيء، حلقي جاف، أجزاء عدة في جسدي تحرقني، ربما بسبب الشمس والملح، أيضا أجزاء داخلية مني تؤلمني، هل فقدت عذريتي؟ ماهذا الهواء لايتحرك، البحر ساكن، لايوجد صوت للعصافير، فقط أصوات الناس الذين يريدونني أن أسمعها ربما أستجيب لأصوات رغباتهم الملحة، ولماذا لاتكون ملحة في وضعي هذا، إن كنت مرتدية ملابسي وصديقتي الأنثى طمعت بجسدي، ماحال أولئك أليسوا بشر يشعرون، بلا صرنا جميعا حيوانات، لا نفكر إلا في أعضائنا، معدتنا، مؤخرتنا أو مقدمتنا، هل

مازال لدي القدرة على السخرية، ممن أسخر، علي أن أقف الآن، عارية كما ولدتني أمي، بكل ما للعار والدونية من كلمة، أحاول الوقوف هناك ثقل يمنعني، أحاول الوقوف فأسقط مرة أخرى يكاد قلبي يتوقف، لا أكاد أتنفس ها أنا، لكن بدلا من الوقوف، فتحت عيناي لأرى إن إحسان يرقد فوقي، لا استطيع تحريكه أو زحزحته، أو إخراج نفسي من أسفله، لا أستطيع أتذكر ماذا حدث.. يا الله، يالي من مريضة، ألقي بفشلي على الآخرين استخدمت إرادتي فقط لأعاقبهم وأنتقم لهم من نفسي، كأني أعاقبهم على أنهم أنجبوني دون إرادتي، وهل كانت لي أو لهم حرية الاختيار، لم يفعلوا أكثر مما أفعله إلا بقليل وفي إطار شرعي كونهم، أغبياء، متكبرين، متعجرفين، استغلهم الآخرين، أو استغلوا نقاط ضعفهم ليحتالوا عليهم ، ويصنعوا الثروات.. من أنا لأنصب نفسي حاكمة ومنفذه لحكم الخالق؟

بدأ إحسان باستعادة وعيه، وكان أجهزة جسده إستعادة نبضها مرة أخري، حين تحركت رأسه رأيت أشعة واكتشفت إني عارية تماما وهو مستلق فوق جسدي شبه عار سوى من ..

حاولت أن أسترق النظر حولي، إنهم الجيران يصورون ما يشاؤون، يصدرون أصواتا جنسية.. أكاد أن أختنق وإحسان بكل جسده الثقيل يرقد فوقي، شعرت أني سأفقد حياتي إذا لم يتحرك من فوقي، وسأفقد آخر أشيائي إن تحرك، هناك صوت يشبه صوت سيارات الشرطة، دفعته بكل قوتي، أسرعت للداخل ارتديت فستاني قبل أن يظهر وجه الضابط الذي يتقدم رجال الشرطة الآخرين:

سعاد: أيوه أقدر أخدمك في إيه؟ هكذا سألته بعين لا تعرف الحياء

سعاد: مين حضرتك،

الضابط: عندي بلاغ عن أعمال منافية للآداب بتم هنا.

سعاد: حضرتك عارف الشاليه ده بتاع مين ومين اللي نايم فوق.

الضابط: نايم فوق ولا مغمى عليه عريان على الشط.

سعاد: معاك إذن بالقبض والتفتيش؟

الضابط: لأ.

سعاد: طيب حضرتك تقدر تتصرف من غير أذى، ممكن أسيبك تعمل اللي أنت عايزه، بس والله هتتأذي أكتر من الأذى اللي هيصيبنا بكتير، طبعا عارفة، إن موقفنا ميسمحش بالتبجح، بس لحسن حظي، إني هنا في المكان ده، لسه فيه فرصة إني مفضحش عيلتي، أنا خلاص أتفضحت، بس يمكن فرصة أرجع، أنا بخاطبك كإنسان، مش كعاهرة، والقرار يرجعلك.

الضابط: شكلك بنت ناس، معاك حق، معملتش الورق قبل ما آجي، بس مش كسل، لكن معرفتش اطلعه على العنوان ده لأنك عارفة ده بتاع مين.

سعاد: بالظبط كده، أكيد ربنا بيديني آخر فرصة، صدقني هغتنمها، ومش هضيعها، كفاية أوي اللي حصل لحد كده، أشكر موقفك، وأكيد هتلاقي حد يردلك الإحسان ده.

الضابط: مش عايز إحسان بس عايز الناس يكون عندها شرف أو أي حاجة كويسة، انا زهقت بالعوم ضد التيار، والكل بيحاربني وماليش ضهر.

سعاد: حافظ على بطنك، ضربة واحدة ممكن تموتك.

الضابط: يعني أنا أموت وأمثالك يعيشوا.

سعاد: أنت هتموت هتروح الجنة، لكن أنا مكاني الأرض ولو مت دلوقت أكيد هاروح النار، بس أنا مكاني هنا أو هناك عارفاه، هنا نار وهناك نيران.

الضابط: مين قالك، يمكن بس أنا شريف في شغلي عشان يتقال شريف وأعمل سمعه كويسة وأكسب حاجات تانية، وممكن أكون بره الشغل، أو بستغل شغلي عشان أوصل لحاجات تانية.

سعاد: نعم تقصد إيه.

الضابط: بصي، الموقف ده عبره ليكي وليا، بس يارب نعتبر، سلام.

أنصرف الضابط بعد أن جفت عروقي من الدماء وامتلت بحمم بركانية صعدت لأعلى، تحممت على السريع، ارتديت ملابسي، أخذت أموال من حافظة إحسان، طلبت سيارة تقلني، خرجت لإحسان على الشاطئ، ايقظته، استعاد وعيه بعد أن فزع منه، لم أترك له وقت ليستوعب الموقف أو يتكلم:

سعاد: يلا قوم بسرعة، البوليس كان هنا، أنا ماشية، عشان أكيد أهلك فالطريق

لم يتفوه بكلمة، نظر لي وأنا مرتدية ملابسي، ثم نظر لأطرافه المتدلية، لن أنسى نظراته أبدا.

عدت للقاهرة، أتصلت بقريبتي، التى لم تتخل عني أبدا، وذهبت لها:

سعاد: شمس، أنا عارفة، إنك لسه بتحبيني ومش شايفاني زيهم، ساعات كنت بحس إنك بتحبيني زى مامتي بس بطريقة أحسن، مش بتقيديني، ولا بتتهميني، بتحميني أكتر من بابا من غير ماتستني إني

أحترمك في المقابل وأنا ممكن أكون مش شايف إن عندك مقاومات الاحترام ده.

ضمت شمس يدي بين يديها وهي ترد على كلامي:

شمس: سعاد، يمكن فارق السن بينا مش كبير، الصح إنك تكوني زي أختي الصغيرة، لكن فرط حبي ليكي خلاني أحسك زي بنتي وإن كنت نسبياً هتكوني أكبر منها بكتير، أنا بحبك في كل أحوالك، وكنت واثقة إنك هترجعي في الوقت المناسب، ولسة عندي الثقة ديه، ولآخر مدى. ومقابلتنا ديه مش هيترتب عليها أي نوع من الالتزام أو المسئولية، ولو لسه حاسة إنك لسة عايزة ترجعي لأصحابك وكل اللي كنتي بتعمليه، إرجعي وأنا هستناكي.

سعاد: لأ خلاص أنا خلصت ورجعت، بس عايزه مساعدة، مش هعرف أرجع لوحدي، هتساعديني.

شمس: طبعا.

سعاد: هتستحمليني؟

شمس: أكيد ومش هتقل عليكي، هكون موجودة في الوقت اللي أنت محتاجاه بس، مش هخنقك ولا هحاسبك، على أي شيء كان.

سعاد: يعني ممكن أحكيلك أي حاجة من غير ماتخافي أو تفزعي؟

شمس: أي حاجة، هسمعك وهقولك زى اثنين أصحاب، محدش له الأفضلية، على التاني أنا مرآيتك.

سعاد: أتفقنا.

سردت لشمس كل ماحدث معي، حتى آتى أمر الله ليردني إلى صوابي، لو لم تحدث هذه الصدمة الأخيرة ماكنت لأرد لصوابي، أو

أقدم على الخطوة، المشكلة الداخلية التي سأعاني منها إني أحببت إحسان، بالرغم من عدم حبي لأي أحد من قبل، أحببت قبلته المستحية، أحببت لمسته البريئة، حضنه الآمن، حقيقتي العارية أمامه، وحين سألته عن كوني زوجته، كنت أتساءل بالفعل عن إمكانية زواجنا، بالرغم من إنه قد أخطأ في تفسيرها على إنها درب من دروب الإثارة .. لكن حتى ذلك الرد وذلك التفسير قد أجاب عن السؤال نيابة عنا، بالإضافة إلى الفضيحة وصورنا التي ستنتشر في كل مكان، فليس هناك أمل لأي شيء قد يجمعنا سوى فراش عابر.

لم تكن شمس تشاركني الرأي، لازال كلامها يرن بأذني:

شمس: بصي يا سعاد، الحب مالوش قيود، لو بيحبك بجد هيرجعلك وهياخدك حتى لو في ملاية، لكن المشكلة هنا مش الوضع والعرف والمجتمع، المشكلة هنا إنكم مش هتقدروا تعرفوا إذا كنتم بتحبوا بعض فعلا ولا لأ؟ بسبب تدخل حاجات كتيرة جدا، أولها أنت كنت حلم قديم عنده، لاقاه بعد مافقد فيه الأمل، وممكن يكون قريب منك بس عشان يحقق حاجة معرفش يوصلها قبل كده، وده نوع من أنواع الحب للذات مش ليكي أنت، كمان أنت فقدتي حاجات لاقتيها معاه وبالشكل اللي بتحبيه، فرغبتك بأنه يكون مصدر السعادة الدائم لأنه مصدر جيد، وكان أيام عزك، فوجوده بيحسسك إن مفيش حاجة أتغيرت وكل سنين العربدة والضياع محصلتش، يعني ممكن عقلك يقولك إن كل الوقت السيء هي السنة اللي قضيتها مع إحسان مش كل السنين اللي قبل كده، وكويس إنه ساعدك خلال السنة ديه إنك تخلصي السنة اللي باقية ليكي فى الكلية، وكده إحنا ممكن نعالج المشاكل الداخلية الأول وبعدين نهتم بالاهتمامات الخارجية اللي ممكن تتغير أول ما أنت تتعافي وترجعي سعاد اللي عرفتها واللي عارفة إلي جواها كويس.

سعاد: طيب انا عايزة كل حاجة فى نفس الوقت، عايزة أخلص من كل الحاجات الزفت اللي متعوده عليها، وعايزة إحسان، وعايزة كل حاجة ترجع كويسة، كفايا العمر اللي جرى.

شمس: العمر مرحش كده، كل ده اعتبريه تجارب هتثقل تفكيرك وهتجنبك الوقوع في الخطأ، وهتقفل باب كل الإغراءات في وشك، يعني إنت كده فوق الإغراء، وده هيفيدك في الشغل اللي هتنجحي فيه وهتعملي أسم كبير.

سعاد: طيب والبيت، هعمل فيه إيه، مش طيقاه، مش حابه أرجعله.

شمس: ده كمان هنصلحه، طالما عندك الإستعداد والنية، كله سهل

بالفعل قامت شمس بكل المهام الصعبة عوضا عني، لم تدفعني للاعتذار لأحد سوى الاعتذار لنفسي ، ومحاولة التصالح معها، والتعرف على نقاط قوتها وضعفها في الحقيقة، اكتشفت إنني من المميزين في هذا العالم الذين أخصهم الله بصفات ومؤهلات عدة تجعلهم يتغلبوا على كل المصاعب التي تقابلهم مهما كانت ، كل ما اعتقدته أنه وسيلة للتنغيص على سعادتي، أتضح إنها وسيلة مساعدة، وهبه لم يحصل عليها الكثيرون.

مثل الذاكرة الحادة التي ربما تعود إلى عمر السنة أو أقل، أتذكر مواقف، أشخاص، كلمات، أماكن، أغاني حوادث لأشخاص مهمين في حياتي كل ذلك كان يزعجني، لكنني عرفت بعد ذلك أن الأشخاص الذين يتذكرون طفولتهم جيدا أو حتى منذ فترة مهدهم، لديهم القدرة على التحليل الجيد للأمور، يتبعه عدم التعرض للمرض النفسي، نعم لم أكن مريضة نفسية، أو أعاني من أي اضطراب، لقد تفننت في

الفشل مثلما أجدت النجاح، الفشل بالنسبة لي كان تحد جديد، هل سأجتازه، كما كنت أجتاز النجاح ولا أقف عنده لقد كنت أمارس الفشل، كمن يمارس الطقوس بخطوات ثابتة، موضحة بدليل كتاب الفشل، فصنعت ذكريات وصور في الفشل مثلما طبعت ملامحي وذكرياتي في كتاب النجاح، حرصت على المرور بكل مشاهد السينما التي تناولت الفشل، من الأقل وطأة للأكثر فجاجة، لم يكن يؤرق الطريق للعلاج سوى حنيني إلى إحسان، اكتشفت أنني بحماقتي شوهت أكثر الصور التي أردتها أن تعلق على جدران قلبي، بالرغم من محاولاته المستميتة للوصول إلي، إلا إنني جعلته يسلم بالفشل، لكي لا يصل إلي، إلا إذا أردت أنا ذلك، ثم أستكان وتقبل الأمر، منتظرا حكم بالرأفة سيصدره قلبي، حالما يتملك منه الشوق والحب الذي يتعاظم في البعد أضعاف مضاعفة من القرب والوصال .. لم أتوقف كثيرا عما إذا كان قد حبني فعلا أم لا، لأن الإجابة واضحة، فهو لم ينسق إلي ويتمادى في الانحلال إلا ليرضيني ثم تملكت الرغبات من نفسه تفاعل طبيعي، نتيجة الانغماس في الشهوات والملذات، أي منا قد يكون نموذج جيد للنجاح إذا أراد وللفشل إذا استكان واستسلم للعقبات.

ذات يوم قالت لي شمس إنها تنتظرني في الحديقة التي أعتدنا أن نقوم فيها بجلسات التأمل والتطهر، فذهبت لأجد إحسان بانتظاري، عيناه متورمتان، تحيط بهما هالة من السواد، ضعف بنيانه، يرتدي مالا يحب من الألوان، كنوع من جلد الذات لمضاعفة الشعور بعدم الراحة، رأيته فتوقفت ونظرت إلى البوابة، لأقيس المسافة هل إذا جريت سيستطيع أن يصل إلي قبل أن أصل إلى تاكسي، ليقلني بعيدا عن المكان، لم ألبث أنظر إليها ألا وأن جرى في اتجاهي حتى وجدت أنفاسه اللاهثة كماكينة للبخار تجتاحني، تطيح بقوتي المزعومة، فضممت رأسه إلى كتفي، احتضنت ما استطعت عليه من أجزاءه

المبعثرة، بللت دموعه ملابسي، فانهمرت شلالات دموع إحدى عشرة عام من الموت على قيد الحياة، لم أبكي طيلة المدة المنصرمة، لم أسمح لعيني أن ترمش، لم أسمح لقلبي أن يشعر، لم أسمح لأذني أن تسمع ما قد يهدد تحقيق القرار الذي قد توصلت اليه بعد عناء.

إحسان: وحشتني ، كل حاجة فيك وحشتني.

قالها وهو يضمني بقوة، لم يعد المكان مناسب بعد ذلك، بدأ صوت بكاءه يتعالى.

سعاد: ششش بس، يلا طيب، نمشي نروح نقعد في أي مكان تاني.

إحسان: طيب، طيب تعالي معايا البيت.

سعاد: لأ.

إحسان: أنت خايفة مني؟

سعاد: لأ خايفة عليك.

إحسان: بس انا عايز أكون في حضنك

قالها و أنفاسه تتسارع وكأنه سيبدأ في البكاء مرة أخرى.

سعاد: طيب، خلاص هاجي معاك، بس ده مش معناه أي حاجة، إحنا مرجعناش لبعض ولا ننفع لبعض أصلا.

جز على أسنانه وهو مضطر ألا يعترض على كلماتي، قاد السيارة من صلاح سالم إلى التجمع الخامس بسرعة جنونية، لم أراه يضع قدمه على المكابح، فقط البنزين، يمسك المقود بيد واحدة ويمسك يدي بيده الأخرى، حتى عندما كان يقوم بتغيير سرعات السيارة ...

سعاد: إحسان، أنا مش عايزة أموت دلوقت، ومش هطير، ممكن تسوق عدل.

إحسان: خلاص إحنا وصلنا.

سعاد: أنت قطعت الطريق في عشر دقائق.

لم أكن أنظر للطريق أو أنتبه إلى معالمه، فقط أتأمل ملامح وجهه التي قد لا أراها مرة أخرى، فقد أرادت شمس أن تجعله وداع لائق وداع أخير، أعرف ذلك حتى دون أن تخبرني بدوافعها لهذا الميعاد وبما أنها أقدمت على تحديده الآن، فذلك يعني إني أصبحت مهيأة لاتخاذ القرار السليم.

سألني إحسان: تحبي تقعدي فين، في الريسبشن؟

سعاد: يلا أدخل أغسل وشك وانا هحضر الفطار.

إحسان: طيب ماشي، بس أوعى تمشي.

سعاد: لا، متخفشي أنا هعملك فطار هتاكل صوابعك وراه.

إحسان: بجد.

سعاد: آه والله.

قلتها وأنا أقف بقربه أمسح ما تبقى من رذاذ الدموع حول جفونه التي زاد تورمها، قمت بإعداد الإفطار ووضعت بجواره قوالب الثلج، تحمم وارتدى ملابس جديدة، هذه هي عادته عندما يكون متوتر ولا يشعر بالأمان، معنى ذلك إنه يعتقد إنني لن اقتنع بما هو مقدم على إخباري به

إحسان: أنا جعان أوى

قالها وهو متجه ليجلس على منضدة الطعام فمنعته وأخذته الي الأريكة حتي أضع رأسه على رجلي، فأقوم بعمل كمادات ثلج ليفك التورم المتراكم.

منذ آخر مرة رأينا بعضنا البعض، لم يضع رأسه على رجلي، فجاء معي بكل استكانة، لم يرح رأسه علي فحسب، بل دسها في معدتي ولف يديه حول خصري.

كنت مصممة الا افقد رابطة جأشي ، قررت الا أقترب منه مهما حدث، ظللت متماسكة أثناء كل ذلك، لكن عندما نفث أنفاسه المحترقة بداخلي، تمزق آخر سد من سدود كنت قد صنعتها تمنعني من الغوص بحبه مرة أخرى، فقبلته مشاعري المتأججة بالفعل منذ أن رأيته يقف ينتظرني بالحديقة، لقد كانت أطول قبلة بيننا ، كأننا نستعيد كل ما قد مررنا به ، نحاسب أنفسنا ، نحاول أن نحصل على ما قد يعيننا على ما ينتظرنا

بعد القبلة عادت ملامحه سيرتها الأولي، تورد وجهه، عيناه عادت لتلمع توقفت رعشة لاحظتها بيده، عندما كان يقود السيارة.

جلس بجواري يأكل بنهم طفل جائع، لم يأكل طيلة نهار لعب ولهو، ثم قال:

إحسان: سعاد، آنت حلم حياتي، من صغري بحلم بيه، كنت بحلم إني أكلمك بس، أو إنك تضحكيلي، كنت بعيدة أوي زي النجمة في السما، ولما أتقابلنا تاني مكنش مضايقني أي حاجة من اللي وصلتلها، كل الشلة كانت بتتكلم عنك، واليوم اللي قابلتك فيه مكنش صدفة، طلبت منهم إنهم يعرفوا بتروحي فين وأمتى؟

كنت عايزك ترجعي زي الأول وأحسن، حتى لو مش هتحبيني، اللي حصل بعد كده أنا آسف عليه، ممكن تشوفي إني كنت بستغلك وباخد منك حاجات كتير، بس أبدا والله كل حاجة عملتها بعد وجودنا مع بعض كانت بدافع الحب، وجزء طبعا منها دناوة بس مكنش عندي كنترول أقدر أبعد عنك، وأبقى جانبك وإحنا بنرقص وبنسكر

وملمسكيش، أحضنك وكل ده هيوديني للسرير، يعني السرير مكنش هدفي، كنت ناوي أتجوزك وأحافظ عليكي بس قبل كل الحاجات ديه ماتحصل، خصوصا الحادثة بتاعت الشاليه

بابا وماما وكل العيلة والجيران عرفوا بيها، صعب أقدر أعمل كده دلوقت بس كل ده كان ممكن أقف في وشه وأحاربه، أسيبهم وأمشي وأعيش لوحدي، بس كل أصحابي الظباط عرفوا و معندهموش سيرة غير مغامراتي في الساحل، عشان متفهميش إني بحملك نتيجة أفعالنا يعني بعمل زي ما المجتمع المتخلف بيعمل ، بيحاسب الواحدة، و كنت فكرت في الاستقالة كمان، وأني أعمل أي مشروع تجاري وأسكن في مكان جديد، لكن المشكلة الكبيرة اللي مقدرتش أعمل فيها حاجة هي الشك، عدم الثقة، كل ماكنت بتخيل إني لو مش موجود وعندي شغل أو سافرت إيه ممكن يحصل، مش قادر أثق إنك هتقدري تبطلي كل حاجة عشان نعمل بيت نضيف ونجيب عيال ميتظلموش

كنت براقبك طول الفترة اللي فاتت واتصلت بشمس كذا مرة، وعرفت إنك بتتغيري لكن حتى ده مش هيخلي الشك يروح من عقلي، أنا لو الشك أتملك مني ممكن أقتلك وأموت نفسي.. أنا بتقطع، بعيط كتير زي العيال الصغيرة أنا لا عارف أعيش معاك ولا أعيش من غيرك، لما بعدتي عني عافتيني من الجرح، وشلتي من على كتافي أي مسئولية أو إحساس بالذنب، حتى محطنيش في الموقف ده، إن أكون معاك وأبرر ليكي كل الحاجات ديه، مكنتش بهدأ غير لما كنت بطلع هدومك اللي هنا وأشمها وأخدها في حضني وأنام

سعاد: خلاص، ياحبيبي، كل حاجة هتكون كويسة، هتتعود إنك تعيش من غيري، وكفاية إننا هنسيب بعض وإحنا بنحب بعض، ولو في زمان تاني ووقت تاني أكيد مكنتش النهاية هتكون كده.

إحسان: أنا عارف، عشان كده أنا عايز أروح العالم التاني ده، مش العالم ده، خلاص أنا تعبت، حاولت كتير أغير فيه، العالم ده مبيتغيرش، معرفتش اصلحه، ومش عارف دلوقت أصلح نفسي، إحنا حتى لو متجوزناش الحل الوحيد أني أكون كويس هو إنك تفضلي معايا الـ 24 ساعة، إحنا لما كنا بنبات مع بعض، مكنش بيجيلي نوم، كنت بفضل صاحي وأعمل نفسي نايم لما تيجي تصحي، كنت بخاف أنام، أقوم ألاقي أي حاجة مش عايز أشوفها، أو أخاف أشوفها

سعاد: أنا حكيتلك كل حاجة حصلتلي عشان أطمنك، وتعرف إني مخبتش أي حاجة عنك، حتى الحاجات اللي أتكسف اقولها لنفسي قولتهالك، أنا حبيتك، وبحبك وهفضل أحبك عشان كده مش عايزاك تفضل معايا، عايزاك تعيش حياتك وتبدأ من جديد، البداية هتكون صعبة بس هيجي يوم وهتفتكر اللي حصل ده، وتبتسم، مش هتعيط ولا هتزعل صدقني.

إحسان: بجد.

سعاد: آه بجد.

إحسان: يعني تقدري تعملي ده.

سعاد: أكيد هقدر.

إحسان: طيب كويس إني أطمنت إنك هتقدري، كنت خايف عليكي، بس شمس وجودها مطمني، أكيد هتكوني بخير.

سعاد: أنت ليه بتقول كده، أنت كده بتخوفني.

إحسان: ديه آخر مرة هنشوف بعض فيها

سعاد: خلاص ، لوده هيريحك هتكون آخر مرة .

إحسان: أنتي بتضحكي عليا، يعني أنتي مش واخده القرار ده أصلا.

سعاد: أنا عايزة مصلحتك، حاسة إني بوظتلك حاجات كتير في حياتك ومعتقداتك، أنا آسفة مكنش قصدي، بس قابلتك في الوقت الغلط، ياريتنا أتقابلنا بدري أو حتى متأخر شويه، كانت النتيجة هتكون غير كده.

إحسان: آه، طيب هنعمل إيه يعني، إدينا أتقابلنا والي كان كان.

احتضنت رأسه في صدري وضممت جسده إلي، ظل يبكي، إلي أن شعرت أن جسمه يتثاقل، فحمدت الله أنه نام، فقد كان في شدة تعبه من الإرهاف المتراكم، ظللت أهدهده، حتى فقد السيطرة الكاملة على جسده، لم أتحرك أو أرمش حتى لا يستيقظ أو يتوتر مرة أخرى لا اعرف كم من الوقت استطعت أن أمكث ثابتة، لكن عندما تحركت رغما عني كاد أن أن يسقط أرضا، وتشبثت به قدر المستطاع، ثم صحت باسمه "إحسان، إتعدل، هتوقع، مش قادرة امسك نفسك" لم يرد أو يرمش

شعرت بسائل ساخن فأزحته بعيدا عني ليستقر جسده على الأريكة، إنه هو، هذا السائل يخرج منه هو، لقد تبول وهو نائم، ضربت وجنته ضربات متكررة بلطف في محاولة أن أو قظه، لم يستجب، وضعت رأسي على صدره لأستمع لنبضات قلبه، لايوجد نبض، قربت وجنتي من فمه وأنفه، لا أشعر بأي نفس، ما هذا هل فقد وعيه، جريت إلى حجرة النوم لأحضر أي شيء يسعفه، فوجدت ورقة فوقها وردة، أخذتها كان يعتذر فيها عن كل شيء، وعن فشله في إنقاذي وعدم قدرته على الارتباط بي والعيش بدوني، وآخر شيء سيكون أناني به، إنه وضعني في هذا الموقف، كان يخشى أن يغادر

الحياة وآخر شيء يراه لا يكون أنا لقد حقق ما كان يتوق ليصل له يوما ما

لم أكن أنتظر موته حتى أستعيد وعيي وسيطرتي على حياتي، أقلع عن كل العادات والشخصيات السيئة لقد قررت ذلك يوم حادثة السخنة، لأني أشفقت عليه من المواجهة وإعادة ترتيب الأوراق فقد يصيبني ذلك بالضعف أو يصيبه بالانهيار، لم أضعف لكنه أنهار رغما عنه، لا بكامل إرادته.

اتصلت بوالده ، الذى تصرف بكل ثبات وحكمه، وأول ما حرص عليه هو أن أغادر قبل أن تصل الأسرة إلى المكان، رحلت بعد أن اخبرني، إنني لو احتجت أي شيء في يوم من الأيام، يجب أن ألجأ إليه

نفضت التراب من حولي، تخليت عن كل مسببات السعادة الزائفة، عملت بكد لإسعاد الآخرين، ليتثنى لي أن أحصل على لفحة حقيقية من لفحات السعادة على الأرض، تعمقت بكل العلوم الغيبية، وعلى رأسها كان القرآن والسير الخاصة بالأنبياء واولياء الله الصالحين.

لم أعرف عن ماذا ابحث؟ لكنني فقط أيقنت أنه علي البحث، عن مسببات ما يحدث لنا؟ وعما إذا كنا مسئولين مسئولية كاملة! هل هناك عوامل مساعدة؟ وهل هناك أكواد للمعصية بمجرد أن نضغط عليها تنهمر علينا، كمن يربح بماكينات المقامرة، يتفنن في إنفاق الاموال ثم السعي من جديد للمقامرة .. يدخل حلقة محكمة الأغلاق لا ينتبه إلا عندما تنكسر الحلقة، إما بالموت أو المرض أو الخسارة الفادحة التي لا يقوى على الحياة بعدها، لا يطيق انتظار نهايتها فيقدم على كتابة كلمة النهاية بيده، أحيانا يفشل، فيظل يكرر المحاولة حتى ينجح أو تنتهي حياته فيما بين المحاولات المضنية للانتحار.

استمرت سعاد بالسرد حتى غلبها النعاس، وضعت غطاء خفيف على جسدها، جلست على أرجوحتي المطلة على الشرفة، أتأرجح، أرى السماء تبعد ثم تقترب لتبعد من جديد، استيقظت سعاد بمنتهى السعادة، قالت لي إنها لم تنعس منذ فترة طويلة، لم يتعدى نومها الساعتين، لكن كانت تبدو مشرقة متجددة كمن ينام طيلة الليل ويستيقظ نشيط عند شروق الشمس

استيقظت وأتت وجلست بجواري وبصوت هادئ قالت:

سعاد: إيه ده أنا إزاي نمت، أنت ليه سبتني أنام.

شهاب: والله صعبتي عليا، كان شكلك زي الأطفال لما بيناموا وهما قاعدين من كتر التعب، أنا بس كل اللي شغل تفكيري إنك ممكن تفهمي غلط، إني استغليت الفرصة عشان أتفرج عليكي، بس أبدا، أنا غطيتك بس وخرجت البلكونة.

سعاد: هفهمك غلط ليه، ما أنا كنت قدامك وأنا صاحية، إيه هيخليك تستنى لما أنام.

شهاب: طيب كويس.

سعاد: كويس إني بفهم يعني.

شهاب: آه فعلا، من زمان مشفتش ستات بتفهم.

سعاد: نعم خير، أنت هتخبط ولا أيه، طيب، ممكن نشرب حاجة، عشان افوق.

شهاب: تحبي تاكلي حاجة، فيه هنا نواشف وفاكهة.

سعاد: خلاص هشرب قهوة وهاخد أي فاكهة جنبها.

قمت بإعداد القهوة ووضعت بجوارها الثمار المجففة وعدة أنواع من البسكويت والكوكيز، ثم بدأت تسرد لتكمل وهي ترتشف القهوة وتتناول الفاكهة

"بعد تلك الحادثة، ذهبت لأقيم مع شمس في بيتها حتى أتعافى أو أتناسى، لم تمانع أمي أو أبي، أما عن والدتها لطالما كانت تحبني وتصنع لي كل ما أشتهي من الطعام، عندما كانت تتغيب لعملها كنت أجالس "ساري" ابنها صاحب الثلاث سنوات، توفى والده في حادثة قبل أن يراه، لكنه خرج لعالمنا وهو يحمل ملامحه، أرادت جدته أن تطلق عليه نفس أسم والده لكن شمس رفضت، لأنه إنسان جديد لا ينبغي أن يجد نفسه يطبع أو ينسخ من آخر، فيعيش صراع ليقبله أو يرفضه وفي يوم اتصلت بي شمس باكرا لتخبرني أنها تواجه مشكلة في عملها وتريدني أن أساعدها في إنجاز بعض المهام الخاصة بإعداد مؤتمر طبي، لم أكن أفقه سوى الإنجليزية اليومية، لا أعرف شيء عن المصطلحات الطبية، أو خطوات الإعداد للمؤتمرات، لم تبال شمس بذلك، كانت تعطيني مهام صغيرة جدا، متلاحقة ومترابطة، لأستوعب الأمر ببساطة، أحببت الأمر وقمت بإعداد عدة مؤتمرات معها وعن طريق اعتياد العاملين بالفندق لوجودي، أخبرني أحدهم إن هناك وظائف شاغرة، وقد أقبل إذا قدمت أوراقي، بالفعل تقدمت لعدة مقابلات شخصية، نتج عنهم إني قبلت بالوظيفة، ثم قابلت خالد .. تزوجنا في فترة قصيرة، سافرت شمس وابنها إلى كندا بعد أن توفت والدتها، ربما لو كانت هنا لاختلفت أشياء كثيرة، لا أعرف كيف، لكن وجودها يجعلني أفكر بطريقة أفضل، لم اخبرها أي شيء يقلقها، علاقتي بعائلتي جيدة، لكن لا أحد يعرف شيء عن مشاكلي الخاصة".

قاطعت كلامها لأعرف تطورات الأحداث، وما الذي رأته عندما أخذ خالد الولد معه إلى تلك الحفلة، فقد تذكرت عيد ميلاد شذى

المشؤوم لكنها طلبت مني أن اقص عليها قصتي، ربما لتتعرف علي أكثر، فالآن أنا أعرف عنها معظم أمور حياتها ولا تعرف هي أي شيء سوى عنوان شقة أعيش فيها، فسألتها:

شهاب: أنت عايزاني أحكيلك، ليه؟

سعاد: عشان أتعرف عليك.

شهاب: عشان تطمني لوجودك معايا.

سعاد: أنا مبخفش اساسا، شكلك مابيخوفش أصلا، أنت عامل زي الأطفال المهمومة، عايزة أعرف إيه الهموم اللي على كتافك وليه قاعد لوحدك.

شهاب: طيب، بص كملي حكايتك، لأنها قربت تخلص، وبعدين هحكيلك حكايتي من الأول.

سعاد: قربت تخلص ليه، أنت هتموتني بعدها.

شهاب: ههه، لا أقصد أن تفاصيلها اللي معرفهاش أقل كتير من حكايتي اللي متعرفيش عنها أي حاجة

سعاد: عندك حق، أقنعتني.

سعاد: بعد زواجي من خالد بفترة وجيزة، شعرت به يراقبني، لم ابال، كلما كان يراقبني، كان يثق بي، ويسلمني مهام في عمله، لن يضره أن اقوم بها، لم أعرف هل ذلك لانشغاله الشديد، أم إنه يريد مني أن أنشغل بعيد عنه، في بادئ الأمر وافقت، بعد ذلك وجدت الأعباء تزداد على كاهلي، فطلبت منه أن يسمح لي بإحضار أختي الصغرى للعمل فتأخذ هي المهام البسيطة والإشرافات الرقابية وأتفرغ أنا لما هو أكبر من المهام.

تردد في بادئ الأمر، لكنني أخبرته إنه يتوجب عليه أن يثق بها، لأنها تشبهني تماما، عدا إنها تهتم بالصحافة، ربما كان ذلك أكبر مخاوفه، لكن أخبرني أنه يشعر إنها مجنونة ليس لديها ثبات انفعالي، تفكر بأشياء غريبة، لا أعرف كيف عرفت ذلك، لكن لم أبال.

قاطعتها لاسالها ما استفزني، واريد ان اعرفه

شهاب: إيه الحاجات الغريبة اللي أختك بتفكر فيها؟

سعاد: هي مقتنعة بنظرية المؤامرة، إن كل حاجة بتحصلنا، فيه أسباب تانية ليها، غير اللي إحنا عارفينها.

شهاب: يا سلام.

سعاد: آه فعلا، الحكاية بالنسبة لها دراسة عميقة، عندها مكتبة كبيرة جدا بلغات مختلفة، أصدقاء في جميع دول العالم، بيساعدوها في أبحاثها.

شهاب: هي عندها أبحاث.

سعاد: يييه، كتير جدا، ودخلت صحافة عشان تعرف تنشرهم، محدش كان بيوافق، ولما بتزن في الموضوع ده، بيتنقل لمكان مالوش علاقة بالموضوع.

شهاب: اللي هو إيه، إيه الموضوع ده، هو موضوع واحد بس؟

سعاد: بص، متقدرش تقول موضوع واحد، لأنه موضوع متشعب زي الأخطبوط ليه رجول كتير جدا ورأس واحدة بس.

شهاب: الشيطان.

سعاد: إيه؟

شهاب: الشيطان خلاني أنسى موضوع مهم أوي، أنا لازم أروح دلوقت لمدرسة الأولاد.

سعاد: أولاد.

شهاب: آه، أنا عندى أولاد.

سعاد: فعلا.

شهاب: آه والله كمان النهاردة عندهم تكريم، لازم أبقى موجود.

سعاد: فين مامتهم.

شهاب: معرفش مامتهم هتروح ولا لأ، بس المهم إنهم يشوفوني جنبهم، كفاية اللي حصلهم في الأحداث الأخيرة.

سعاد: يااه، أنت حكيتك حكاية، بس ولا يبان عليك إنك متجوز، ويطلع عندك أولاد.

شهاب: ييييه من زمان.

سعاد: هما كبار، سنهم أد إيه.

شهاب: لأ، هما مش كبار، اطفال لسة لكن أنا بقولك مخلف من زمان.

سعاد: مش فاهمه.

شهاب: دي حكاية كبيرة أوي، هحيكيهالك، تيجي معايا المدرسة.

سعاد: ومراتك، هتفهم غلط.

شهاب: مش مهم.

سعاد: لأ، طبعا مهم عشان خاطر الأولاد.

شهاب: عندك حق، طيب إيه، هعمل إيه دلوقت.

سعاد: أنت أجهز ونتزل سوا، أنت تروح على المدرسة، وأنا هروح أطمن على حبيب، وهكلم نوران أطمن عليها.

شهاب: نوران دي أختك.

سعاد: آه.

شهاب: اسمها حلو.

سعاد: صح.

شهاب: هو حلو لعدة أسباب، أولا إنها أختك، ثانيا إني أول مرة أشوفه في حياتي كان من مدة قصيرة، بس شكله منتشر وأنا معرفش، والنكته إن البني أدم اللي يسمي بنته سعاد يسمي التانية نوران، مش راكبين على بعض.

سعاد: هيه، أنت بتتريق على أسمي.

شهاب: لأ، أنا بس مش فاهم عمل كده إزاي.

سعاد: عادى خالص، تيتا هي سمتني، وبابا هو اللي أختار أسم أختي.

شهاب: آه، يبقى العيب مش عنده.

سعاد: أنت هتغلط في تيتا.

شهاب: يعني أغلط في بابا بس!

سعاد: لا دي ولا ده، بقولك إيه يلا نتزل، أنت شكلك هتفوق عليا وعلى عيلتي مش نقصاك.

شهاب: طيب عندك حق.

سعاد: أقولك، أنا هنزل ألحق أخلص حاجات ورايا، ولما تخلص أنت كلمني، معاك الرقم؟

شهاب: أنا سجلته على تليفونك.

سعاد: إزأي، انت معاك الباسورد.

شهاب: لأ، مش معايا بس بعرف أفك كل الباسورد.

سعاد: ده إنت حكاية.

شهاب: يعني على قدي، بس فكرة الباسورد في حد ذاتها بتعصبني، فدرست مع" هاكرز"، إزاي بيفكوا الباسورد لأي شيء.

سعاد: جبت الهاكرز دول منين.

شهاب: واحد منهم كان سرق حساب عندي، فساومته، وبعدين عرضت عليه يعلمني، وافق بعد ما طلب مبلغ كبير جدا.

سعاد: كام يعني.

شهاب: مش مهم كام، المهم إنه بعد ما علمني ساب الموضوع خالص وعمل مشروع محترم.

سعاد: واو.

شهاب: آه والله أنا استغربت منه، بس عجبني أوي موقفه وبقينا شبه اصحاب مش أصحاب أوي، طبعا فيه فروقات بينا لازم أحافظ عليها لكن لما بيحتاجني بيلاقيني، ولما بطلب منه أي حاجة مش بيتأخر بيعملها وهو مبسوط من غير مايطلب فلوس.

سعاد: خلاص، ماهو أخد اللي عايزه.

شهاب: حد غيره مكنش بطل وكان أستمر طالما الموضوع مربح، لكن الواضح إنه كان مضطر ولما ربنا بعث له حل، استجاب عالطول وبقى بني آدم محترم.

سعاد: هم إيه الناس اللي بنعرفهم دول، مش ملاحظ حاجة.

شهاب: لا ، ملاحظ حاجات هقولك عليهم بس مش دلوقت

شيرين

غادرت سعاد، دخلت لأغير ملابسي، أخشى أن اتأخر على حفل التكريم، لقد نسيت أتصل بالمصور .. ما العمل؟ لم أجد حل سوى أن أتصل بسعاد:

شهاب: ألو.

سعاد: إيه، خير ملحقتش أمشي.

شهاب: معلش، محتاج مصور، تعرفي حد يقدر يجي بسرعة.

سعاد: دلوقت صعب.

شهاب: مممم طيب، خلاص.

سعاد: أقولك، هكلم نوران، لو لاقيتها فاضية هخليها هي تجيلك، هتنبسط، هي بتحب التصوير أوي.

شهاب: ياريت، معلش مفيش حد يقدر ينجدني بسرعة زيك.

سعاد: طيب بص، ابعتلي العنوان وأنا هتصرف، هبعتلك نوران أو أي حد من أصحابها المقاطيع بس هتدفع كتير، ده مستعجل.

شهاب: مش مهم، هدفع أي حاجة، بس لازم أسجلهم الحفلة وأصورهم، أنتي عارفة الصور السعيدة هي أكتر شيء بيفضل لينا وبيسعدنا لما كل حاجة بتروح.

سعاد: مش في كل الأوقات، سعات بتوجع زيادة، على كل حال أنا هتصرف، متشلش هم.

سعاد: تسلمي، ربنا يخليكي.

أرتديت ملابسي مسرعا، ثم اتصلت على هاتف شيرين.

شهاب: صباح الخير.

شيرين: صباح الخير يا شهاب، فيه حاجة.

شهاب: آه طبعا، أنت مش رايحة الحفلة.

شيرين: أنا تعبانه أوي ومش قادرة.

شهاب: إزاي يعني مالك، أجيبلك دكتور.

شيرين: لأ مش للدرجة ديه، أنا هرتاح شوية.

شهاب: طالما مش لازم دكتور، يبقى خلاص، لازم تروحي الأولاد نفسيتهم وحشه، كلموني إمبارح كانوا بيعيطوا.

شيرين: آه إمبارح كان مودهم وحش جدا.

شهاب: ليه حاجة حصلت؟

شيرين: كانوا في عيد ميلاد أصحابهم، ولما شافوا الأولاد مع باباهم ومامتهم، أتضيقوا، واتصلوا بيا أروح أخدهم بدري، نكدوا عليا، وجسمي وجعني بسببهم، مش عارفة أعمل إيه.

شهاب: طيب خلاص، معلش، قومي خدى أي مسكن وأنا هعدي عليكي ونروح سوا.

شيرين: طيب أنا هقوم، ألبس وهستناك سلام.

مررت بمحل الورد، اشتريت لشيرين الورد الذي تحبه لكي يتحسن مزاجها، ثم انتظرتها أسفل البناية، اتصلت عليها لأخبرها أني وصلت، لم ترد، كررت محاولة الاتصال، مرارا وتكرارا، تلاعبت الأفكار السيئة برأسي، لكن قاطعتها .. أخذت الورد وصعدت لأعلى بسرعة، لم يكن الباب مغلق، فقط مردود إلى جوار الحلق دفعته ودخلت.

يا الله، رائحة المنزل، كم افتقدتها، رائحة العطر مختلطة بروائح المخبوزات، ممتزجة بعطر شيرين، وقفت لحظة أحاول أن أنفض غبار الذكريات عن رأسي، كلها سعيد، حتى لحظات الألم، امتزجت بالسعادة والنشوة، هل نفذت كل النساء على الأرض حتى أختار من هي أكثر جنونا، كل الأزواج يفقدوا سعادتهم بسبب عدم توافقهم في السرير ونحن نفقد زواجنا لأننا فقط نجيد إمتاع بعضنا البعض فالسرير .. أكن لها كل الاحترام، لم أخنها يوم سوى بالنظر، لم استطع التحكم به لكن لم أتمادى قط، فهي أنثى بكل ما للكلمة من معنى، أنفث نيران الحسرة من صدري ثم أصيح بصوتي:

- شيرين، أنت فين، أنا استنيتك، ومنزلتيش أنت لسه مخلصتيش.

لا أحد يرد أكرر أسمها وأنا أتفحص المكان، بحثا عنها، لا توجد بأي مكان بالبيت، لم يتبق سوى حجرة نومها، لم أرد دخولها، أو حتى ألقاء نظرة عليها، أقف على عتبتها وأصيح بأسمها وأنا ممسك بباقة الزهور: شيرين، أنت فين؟ اسمع صوت جريان المياه بالحمام وصوت مبحوح يصيح: شهاب، أنا هنا.

أتجه إلى الحمام وأنا أتمتم "يا مجنونة يا بنت المجانين، أنا جسمي مش ناقص، حمام إيه، ده وقته، يارب تكون لابسه هدومها" دخلت لأجدها راقدة بحوض الاستحمام:

- إيه ده، فيه إيه إنتي كويسة، هزت رأسها نافية دون أن تنطق بأي كلمة، تركت الورد وهممت لأحملها لم استطع، فكان جسمها مرتخي تماما، فتثاقل علي، كادت ان تسقط من يدي.

تحدثت معها لتنتبه، فيخف جسدها قليلا، هممت لأضربها على وجهها، لم أقو على ذلك، فقبلتها، لعل القبلة تنبه حواسها، كأنها كانت بانتظارها لفت ذراعها حول ظهري وأمسكت بيدها رأسي وتعلقت بي، فحملتها ووضعتها على السرير، لكنها لم تتركني، إلا بعد أن جردتني من ملابسي ولم أنتبه إلا على جرس الهاتف المحمول، بالتأكيد هي سعاد لتخبرني عن المصور، حاولت التخلص من شيرين قبل ان أنهمك معها وأغرق بالعسل، لم أستطع.

وبعد أن تأكدت من إثارتي بالكامل تركت نفسها تماما تحت تصرفي أحببت ذلك، واستمتعت بها كما لم أستمتع من قبل، قد يكون السبب هو ممارسته في الوقت غير المسموح، قد تكون المفاجأة هي السبب لا أعرف، لم يأتي برأسي ولو لحظة إنني سأحظى بها مرة أخرى، أيضا كلماتها هذه المرة كانت مختلفة مثل: وحشتني، وحشتني أوي، متسبينيش، كلمات أوقدت بجسدي النيران، جعلت الرغبة تتضاعف، لم نصل إلى الإشباع إلا عندما خارت قوانا تماما لم يصمت التليفون ولو لحظة، لكنني كنت مسلوب الإرادة وأنا بداخلها لا أريد شيء سوى البقاء هكذا لأطول مدة ممكنه، لم أتذكر سوى أنني أحبها، ولا أريد الابتعاد عنها، أريد أن أطفئ رأسي، أنعزل عن الكون، أبقى بجوارها هي و أولادي لأجل غير مسمى في مكان تصمت فيه التكنولوجيا، لا يوجد به أسلاك، لا نرى سوى وجوهنا السعيدة .. لو أعرف من تسبب بإفناء سعادتي لقتلته، إن كان قابل للقتل، ماذا لو كان خالدا، خالد لايموت، يا ترى أين خالد الآن؟

مجددا يرن جرس الهاتف، لكن هذه هي نعمة الأولاد، انتفضت مبتعدا عن شيرين قائلا: الأولاد، إحنا أتأخرنا، المصورة زمانها وصلت، يلا بينا بسرعة.

شيرين: طيب، أنا هاخد دش وألبس.

شهاب: هاروح الحمام التاني وهاتيلي بدله.

شيرين: طيب، حاضر.

اتمتم: ماهذه المجنونة، مش طبيعية، أنا لعبة في إيديها، لأ هي بتحبني، آه بتحب أكون معاها في السرير، هي قالت كده، مش محتاجة سوء ظن، وبعدين أنا لازم أشوف حبيبها الأولاني ده، أدفعله فلوس عشان يبعد عنها، طيب لو كان غني، اقتله وأخلص، هقتل كده عادي، يمكن يكون ده الحل الوحيد أنا قتلت قبل كده، مش فاكر، ده كان قضاء وقدر، خلاص أسجنه، ألبسه تهمه، معرفش عنه حاجة، ياترى هقدر عليه، خلاص ياقاتل يامقتول، اللي هيفضل مننا هو اللي هيفوز بيها هو سهل كده أتخلى عن كل حاجة!

كل حاجة هي اللي بتتخلى عني، أديني كنت ماشي على الصراط، منفعش، مش عارف حاجة، يبقى الحل إني أعرف كل حاجة وبعدين أشوف هتصرف إزاي.

وفي الطريق أتصلت على سعاد: معلش، معرفتش أرد.

سعاد: ولا يهمك، المهم نوران وصلت هناك والحفلة هتبدأ خلال ربع ساعة.

شهاب: طيب أنا هكون وصلت إنشاء الله.

سعاد: خلاص، أنا هبعتلك صورتها عشان تتعرف عليها، ولما تخلص بقى، أبقى كلمني.

شهاب: تمام، معلش تعبتك معايا.

لم ترد أغلقت الهاتف، ربما غضبت لأني تجاهلت كل هذه الاتصالات.

شيرين: مين ديه؟ هكذا سألت شيرين بعين غاضبة تجتاحها الغيرة.

شهاب: ديه عميلة، كنت معاها في اجتماع، ولما افتكرت الحفلة، طلبت حد يتفق مع مصور.

شيرين: هو أنت مش واخد إجازة.

شهاب: آه بس بروح الاجتماعات المهمة، والحاجات الباقية شريف بيتابعها.

شيرين: كان موبيلك، مقفول إمبارح، فاتصلت عليه، قال ميعرفش عنك حاجة.

شهاب: أنا قلتله لو حد سأل عليا، يقول كده، عشان يركز في شغله ومحدش يعمله صداع.

شيرين: حتى أنا.

شهاب: ياستي أنا محددتش حد، وهو حافظ مش فاهم، لو في حاجة، أبقي أبعتي رسالة هتوصلي.

وصلنا للمدرسة، فطالبت منها الترجل من السيارة، لتصل أولا، سألحق بها بعد أن أصف السيارة، أمشي مسرعا في الجراج، فأصطدم بإحداهن، أنتبه لها، إنها هي تلك الفتاة ذات العطر الفواح والحذاء الأنيق.

شهاب: آسف، إحنا اتقابلنا قبل كده.

نوران: آه في المصرف.

شهاب: ياخبر برافو ذاكرتك كويسة، هو أبن حضرتك هنا.

نوران: لأ، أنا جاية أصور أطفال.

شهاب: واو، يارتني كنت أعرف إنك بتصوري، كنت إتصلت بيكي عالطول.

نوران: أنا مش مصوراتية، أنا جاية خدمة لحد صديق أختي.

شهاب: أختك.

نوران: آه.

شهاب: أنتي نوران أخت سعاد.

نوران: هو انت شهاب.

شهاب: آه ياستي، معلش نسيت أفتح الصورة اللي سعاد بعتتها بس جاي جري.

نوران: واضح أنا وصلت من نص ساعة فاتت.

شهاب: معلش، حصلت ظروف، بس كويس أن الحفلة أتأخرت.

دخلنا الحفلة، كانت شيرين ترمقني ونوران إلى جواري فعرفتهم على بعضهم البعض، بحثت عن الأولاد، لأقدم لهم فروض الحب والحنان، القبلات والأحضان الحارة، حتى يجيدوا أدوارهم في الغناء والتمثيل بفقرات الحفل.

ليت الزمن يتوقف وهم بأحضاني، أو تقبض روحي وأنا أراهم سعداء، لكن هل استحق ذلك، لم أتوقف يوما وأجلس مع نفسي لأقيم تصرفاتها، دائما ما اقيم تصرفات الاخرين، علاقاتهم بأسرتهم، بعملهم، بخالقهم، بدينهم، لكن لم أقم بمحاسبة نفسي قط، جلست معها عدة مرات، ليس للحساب لكن للخروج من أزمة أو لتحسس خطوة، أنا مقدم عليها، لمعرفة مساوئ ومنافع عمل أو فعل سأقدم

عليه، غير ذلك لم أفعل، هل هذا طبيعي هل كل البشر على شاكلتي، أفضل، أسوء، يجب أن اعرف.

أعطيت الأولاد كل الكلمات واللمسات التحفيزية، لكن يظهروا أفضل ما لديهم ويتباروا بحرفيه، فسألني عبد الله: هتفضل موجود؟ فأجابته بثبات "أكيد" أطمئن لذلك.

لم تكل نوران أو تمل، حرصت على التقاط كل اللحظات، اللفتات، اللمسات، الضحكات، الدمعات المحبوسة عند التكريم، القفزات المدوية للأولاد للارتماء في أحضاني أنا ووالدتهم .. كانت سعيدة وشاردة في آن واحد، كأنها تتأمل أو تحلل اللحظات التي هي بصددها، تعيشها وتسجلها في آن واحد.

كانت شيرين تشرد أحيانا، تشاركنا أحيانا أخرى، لم تحب نوران تعاملت معها بعجرفة النساء المعهودة، حين يشعرن بالغيرة من إحداهن، رن هاتفها لكنها أغلقته تماما، أرضاني قليلا ذلك، لكن أردت لو تسنح لي الفرصة بتفحص هاتفها، رسائلها، صورها الأخيرة، كل شيء، أريد أن أطلع على غيبها وهي بعيدة عني.

قفز أدهم إلى رأسي على الفور، هو الذي سيساعدني دون كلل، لا مانع لدي من مكافأته كيفما يشاء، حالما أنتهي من هذا الحدث، سأتصل به على الفور.

بعد الحفلة ذهبنا إلى مكان الأولاد المفضل للاحتفال بهم، بل كانوا هم من يحتفلون بوجودنا إلى جوارهم، أخذت نوران معنا، لتسجيل هذا اليوم بكل مظاهر الفرحة، لا أعلم إن كان سيتكرر، أم لن تسنح لي الفرصة

سألتني نوران عن اهتمامي بهذا اليوم، فهي ترى مدى مبالغتي، ليست مبالغة قدر ما هو خوف، أخشى أن أترك فجوة في قلب الأولاد،

لا تسد بعد ذلك مهما حدث لهم، فأعي أن الطفولة بأحداثها هي القلم الذي يرسم خطوط شخصيتنا، أريدهم أسوياء سعداء، استطيع أن أضمن لهم الأمان المادي، سيضيع هباء إن لم أؤمن لهم أمانهم القلبي.

أخبرت نوران أنني ممتن لوجودها:

شهاب: مش عارف أشكرك إزاي، عارف إنك جاية مجاملة، وإني بستغل ده زيادة عن اللزوم، بس إحنا بنمر بأزمة أسرية مش عارف هتخلص على إيه، فبحاول أصنع لهم ذكريات سعيدة قدر المستطاع، زي النملة لما تخزن مخزون الشتا، أنا بحاول أخزنلهم مخزون سعادة، يتسندوا عليه لما يحبوا.

نوران: أزمة أسرية إزاي، أنا شايفة أنك بتحب مراتك، أي نعم عيناك زايغة شويه بس الحب واضح.

شهاب: أنا بحبها، وهي بتحبني في أوضاع معينة.

نوران: إيه؟

شهاب: متشغليش بالك، المهم، أنا هتصل بمدير أعمالي يوصلك مكان ماتحبي.

نوران: لأ، مفيش لزوم، هاخد تاكسي للعربية، بعدين عندي شوية مشاوير.

شهاب: هو هيكون معاكي، يوصلك البيت وهبعت السواق يحطلك العربية عند البيت، بس سبيلي المفاتيح والعنوان.

نوران: ياخبر، ليه كل التعب ده، ده كتير.

شهاب: لأ طبعا، مش كتير ولا حاجة، أنا سمعت عنك كتير من سعاد وأحب نكون أصدقاء، وإن شاء الله الفرصة تيجي ونقعد نتكلم مع بعض.

أتصلت بمدير أعمالي:

شهاب: شريف، أنت فين؟

شريف: أنا في مكتب مصر الجديدة.

شهاب: طيب كويس، أقفل وتعالى ليا عايزك دلوقت.

شريف: دلوقت!

شهاب: حالا، هبعتلك عنوان، ربع ساعة وتكون عندي، وبعدين أنا بعمل فيك معروف، هتشكرني لما تيجي، يارب بس تفتكر الجمايل دي كلها.

شريف: جمايل، جمايلك مغرقاني، أرحمني شويه كفاية كده، خلاص، أنا مش عارف أتنفس، أنت رامي كل حاجة عليا.

شهاب: معلش ياشريف، استحملني شوية ، انت مش عارف حاجة وأنا مش بثق في حد غيرك، وهعوضك عن كل ده.

شريف: طيب، لما نشوف.

شهاب: طيب أخلص باقي 12 دقيقة وتكون عندي، سلام.

كانت شيرين تقف شاردة، تتفحص الأولاد وهم يلهون ويضحكون، أستطيع أن أسمع سياط ضميرها وهو يجلدها، وضعت يدي على كتفها، مقبلا أياه رغما عني، فقد أعتدت على ذلك، أغمضت عيناها وهي تتنهد قائلة: ليه كده، مقصدتش ده غصب عني، شهاب، أنا كل ما بحاول أبعد، بشتاقلك أكتر، عندي كل المبررات والنظريات والخطط

اللي تخليني أبعد، مش عارفة، أنا بحبك بدوب من لمستك، مش قادرة أتخيل إنك تلمس حد غيري، حاسة إن كل التعاسة اللي كنت حاسة بيها قبل كده، كانت وهم بدأت أفكر إني مريضة نفسية.

ضممتها إلى صدري:

شهاب: ششش بس، إهدي عشان خاطري، كلنا مرضى نفسيين، محدش فينا سليم، أنا هعمل أي حاجة أنت عايزاها عشان ترتاحي.

شيرين: مش عارفة أرتاح، مش برتاح غير وأنا في حضنك وأنت جوايا، أول مابيعد وأفكر خمس دقايق على بعض، بحس بالأفكار بتاكلني وتقطع فيا، كل حته في مكان.

شهاب: طيب وحبيبك الأولاني، فين من ده كله.

قلتها والحسرة تملئ فمي فذرفت عيناها دموع رغما عنها.

شيرين: أنا مشفتوش غير مرة واحدة بس، اليوم اللي قفلت فيه الموبيل وأتأخرت في العيادة، كنت مستنية اخر مريض، ولاقيت سامية بتقولي انها هتدخلي اخر مريض وتمشي عشان بنتها عيانه، ولاقيت اخر مريض ده واقف قدامي وبيقولي:

- شيرين إزيك، وحشتيني، دورت عليكي كتير جدا، وصلتلك بصعوبة، بس كان لازم أوصلك أنا وعدتك، أنتي عارفة إنه أكيد كان غصب عني إني أسيبك بس خلاص، مش هسيبك تاني أبدا، ومش هبعد عنك لحد ما أموت، أنتي الست الوحيدة اللي أتخلقت عشان أكون معاها، مش قادر أقولك تعبت في غيابك قد إيه ولا كنت عايش إزاي، مكنتش عايش أصلا أنت الحياة بالنسبة لي، أنت الحياة اللي أجلتها عشان أعيشها وأنا جنبك، كل حاجة فيكي وحشتني.

حاول أن يقترب منها، فابتعدت عنه بطريقة لا ارادية:

شيرين: خالد، أنت رايح فين من فضلك، أقعد مكانك، أنا ست متجوزة وعندي ولد وبنت.

جلس على مضض ثم قال:

خالد: أكيد البنت شبهك والولد كمان هيكون شبهك واخد عيناكي وشفايفك، صح.

ابتلعت مافي فمي وأنا أخبره:

شيرين: هم شبهي انا وباباهم.

خالد: بيحبك.

شيرين: آه، بيحبني.

خالد: أنتي حبه الأول؟

شيرين: أنا مراته وحبيبته وأم أولاده مبيحبش حد غيري دلوقت.

خالد: أنا مفيش ست في حياتي غيرك أنتي كل حاجة بالنسبة ليا زمان ودلوقت وفي المستقبل.

شيرين: أنا مش فاهمة، أنت منتظر مني إيه دوقت، أهد كل حاجة على رأسي، عشان أكون معاك، أنا استنيتك كتير أوي أنت مش عارف أنا عملت مجهود جبار عشان أفضل مستنياك، لكن شهاب ده حد مختلف، لازم تحبه، وهو مخلص أوي، مينفعش أخونه.

خالد: مفيش راجل مخلص أوي، أكيد بيخونك ولو في خياله.

شيرين: أنا مش ربنا عشان أدخل في خياله.

خالد: وهو عارف ربنا؟

شيرين: أكيد عارفه، أخلاقه بتقول كده.

خالد: يعني بيصلي؟

شيرين: وهل ينفع يسأل حد أنت بتصلي ولا لأ، ديه حاجة بينه وبين ربنا، يعني أنت بتصلي.

خالد: مش قلتي ديه حاجة بيني وبين ربنا.

شيرين: شايفاك، عايزني أحاكمه.

خالد: مقصدتش أحاكمه، بس عايز أعرفه.

شيرين: ملكش دعوه بيه أنت قضيتك معايا أنا بس.

خالد: معنى كده، أنك هترجعيلي.

شيرين: معرفش، أنا هفكر.

خالد: مفيهاش تفكير، أنا وفيت بوعدي فاضل إنك توفي بوعدك.

شيرين: خالد أنا أتأخرت، لازم أمشي دلوقت، شهاب والأولاد مستنيني على العشا، لازم أمشي.

خالد: هستني تليفونك، هستناكي كلك على بعضك كده متعرفيش أنت قد أيه وحشاني، مش هتعرفي غير لما ألمسك، أغمضت عيني رافضة فكرة أو مشهد يهاجمني فيه، كدت أضعف، رفضت فكرة أن أخونك حتى في خيالي، هو لن يتوانى حتى أعود له مرة أخرى.

تسارعت أنفاسي وضربات قلبي، الذي لم يحتمل ما تقول كاد يخرج من قفصه الصدري، ليفر من الحياة في جوفي وليريحني من العذاب في ظل وجوده. لم أشعر ماذا حدث بعد ذلك، لكن وجدت نفسي راقدا على سرير محاط بستائر بيضاء، لا يوجد صوت سوى أصوات منتظمة لأجهزة متصلة بجسدي عبر أسلاك، وخراطيم السوائل العابرة من خلال شراييني

هناك زر بجوار السبابة ضغطت عليه، أتت الممرضة:

"حمد لله عالسلامة، إيه الغيبة الطويلة ديه، حاسس بأيه، أنت عارف أنت مين".

صوتي أضعف من أن تسمعه وهي تثرثر هكذا، فاكملت :

- أنا هقولهم إنك فقت، حمد لله ع السلامة.

رأيت وجه قادم نحوي لم يكن وجه مألوف، وجه غريب، لكنه ملامحه ليست غريبة كليا، ظللت مثبتا نظري على الوجه لعلي أتذكر، يقترب الوجه، تنظر لي صاحبته وتبتسم، فزعت عندما تذكرتها، إنها شذى، اضطربت نبضات قلبي مرة أخرى، هكذا قالت الأجهزة، أسرعوا الأطباء نحوي خلفهم أرى شيرين، الأولاد، نوران لازالت معهم، لازالوا معي، كم من الوقت فقدت

استعدت وعي مرة أخرى، لأعرف كم من الوقت فقدت هذه المرة أيضا، كانت شيرين فقط هي التي تجلس بجواري كانت تبكي وهي تقبل يدي، شعرت بدموعها تبلل جلدي حاولت أن أمسح دموعها بيدي، لم استطع بسبب ارتخاء عضلاتي، والأسلاك، شعرت هي بحركتي، نظرت إلي:

-حبيبي حمد لله عالسلامة، أنا آسفة كل ده بسببي، قوم ياحبيبي وهعمل كل اللي أنت عايزه، أنا بحبك أوي، أكتر ماكنت فاكرة، أنا مقدرش أعيش من غيرك.

حاولت التحدث، فأقتربت بوجهها لتضع أذنها بالقرب من فمي، غرقت في عبيرها، كم أفتقدتها .. أنا كويس متخفيش، شوية إرهاق، مش أكتر، أنا أسد، قلت لها الكلمة التي كانت تجعلها تقهقه عندما كنت أنقض عليها في أيامنا الخوالي.

شهاب: أنا عايز أخرج.

شيرين: حاضر، هشوف الدكاترة وهقولهم، بس لما تتحسن، أنت كنت تعبان أوي، بس متقلقش، هخليهم يكتبولنا على خروج في أقرب وقت ممكن، أرتاح بس عشان خاطري. بس قولي ياحبيبي إيه المعجبين الكتير دول، ورد كتير أوي بيجي كل يوم، أنا بقيت أوزعه على الغرف التانية، بس شلتلك كل الكروت، يمكن تفهم اللي مكتوب عليهم.

قبلت يدي وأنا تراود الأحلام عيني.

سعاد

استعدت وعيي مجددا، لم أجد شيرين، كانت سعاد إلي جواري، عيناها دامية من البكاء، ابتسمت حين أتضح وجهها أمام عيني، فأملست على شعري بيدها الحانية، "حمد لله عالسلامة، بلاش تغيب عن الوعي تاني، قاوم، قاوم أي رغبة جوالك، إحنا محتاجينلك هنا، كلنا محتاجينلك، عايزينك معانا، لازم تقاوم وتقوم بأسرع وقت".

كلامها تأثيره خيالي، كأنه علاج سحري، شعرت بالمرض ينقشع شيء ف شيء كعدو ينسحب من أرض المعركة بانتظام. بذلك مجهود لأسألها عن شيرين، وكيف تجلس إلى جواري دون معارك.

ابتسمت بهدوء، قائلة: أنت في غيبوبة من شهرين، الأولاد عندهم امتحانات دلوقت.

شهاب: طيب وحبيب، أكيد محتاجلك.

سعاد: حبيب، حطيته في مكان آمان عشان أطمن عليه، لحد ما أخلص مشاكلي اللي هنا، خايفة أوي من خالد.

شهاب: خالد، الاسم ده أنا كرهته بقى مسيطر على حياتي وحياة كل الناس المهمة في حياتي، أنا لازم أخرج، من فضلك، أعملي أي

حاجة عشان أخرج وأوعدك إني هتحسن، ولو في أي خطة للعلاج هلتزم بيها، أنا حاسس إن كل يوم بكون فيه هنا، هياخد سنين عشان أقدر أجمع الخساير بتاعته.

سعاد: طيب أنت أوعدني، أنك تقاوم وأنا هستخدم نفوذي.

شهاب: اتفقنا، بس خلاص الموضوع، قبل ما شيرين تيجي، أكيد هتمانع، ولو معندكيش مانع متسبنيش في الأوضة لوحدي.

سعاد: أنت بتخاف ولا أيه.

شهاب: لأ، بس بطمن بوجودك، مش أنت عايزاني أقاوم.

سعاد: حاضر اللي تؤمر بيه.

شهاب: هو أنتي ليه كده.

سعاد: مش عارفة أنا كمان مستغربة نفسي أوي معاك، مش عارفة الأريحية اللي بتعمل بيها معاك، كأنك من بقية عيلتي، مش العيلة المفروضة عليا، العيلة اللي اخترتها ومبسوطة بيها، كنت خايفة عليك، كنت بس عايزة أشوف ضحكتك وأسمع صوتك، أهزر معاك، أحكي معاك، أكل معاك، أشوفك في كل أوضاعك اللي مشفتهاش قبل كده.

شهاب: وبعد ما تشوفيهم أموت يعني.

سعاد: لأ، مقصدتش، معنى كلامي إني كنت هتجنن لو حصلك حاجة، معرفش أنا بحبك أوي ليه.

شهاب:أنا كمان بحبك أوي، حاسس إني أعرفك من سنين طويلة، قبل ما أشوفك، وأي مشاعر هحسها تجاهك أو ذكريات هتكون لينا سوا مجرد تحصيل حاصل، فاهمه.

سعاد: حاسة.

شهاب: طيب يلا بسرعة من غير ماتتحركي أعملي اللي قولتلك عليه.

سعاد: حاضر يافندم، هستخدم التليفون بس وأنا واقفة على عتبة الأوضة عشان المحمول بيضر الأجهزة، مش ناقصين عايزاك تخرج سليم.

شهاب: هو أنا كمان عندي إيه؟

سعاد: جلطة؟ وكام شريان مسدود

شهاب: لأ بسيطة.

سعاد: آه طبعا، هو أنت بتدخن من أمتى.

شهاب: والله، أنا مبطل من 8 سنين كده.

سعاد: يااااه، أشمعنا تتعب دلوقت.

شهاب: لما نفسيتي تعبت، رجعت أدخن تاني.

سعاد: طيب مفيش تدخين تاني.

شهاب: اتفقنا.

قامت بإجراء عدة مكالمات، تلاها دخول عدد من الأطباء إلى الغرفة، قاموا بفحص كل أجهزة الجسم، ثم تشاوروا فيما بينهم، ثم قال كبيرهم: ممكن تخرجوا بس لازم الالتزام بالدوا والراحة وعدم الانفعال وعشان أضمن ده، هكتب له على مهدئ، بس لوحده مش كفاية، أي مجهود عصبي أو ذهني هتشرفوا هنا تاني أسرع مما تتصوروا.

لم يتحرك الطبيب إلا بعد أن أعطيته موافقة كتابية، إنني أتعهد بكل ذلك، وأتحمل المسئولية كاملة إن أخللت بأي بند من بنود الخروج المشروط.

أتمت سعاد إجراءات الخروج كلها، دون أن تنتظر ظهور شيرين، ربما كانت تعرف إنها لن تظهر في ذلك اليوم، قبل أن نغادر المستشفى، ظهر شريف ونوران، كانوا يساعدون سعاد في جمع أغراضي، للمغادرة في وقت قصير، هكذا شعرت، كان يبدو عليهم العجلة أكثر من رغبتي في مغادرة هذا المكان الأبيض فكفى ما حدث لي بداخله، وفي الطريق قاد شريف سيارة سعاد، كانت تجلس نوران إلى جواره وكانت سعاد تحتضني على الأريكة الخلفية للسيارة، كان الوضع كله مريب، أريد أن أعرف ماذا حدث أثناء الغيبوبة وعما إذا كان الكابوس الذي انتابني حقيقي، لا أريد أن استفسر، سأرفق بحالي ولن أقسى على نفسي مهما كان، فجسدي لم يعد يحتمل أي تصاعدات جزافية.

همست سعاد: أنت ليه مستكين كده؟ أنت لسة تعبان؟

شهاب: لأ، مستغرب، وعايز أفهم، بس خايف أعرف حاجات ترجعني المستشفى تاني.

سعاد: ده إيه العقل ده؟

شهاب: مش عقل قد ما هو وجع وضعف.

سعاد: متقولش كده، كل حاجة هتكون زي ما أنت عايز، المهم أن إرادتك تكون قوية.

شهاب: ماشي.

سعاد: عايز تروح على فين؟ شقتك الخاصة على البيت، ولا تيجي عندي في البيت، آه قبل ما تفكر، شيرين بالأولاد عند باباها، إحنا

مقولناش إنك خرجت، عشان نديها فرصة تروح تجيب الأولاد من الامتحان وهي مرتاحة مش مشتتة.

شهاب: خلاص هروح على البيت، عشان لما نكلم شيرين تيجي عالطول.

نظر لي شريف في المرآه: حمد لله على السلامة يا كبير، طبعا أنت تتعب وتحط في بطنك بطيخة صيفي، وأنا أشيل كل حاجة على دماغي، صح!!

ابتسمت له ابتسامة عرفان، لأني أعرف أنه لم يقصر في أداء أي شيء في غيابي فأجاب:

شريف: خلاص طبعاً، بعد النظرة ديه مقدرش أتكلم ولا كلمة واحدة، ولو عايز تكمل أجازة براحتك يعني.

شهاب: لأ، أنا هبقى كويس بس حكاية إني أريحك شوية، مش هتكون دلوقت، أنا عندي مشاكل كتير أوي، لازم أخلص منها وبعدين أشوف حكاية الشغل، وأصرف لنفسك أي مكافأة، ومقصدتش أن ده الثمن، أنا أقصد تحفيزي، مش أكتر تراضي بيه نفسك، عشان متغضبش عليك وتشتغل ضدك.

سعاد: إيه ده، إيه الحكمة ديه؟

ضحكت سعاد وهي تسأل عما كانت العملية بالمخ وليست بالقلب، وضعت يدي على قلبي وأنا أطمئنه، فأخشى عليه من الإجهاد في الأيام المقبلة المليئة بالأحداث لم يخبروني ماذا حدث إبان غيبوبتي، ولم أخبرهم ماذا حدث في غيبوبتي، لكن أتوقع أن كلانا سيندهش ويفاجأ.

شهاب: هو فين حبيب؟

سعاد: في مكان أمين.

شهاب: أنت مخبياه.

سعاد: مش بالظبط، بس هربته، خفت خالد يوصل ليه ويضغط عليا بيه أو يأذيه.

وصلنا البيت، كان شريف يحملني وهو يقدمهم، ربما كانوا يسيرون خلفه يملقون بالصور والديكورات غير الاعتيادية هل كانوا يستنشقون رائحة الحنين تلك التي تعبئ أنفي.

لما تفوق، عايز أعملك جلسات تصوير فالبيت الجميل ده هكذا قالت نوران ثم أكملت بس مش يبان عليك إنك غني أوي كده، ده أنت متواضع جدا، أنا لو عندي بيت زي ده مش هشتغل أصلاُ ومش هسيبه أبدا، هفضل قاعدة فيه بس، كمان ممكن مستقبلش حد، أخاف إنه يزعج البيت.

ضحكت وأنا أخبرها، بأنني سأقوم باستئذان شيرين لتخصص لها حجرة، فساد الصمت بينهم مرة أخرى بدأت أتوتر، لما قد أعرفه عن غياب شيرين، فسألت بصوت متراجع: شيرين والأولاد بخير؟ فأجاب شريف: يا حبيبي كل حاجة كويسة بلاش القلق ده.

حاولت أن أطمئن نفسي بكلام شريف، لكن لم أستطع صنعت لي سعاد، فراخ ومرق ذكرني بأيام طفولتي، لم أبالي وارتشفتها عن آخرها، وكان ما يقال عن مرق الدجاج صحيح، أشعر بالصحة تتسرب إلي عروقي، أو هكذا أردت أن أشعر حينها.

اضجعت سعاد بجواري على السرير الدائري الشاسع الذي جلس شريف ونوران على حوافه، اقتربت مني دون أن تضمني إليها، لكني شعرت بحرارة جسدها تدعمني فيما ستخبرني به، أعرف الوضع كله مريب، هناك شيء حدث يريدونني أن أعرفه بدون خسائر إضافية.

وبصوت سعاد الهادئ قالت لي: بص يا شهاب يا حبيبي، أنت قعدت شهرين في المستشفى ولو تفتكر إن المفروض أن السنة الدراسية كانت هتنتهي بعد حفلة التكريم بشهر، بعد الشهر ده شيرين والأولاد اختفوا، إحنا منعرفش حاجة عن الأحداث اللي حصلت بينكم قبل ماتدخل المستشفى، حتى والدها هيتجنن، وسابت لنا ورقة في ظرف باستعلامات المستشفى، هو معايا تحب أقرأه بصوت عالي دلوقتي.

شهاب: لأ، هاتيه أنا هقراه.

الخطاب

" زوجي الحبيب انتظرتك، لتستعيد وعيك، لكنك أطلت الغياب كأنك، ترفض العودة، أطمن علي، لا تبحث عني، عفيتك من اتخاذ القرارات الصعبة، استخدمت حق العصمة وطلقت نفسي منك، على أمل الرجوع إليك يوما ما إذا شاء الرحمن. حبيبتك شيرين "

طويت الورقة ووضعتها تحت الوسادة، ثم طلبت من شريف أن يتصل باسم أدهم أبو العلا من هاتفي المحمول، تردد شريف وهو يمسك بالهاتف

شريف: طيب خلاص، ريح النهارده وبكره هكلمه، تكون ارتحت شوية.

شهاب: لأ، كلمه دلوقت، ممكن تلاقيه مش فاضي ويقولك إنه هيجي بكرة.

سألت سعاد، أين الخدم، فأخبرها شريف أن شيرين لم تكن تشعر بالراحة في وجودهم، فكان يتوقف دورهم عند التنظيف فقط، وأرقامهم مقيدة بدفتر الهاتف في المطبخ، يمكنهم المجيء في أي وقت،

فليس لديهم أي عمل آخر يشغلهم عن المكان، هزت سعاد رأسها كناية عن الانبهار.

- اقتربت سعاد من أذني لتقول لي مالم أكن أتوقعه:

سعاد: بقولك إيه، إيه رأيك نكمل آخر حوار لينا سوا، تحب أمشيهم، عشان تتكلم براحتك، ومن غير ماتفهم غلط، لو مشتهم هتتكلم بس، مش هستغل إنك مطلق و أغويك.

شهاب: لأ عادي، لو أنتي هتتكلمي عادي من غير إحراج، أنا كمان هتكلم، بس متزعليش من أي حاجة هقولها، ربنا يعلم أنا بحبك قد أيه، ومقصدتش أي حاجة وحشة بس الظروف هي اللي عملت كده، يعني فيه حاجات خططت لها والباقي حصل لوحده.

سعاد: خططت لها إزاي.

شهاب: هتفهمي لما أبدأ أتكلم، بس في الأول أحب أقولكم، إن شريف ده أكتر من أخويا وأنا أثق فيه أكتر من أني أثق بنفسي، يعني ساعات بحس بالأمان وهو موجود مكاني أكتر مابحس لو أنا نفسي موجود، وده أداني الفرصة أدور على علامات استفهام كتير أوي كانت في دماغي.

شريف

شعر شريف بالحرج فتكلم رغما عنه:

طيب، أنا هقولكم إزاي أتعرفت على شهاب:

بعد التخرج كالعادة التي يمر بها أي شاب، أعتدت الجلوس على المقاهي، لتدخين الحجارة المائية مع لعب كل أنواع ألعاب الموائد التي تتوفر بالمقاهي المحلية، كانت كل أيامي تتشابه معالمها بين الأكل والنوم والجلوس على المقهى وفي يوم لم يكن يتوفر المال الكافي للجلوس على

المقهى، ما يعادل بضعة جنيهات، لم أكتشف ذلك إلا عندما وصلت للمقهى.

شعرت بالخجل من عيون الصحبة التي تجلس كالعادة يوميا في نفس المكان، ينتظرون أن أقدم عليهم، لم أجد سوى أن أدخل للمسجد الذى كنت دائما استنكر مكانه الواقع بالجهة المقابلة للمقهى، لدرجة إنني كنت أجلس في وضع يجعل ظهري للمسجد حتى لا أشعر بالحرج من اللهو والعبث أمامه ولا أخطو خطوة واحدة تجاهه، في ذلك اليوم، ألقيت على الصحبة تحية شفاهية ودخلت إلى المسجد، كانت أول مرة أدخل للمسجد في يوم بمفردي فقد أعتدت فقط الذهاب إليه في صحبة والدي لقضاء صلاة الجمعة.

حين توفى، كنت لا أزال حينها في المرحلة الثانوية، ضاقت ذات اليد، فقررت أن أكمل دراستي بالمنزل معتمدا على دروس التقوية بأحد المراكز لكي أقتصد من المصاريف الزائدة على كاهل والدتي فبدلا من أن تدفع مصاريف مدرسة خاصة مضاف إليها الدروس، ستكتفي بالدروس فقط ثم انتسبت إلى كلية التجارة، ليتسنى لي العمل باليوم في أي مكان فأدفع مصاريفي الخاصة بالتعليم الذي كان ذو أهمية قصوى لوالدتي، كانت تعتبره علامة على نجاحها أو فشلها الشخصي، طوفت بساقية العمل غير الأدمي والدراسة حتى أنجزت المهمة في أربع سنين فقط ثم خارت قواي عندما لم أجد وظيفة تليق بمستوى الشهادة التي كافحت للحصول عليها.

دخلت المسجد مضطرا، جلست في أبعد ركن بالمسجد، بعيدا عن كل مرتادي المكان، غفت عيني، فوجدت نفسي نائما في مكب للنفايات وهناك أشخاص بهيئات قبيحة يبولوا علي، لم استيقظ إلا عندما سمعت صوت الآذان المدوي بالمكان، توضأت وصليت، لم يكن هناك

عدد كبير من المصلين فقط صف أو اثنين وبعد الصلاة، سألت الشيخ عن هذا الحلم المزعج الذى أشمئز حين أتذكره، فأخبرني أن هذه هي حياتي بين النوم والأكل واللهو بعيدا عن خالقي بدون أداء الفرائض كشخص نائم في غفلة غير عابئ بأن الشياطين تتبول عليه، ولم تزعجه كل هذه القاذورات ومعنى الأذان إنه قد حان الوقت لانقضاء هذا العهد القذر وأن الله ينتظرني، لذا جعلني أذهب إليه رغما عني، وما علي سوى الدعاء والتذلل بعزة في حضرته عوضا عن المهانة التي قد أعانيها إذا طلبت من أي أحد المساعدة.

بالفعل أصبحت حياتي الجديدة هي الأكل والشرب والنوم والذهاب خمس مرات للمسجد ثم رأيت شهاب يجلس في سيارته يراقب المسجد أو من يدحل للمسجد، لكنه أبداً ولو مرة ترجل خارج سيارته ودخل إلى المسجد، شغل تفكيري ونقمت عليه، فيجلس بداخل سيارته الفارهة، متحصنا بها غير عابئ بأي شيء، وقد يشعر إنه لا يحتاج إلى الصلاة والدعاء فلديه ما يكفيه من كل شيء ولم يعد يجد الوقت لكي يتأمل أو يراقب من يأتي هنا إلي مراقبته ثم استغفرت ربي على ذنب الحسد، فأخبرتني أمي أن الحسد والنظر إلى النعم التي توجد عند الآخرين شيء يشبه الكفر، لأنني بذلك أرفض قضاء الله وقدره، وأرفض قسمته من النعم على العباد، فدون أن أشعر أشرك به، والشرك هنا يعني أني أنصب نفسي شريك له في سلطانه وأقرر من يستحق ومن لا يستحق وأنا حتى لا أعلم الغيب.

هرعت إلى المسجد لصلاة الفرض وصلاة توبه عن الذنب، وجلست أبكي وأتذلل لربي حتى يغفر لي ذنبي العظيم، وفي تلك الليلة حلمت بشهاب يسقط في بئر عميق وكلما يمسك بحبل يمنعه من السقوط، ينقطع الحبل فيسقط مجددا، ثم يجد حبل آخر، ينقطع، يسقط، يمسك بطرف آخر يجده ذائب فيسقط، ثم يقول بأعلى صوته "يارب"

فأسمع صوته وأنا في المسجد فأخرج مهرولا إليه، فأمد يدي التي تتمدد رغما عني لتصل إليه، فيتمسك بها حتى يخرج من ذلك البئر.

استيقظت وأنا سعيد، لأني شعرت أن ربي قد يقبل توبتي، لكن الحلم تكرر كثيرا، لم يعد يقف بسيارته عند المسجد، ولكن ظل الحلم يتكرر، يؤرق منامي ، بات الحلم مزعجا، وفي يوم كنت ذاهب إلى المسجد، فتذكرت رقم لوحة سيارته التي رأيتها كثيرا، فاتصلت بصديق لي، أمين شرطة بالمرور وطلبت منه أن أعرف صاحب السيارة وعنوانه.

أتصل بي في اليوم التالي وأعطاني كل التفاصيل التي احتاجها، منها إياي من ذلك الرجل لأنه خزينة اموال متنقلة وله علاقات طائلة، فإن كان لدي معه إشكاليه، أتنازل عن حقي حتى لا أواجه مالا أطيق، لم أبال، ذهبت لمكتبه الرئيسي، طالبت من السكرتيرة مقابلته سألتني إن كان هناك ميعاد مسبق، نفيت لكني طالبت منها أن تخبره أنني أريد مقابلته بصفة شخصية وليست على سبيل العمل حينها ابتسمت، طلبت مني الانتظار وأحضرت لي مشروب وإفطار شهي، وأخبرتني إنها فعلت ذلك بناء على أوامر مستر شهاب، تحيرت من أمرها، فمنذ لحظات كانت تتعامل معي بعجرفة تبددت، حين اخبرتها إنه أمر شخصي، الصدق أقصر الطرق حقا، لا ادري؟

بعد حوالي ساعة ونصف من الزمان، أدخلتني له، كان يجلس بمكتب تقرب مساحته، مساحة الشقة التي أعيش فيها مع والدتي مجتمعه مع الشقة المجاورة لنا والتي يعيش فيها سبع اشخاص تعجبت في نفسي وتساءلت عن اي بئر قد يسقط فيه رجلا مثل ذلك الرجل الذي أعطاه الله المال والجمال والسلطة وقف شهاب وزر معطفه برسمية وهو يمد يده إلي ليصافحني: أهلا وسهلا، اتفضل.

شريف: أنا شريف شحاته.

شهاب: أهلا بيك، أقدر أعملك إيه، السكرتيرة، قالت إنه أمر شخصي.

شريف: آه، هي قدمت لي فطار.

شهاب: ده بس، اعتذار لأني كنت هتأخر عليك.

شريف: تعتذر ليه، أنا اللي جي متطفل عليك.

شهاب: لأ، متقولش كده، تشرب إيه.

شريف: لا، أنا شربت بره.

شهاب: طيب، تدخل في الموضوع.

شريف: ماشي، أنا هقولك على الحقيقة من غير لف ودوران أنا كنت بشوفك واقف عند الجامع اللي بصلي فيه، كتير بعدين حلمت بيك كتير أوي، إنك بتقع في بير وأنا بمد أيدي ليك وبنقذك، ده في الحلم، ولما سألت الشيخ، قالي أدور عليك وأساعدك، بس بعد لما جيت هنا، مش عارف أقولك إيه.

شهاب: طيب، هو أنت وصلتلي إزاي.

شريف: من رقم العربية بتاعتك، أنا ذاكرتي كويسة في الارقام، فطلبت من حد معرفة إني يجيب ليا أسمك وعنوانك، وفعلاً\ قدر يعرفهم وحذرني لأنك حد واصل، هو مكنش يعرف أنا عايزك في إيه، انت ممكن تقول عليا مجنون، بس هو ده اللي حصل من غير زيادة أو نقصان.

شهاب: لأ، خالص، ممكن يكون ربنا بعتك فعلاً\ ليا عشان تساعدني، بتقول إنك كويس في الأرقام، خلاص، أنا هشغلك معايا مؤقتا في الحسابات، وإذا اثبت كفاءة، أكيد هتترقى.

شريف: أنا فعلا محتاج شغل ومكنتش أحلم إني أشتغل في مكان زي ده، بس أنا مش جي عشان، اشحت أو أفرض نفسي عليك.

شهاب: ومن قال كده، أنا محتاج ناس شريفة تشتغل معايا، وأنت أسم على مسمى، وكفاية إنك جي من طرف ربنا.

شريف: يعني أنت هتشغلني، عشان أنا جي من طرف ربنا.

شهاب: طبعا، أكيد، ديه رسالة، مش هفهمها دلوقت بس ليه أمنع عن نفسي خير، ربنا بعتهولي.

كان شهاب بيراقبني عن بعد، كمان كان بيجي يشرب معايا الشاي وساعات يوصلني وهو مروح، كشفت عن كل التلاعب اللي كان بيتم في إدارة الحسابات، أي نعم مكنش هيفرق معاه لو أتسرق منه كل شهر مبلغ، كنت كل ما ألاقي حاجة بتحصل من ورا ظهره بفتكر الحلم وبحاول انقذه منها فضلت كده لحد مابقيت الرجل الثاني في كل المجموعة والفروع، وبعيعملولي حساب أكتر ما بيعمولوله، لأني أنا اشتغلت معاهم وعارف طريقة كل واحد اللي ممكن يسرق بيها.

"طبعا أنا أتنقلت بحياتي لمستوى مكنتش أحلم بيه والفضل لربنا ثم ليه، بس السؤال اللي هيجنني، إزاي بيحب ربنا وبيقبل بحد ميعرفش حاجة عنه لمجرد إنه حلم بيه وإنه رسالة وليه مبيروحش حتى لربنا ده الجامع ولو مرة، حتى عمره ماشفته بيصلي، ده من أنتقاد، كل واحد حر، وممكن يكون بيصلي من غير ماحد يشوفه، بس هو الكلام اللي جاب بعضه دلوقتي شهاب أكتر من أخويا وأفديه بعمري، وبقول الكلام ده لأني بدأت أحس أن البير بيقرب علينا"

أنهى شريف كلامه وكلا من نوران وسعاد مذهولين من تلقائيته في سرد أحداث قد يحرج أي شخص لذكرها، جعلني أبتسم وأطمئن أنني لست بمفردي.

عقبت نوران: حلو قعدة الصراحة اللي إحنا فيها ديه أنا ممكن اشارككم بحاجة كده عالماشي، بس محدش يزعل، أي حد، بس قبل ما ابدأ كلام، هعمل حاجة نشربها وناكلها خفيفة كده، عشان كمان شهاب ياخد الدوا.

لم أتمالك نفسي لأخبرهم: أنا مش عارف اقولكم فيه، في موقف زي اللي أنا فيه المفروض كنت أحس إني أتعس إنسان على وجه الأرض، لكن حقيقي أنا حاسس إني أكتر واحد محظوظ، معنديش عيلة تقف جانبي، بس عندي اللي أكتر من أي عيلة واللي مكنتش هحسه وأنا في وسط عيلتي.

كادت الدموع تخونني، لكنني أحكمت قبضة عيني حولها، فلم تستطع الفرار.

حاول شريف الاتصال بأدهم، هاتفه مغلق وغير متاح، فقال لي: إنه سيرسل أحد إلى مقر شركته حتى يصل إليه، إذا وجوده شيء ضروري، فأجبته بالإيجاب.

بعد أن انهينا مراسم الأكل والشرب وأخذ الدواء، جلست نوران على مقعدي الهزاز، الذي كنت اجلس عليه حين أفكر في أمر ما فتذكرت آخر يوم جلست عليه كانت شيرين لاتزال بالمنزل، كنت أدخن وأدفع الكرسي بعنف، لا أعرف ماذا أفعل، وأي شيء سوف يترتب على ذنوبي التي ارتكبتها، حين فكرت أن اذهب إلي المسجد ثم قاطعت شيرين الفكرة حين وقفت وراء ظهري، تفرك عضلات كتفي بأناملها

وهي تخبرني إنها مشفقة علي، لكنها في موقف لا يحسد عليه بشر وأن أي قرار ستأخذه سيقطع جزء من روحها معه.

نوران

أخرجت الخطاب من تحت الوسادة وقرأته مرارا حتى أوقفتني نوران:

نوران: ها اتكلم، جاهزين

فرددت عليها مسرعا تفضلي وأنا أترك الخطاب لأعطيها الاهتمام الذى تسعى إليه.

نوران: طيب، معلش لو طولت في الكلام استحملوني، لأني بدأت أجمع الصورة في دماغي وعايزاكم تشوفوها زي ما أنا شايفها

سعاد هي أختي الأكبر، لدي أخت أخرى تكبرني وتصغر سعاد، لكنني لم أتأثر بها قط، في حين أن سعاد كانت أختي، أمي، صديقتي، ومثلي الأعلى، الكل يعشق طلتها وخفة ظلها، قلبها الحاني علي، جعلني أتحسس خطها، لأخطو ورائها إلى أن بدأت، تبتعد عن الآخرين ولا أراها إلا ليلاً تبكي أو تدخن، فقدت ما كان الآخرين يحسدونها عليه، تنازلت عن صلتها بالأعلى، أمتنعت عن حفظ القرآن، تمددت بالطين وتوحلت به، كانت أمي تتمزق من أجلها، تجاهل أبي وجودها تماما، حتى لا يضطر أن يواجه حقيقة ما آلت إليه أبنته الكبرى، أما أختي الأكبر والوسطى، فقد انكرت وجودنا كلنا، سعت للزواج باكرا حتى تخرج من الدائرة المظلمة وتتصالح مع نفسها.

أما أنا فظللت أتأرجح ما بين الخطأ والصواب ما بين الغضب والدعاء حتى توفى إحسان، حزنت عليه سعاد، كادت أن تفقد صوابها لم أقترب منها سوى بالأحضان، وكنت أقضي كل وقتي بالدعاء لها أن

تنضبط وتعود لسيرتها الأولى، تتزوج، تنجب، هكذا أرادت ذلك بكل حواسي حتى تعافت شيء ف شيء، انخرطت بالعمل ثم الزواج من خالد ثم انجبت ذكر، اعتقدت أنها ستطلق عليه أسم إحسان لكنها أطلقت عليه أسم حبيب الاسم الذي أختاره إحسان ليكون أسم ولدهم الأول، هكذا قرأت في مذكراتها التي تخبأها في مكتبة سريرها القديم بمنزلنا.

فكانت تكتب مذكرتها منذ سنينها الأولى والطفولة منذ أن تعلمت الكتابة، كنت أطلع عليها سرا حتى أثناء سقوطها في الهاوية، كانت تكتب وتسجل كل ما تصل غليه من نجاحاتها في إدراك الفشل الحقيقي للإنسان.

كنت أقرأ مذكراتها بتمعن، فوجدت أن ما يحدث لها كما لو كان خطة مدروسة بإتقان وإذا وضعت أي خطوة قبل أخرى لن تكتمل فكل خيار يترتب عليه خيار آخر يؤدي لطريق لو ما اختارته في الأول ما كانت تصل إليه في الأخير، وإن كان مقدر لها الوصول إليه على أي، قد تكون عابر سبيل وليست عاملة رصف، تصف الطريق ليهتدي بضلاله الآخرين، لطالما اجادت هذا الدور، لم يكن أول من اهتدي بضيائها، إنه كان الأخير، لذلك توقفت عن دور القيادة، وتنحت عن أي مجال قد تكون فيه تحت الأضواء فيتبعها الآخرين بدون تفكير، فقط للوصول لشيء قد لامسته، كانت أيضا كذلك قبل السقوط، فعندما بدأت تحفظ القرآن، اذكر كل صديقاتها ذهبن لنفس المسجد، وحين ارتدت الحجاب، كل بنات العائلة الأكبر والأصغر قمن بارتدائه، فكانت كمنارة تهدي إلى الهدى أو الضلال.

بعد وفاة إحسان قامت بهدم المنارة، وقد يكون هذا هو ما جذب خالد إليها، فكان يبحث عن من هي مسلوبة الإرادة لتكون مناسبة

لنمط حياته الغامضة التي تثير الجدل والتساؤلات لكنها أبدا ما اقحمت نفسها أو اثقلت كاهلها بالسؤال، وحين شعر منها اشتعال حفيظتها ضد الاشياء المريبة التي بدأت تمسك بأطراف خيوطها، ألقى لها بمهام كثيرة، حينها أتت بي لأساعدها في الأعباء والبحث وإن لم تعلن عن ذلك لكنها تعرف أنفي ما إن يرتاب لا تستقر حتى تصل لمصدر الرائحة، وقد كان، فكل ما حاول خالد لإخفائه وصلت إليه، والده المنعزل عن مسرح الأحداث، صديقه الوحيد، جماعات الظلام.

بالنسبة لوالده لم اكتشف حقيقة الأمر إلى الآن، بالرغم من زيارة سعاد له وجعله يرى حفيده، إلا أن والده شخصيا غامض يعرف سر ويخبأه، لم يرد الإفصاح عنه، أوحتى الاندماج مع حفيده، إنه لم يسأل عن أحوال أبنه.

الغلطة الوحيدة التي ارتكبتها إنه سأل عن صديقه الوحيد وبالرغم من إنه ذكر الاسم دون ذكر لقبه إلا أن رحلة البحث لم تطل واستطعت أن اصل إلى مكان عمله وذهبت إليه وأختلقت أن لدي مشكلة وعليه أن يحلها.

ثم قالت نوران بنبرة ساخرة: طبعا الصديق ده هو أنت يا شهاب، لو لسه بتفكر وبتحاول تفتكر إنت شفتني فين قبل كده، بس الغريب واللي مش قادر أفسره هو إيه علاقة خالد بمرآتك وإيه علاقتك أنت بسعاد، توقفت نوران عن الكلام وتوقفنا نحن عن التنفس.

قطعت الصمت، سعاد وهي تسأل: خالد مين؟ وشهاب مين؟ أنت تقصدي خالد جوزي، يعرف شهاب ده؟ وأنت عارفة عن الاثنين، وأنا كنت فين من كل ده؟ طيب يعني مشاركتنيش في كل ده ليه؟ أنا مش فاهمة حاجة؟

سعاد: أنت يا شهاب فاهم حاجة؟ وأنت ياشريف عندك خبر بشيء، ولا أنتم زيكم زي. وأنا آخر من يعلم.

لم يتغيروجه شريف، فقد غيم عليه الإندهاش منذ أن بدأت نوران تتحدث، لكن أصابني التوتر من وقع سؤال سعاد، شعرت بأن الأتهام موجه لي وليس لنوران، بالطبع أي كانت دوافعها علي ألتزام الصمت، ستكون دوافع حميدة، بصرف النظر عن شريف، لايوجد فى العالم المنطقى مايدعو لتصديق أي شيء عن الصدفة قد تخدم حظى لنفترض أنتي ألتقيت بسعاد صدفة!!

أتجه شريف برأسه تجاهي، دعوة منه للدفاع عن نفسي ولنفى التهمة التي وجهتها سعاد ونوران إلي، شعرت بضربات قلبى تتزايد، ظهرت على وجهي معالم الأعياء، قفزت سعاد، جلست بجواري، جففت حبات العرق التى نثرت على جبهتي، امسكت بذراعي لتقيس نبضي، ثم طلبت من شريف الأتصال بالطبيب المتابع لحالتي، كان ذلك آخر ماسمعته في عالم الواقع، قبل أن أذهب لعالم آخر، عالم اللاوعي، عالم يبعد عن الأحلام، يرتبط بالواقع، واقع موازي، واقع حقيقي يطلع علينا، ولا نطلع عليه، يهمس إلينا، فننقاد إليه، ننصاع لأوامره دون التفكير في العواقب، ننهمك بالتلذذ بالنشوى المؤقتة نجذع من المشقة التى تتطلبها الطاعات، نهرع إلى المعصية لأن كل ما تتطلبه هو الشعور بالمتعة.

طيف الشيخ

أجلس قرابة محراب في المسجد الذي اعتدت الذهاب إليه، ليس ذاته مسجد يشبهه، قد يكون هو، لكن هناك فروق شكلية وخفيه تظهر عليه، تمثلت الفروق الشكلية في الرسومات النباتية متقنة جدا،

الإضاءة قوية جدا، أما الفروق الخفية؟ تظهر فقط في الشعور الذي ينتابني تجاه، شعور سكينة وراحه، كأنني بمفردي على الأرض، لا أتوقع وصول أحدهم، لن يعكر صفوي أو نقاء المكان، كذب إحساس، أشعر أن أحدهم على وصول، انظر إلى المدخل لا أرى خارجه سوى نور نهاري قوي، سمعت صوت قوي تسري ذبذباته في جسدي لتعبر المكان بكل ذراته، كان المكان كله صورة افتراضية، أهتزت أو تموجت فجأة، ثم عادة لطبيعتها حين ظهر صاحب الصوت:

السلام عليكم، إزيك ياشهاب، الشيخ جلال، أنت نسيتني.

شهاب: لا أبدًا، هو إحنا فين؟

الشيخ: أحنا في الجامع اللي أتعودت أشوفك فيه وأنت بتدعي ربنا.

شهاب: هو مختلف شويه، بس فعلا، كل حاجة فيه شبهه أوي، هو إحنا فيه حقيقي، أصلي أنا تعبان ومش بتحرك كتير، أنا كنت فالبيت، أنا جيت هنا إزاي؟

الشيخ: إحنا فيه فعلا، بس مش بجمسك اللي متكتف، بروحك الحرة، وجسمك ده، أنت اللي عملت فيه كده.

شهاب: إزاي.

الشيخ: بأعمالك.

شهاب: طيب وروحي.

الشيخ: روحك كده كده بتفضل طاهرة، فيه ناس بتدفن روحها، وناس تانية بيحيوها.

شهاب: يعني أنا كويس ولا لأ.

الشيخ: أنت إنسان محتار، شوية كويس وشوية مش كويس.

شهاب: مش فاهم حاجة، ممكن تشرحلي بس بالراحة، أنا عايز أفهم ومش هقاطعك خالص.

الشيخ: تمام هحكيلك، بس بعد مانصلي.

شهاب: انا هاصلي!

الشيخ: إيه أنت بطلت.

شهاب: لأ، مش حكاية بطلت، بس أنا كل ما أكون عايز أصلي أتكسف من ربنا، أخاف، أقف قدامه، فهرب من الواقفة بأي حاجة أعملها، ساعات بمثل أني نايم، أو تعبان أوي، أو اخلي الوقت يعدي لحد ما الصلاة تروح، فأزعل بجد وأعاقب نفسي أني أخليها تشيل ذنب أنها مش بتصلي.

الشيخ: يااه، وأنت بتعاقب نفسك؟!

شهاب: يعني هخدعك، هو ده اللي بيحصل ساعات كتير كنت بفضل واقف قدام الجامع، نفسي أدخل أصلي، بس كنت بخاف،طبعا مكسوف من الحاجات اللي عملتها مع ربنا، أنا بني أدم بس مش عبد كويس، كتير كنت بفضل واقف عند الجامع عشان أشوفك، أدخل معاك، بس مشفتكش.

الشيخ: عايز تدخل معايا وسطة يعني.

شهاب: لأ، بس أطمن بيك عشان تقولي إن ربنا رب القلوب، إنه هيقبلني وأني كده مش مصلحجي.

الشيخ: طيب ما أنت عارف الكلام ده وبتقول أهوه.

شهاب: بس مكنتش أقدر أقوله لنفسي، هفتكر أني بضحك على نفسي، فاكر لما قولتلك أدعيلي وخلتني أدعي ربنا أنه يحصل اللي أقدر

أستحمله، بس، فعلا ده حصل، ومزعلتش، لا زعلت، بس حسيت أن فيه حد ماسك قلبي بيطبطب علي، أنت عارف أني سبت بيتي اللي كان جنب الجامع ده من ساعتها بس كنت بدور عليك.

الشيخ: طيب مروحتش أي جامع تاني ليه.

شهاب: الناس عرفاني، وهيفتكروا أني بمثل وبعمل فيها أني مؤمن وبصلي وبلتزم وأنا مش ملتزم ولا حاجة.

الشيخ: يعني بتخاف إن الناس تاخد عنك فكرة غلط ومش خايف من ربنا.

شهاب: خايف، الصراحة أنا عمري ماخفت من ربنا، أنا بحبه بس، وعارف أنه بيحبني، ومش هيتخلى عني، أنا كنت بتكسف منه، ربنا الوحيد اللي متخلش عني، أي وقت بلجأ إليه، بيديني اللي أنا عايزه، أخاف منه ليه؟

الشيخ: أنت بتعصاه؟

شهاب:عمري ماعصيته، مشربتش خمر، ولا زنيت، بس قتلت غصب عني.

الشيخ: قتلت النفس التي حرم الله قتلها.

شهاب: لأ، مش كنت قاصد أقتل، أنا كنت بدافع عن بنت، كان فيه اثنين شباب اتعرضوا ليها، اتخانقت معاهم وأنا غضبان، لما فقت كان واحد فيهم عربية خبطته.

الشيخ: طيب وأنت عرفت منين أنك قتلته؟

شهاب: هم قالوا أني قتلته بالصدفه أو بالغلط وأنا صدقتهم بس عمرى ماحسيت أني قاتل، حتى عمري ماحلمت باللي قتلته ده بيجري

ورايا أو عايز ينتقم مني خالص، أنا ربنا بعد عني كل حاجة ممكن تضايقني وفتح عليا من وسع، بس أنا حاسس أنه زعلان مني دلوقت.

الشيخ: ليه بتقول كده.

شهاب: بص، هو زعلان مني بس بيحبني، بالرغم من أني لوحدي، بعتلي ناس تقف جانبي أنا معرفهمش، بيحبوني لله، من غير أي مصلحة.

الشيخ: شريف جالك.

شهاب: شريف آه، أنقذ فلوسي وشركاتي وبطمن بيه، أنت عرفت منين؟

الشيخ: أنت عارف هو أسمه إيه؟

شهاب: شريف زين.

الشيخ: اسمه شريف جلال زين العابدين.

شهاب: هو أبنك.

الشيخ: آه.

شهاب: ايوة صح، لازم يكون ابنك هو فعلا شبهك بالضبط، عشان كده ارتحتله، هو كان بيروح نفس الجامع اللي كنت انت الشيح بتاعه.

الشيخ: شريف ابني الصغير، أصغر أخواته البنات بس طيب هو ليه

شهاب: أنت مش فاهم حاجة، أنا هفهمك

ثم بدأت أحكي له..

في آخر يوم مررت بجوار المسجد وأنت غاضب، سألتك حينها أن تدخل وتصلي ركعتين لوجه الله وستنقضي همومك، بالفعل قد دخلت، صليت، ثم أفرج الله همك وأراح صدرك بعد ذلك بيومين، آتى لي رجل، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، كان يمثله، طلب مني أن أضلك، لأنك تحبني، طلب مني أن أغويك، أمتنع عن نصحك، سأحصل على أموال وفيرة فى المقابل، هددني أنه في حالة رفضي لعرضه، سيقتلني، سيقتات أولادي ولن يجدوا الخبز ليأكلوه.

خشيتُ على شريف، لأنه الأصغر، أخوته البنات تزوجن، سافرن خارج البلاد، كل منهن في دولة مع زوجها، في ذلك اليوم عدت لزوجتي وأنا أرتجف فطمأنتني، أن ربنا موجود، بالطبع أعي جيدا أن الله لا تضيع عنده الودائع، فسكنت بجوارها حتى صلاة المغرب، استودعتها هي وشريف وبناتي عند الله، ثم ذهبت لصلاة المغرب، دخلت للمسجد، كان ذلك الرجل يقف على بابه، يضحك ضحكة الانتصار، استغثت بربي، طلبت منه أن كانت ساعتي حانت، فلا ينول ذلك الرجل شرف قبض روحي.

شهاب: إيه ده يعني إيه؟ أنت مين؟

الشيخ: الروح مش بتموت يا شهاب، زي ما أنت شايف أن روحك كويسة، وأنت مش كده، الناس اللي بيكونوا بيحافظوا على صلاتهم وأعمالهم، ربنا بيكرمهم من فضله، وفي اليود ده، روحي قبضت للرفيق الأعلى وأنا ساجد في آخر ركعة.

شهاب: أنا فاكر اليوم ده، كنت ماشي بعيد عن البيت، سبت البيت، وأنا معدي جنب الجامع، كان فيه جنازة كبيرة أوي، الناس عماله تتشاهد "لا اله الا الله"، كانوا بيقولوا أنه كان راجل صالح، مات فالجامع وهو بيصلي، مشيت وراهم بالعربية لحد المقابر، صليت

معاهم هناك وأنا معرفشى مين اللي مات، دعيت ربنا أنه مياخدش روحي غير وهو راضي عني، كان كل الوجع اللي في قلبي راح، منستش كل اللي حصل قبل كده، بس من غير وجع، بقيت بعمل خير لربنا، بساعد كل الناس اللي بتلجأ لي، أو بحس أنهم تعبانين، حتى كان فيه ناس بتمثل، بس كنت بساعدهم برضوا، لأني كنت بمثل كتير على ربنا، أني تعبان عشان يسامحني في أني مبصليش، فقلت أكيد ربنا هيسامحني.

الشيخ: برافو عليك، عايزك تفتكر حاجة.

شهاب: إيه؟

الشيخ: أمك اسمها سميحة بركات السيد.

شهاب: حاضر.

الشيخ: أنا لازم أمشي دلوقت

سعاد: شهاب، شهاب، شهاب، أنت سمعني، شهاب، شهاب

كان ذلك صوت سعاد قضبت حاجبي: فتحت عيناي، نظري زائغ في كل الأركان الطبيب وممرضة يقفان بجواري، شريف خلفهم، سعاد بجانبي الأيمن، خلفها نوران.

نظرت لسعاد قائلا: أمي اسمها سميحة بركات السيد.

أغشي على سعاد على الفور، شلت أطراف نوران من الصدمة، لم استطع أن انفعل أو اتفاعل حيث منعني الطبيب من التحرك، قائلا: لوسمحت ياسيد شهاب، أنت في فترة نقاهة المجهود مش مطلوب الأنفعال ممنوع، أو هرجعك المستشفى تاني.

شهاب : خلاص، حاضر.

الطبيب : أنا اديتك مهدئ، هيساعدك أنك ترتاح شويه .. بالفعل بدأ المخدر يسري بعروقي، ظللت أراقب سعاد بنظري الذى بدأ يتلاشى، حتى سيطر عليه البياض مرة أخرى، انتقلت للمسجد.

لم أجد الشيخ جلال هذه المرة، تجولت بالمكان، فرأيت كتاب اسمه غير واضح، لكن العلامة واضحة، لقد رأيت هذه العلامة من قبل، أريد أن أتذكر عدت إلى الواقع، رأيت الثلاثي غير المرح يجلسون أمامي.

ابتسم شريف ابتسامة مصطنعة: شهاب، عامل إيه دلوقت كان المفروض، تفوق من نص ساعة فاتت، أنت حبيت الموضوع ولا أيه؟

شهاب: موضوع إيه؟

شريف: أنت بتغيب عن الوعي أكتر من أي حاجة تانية، يلا فوق عشان تاخد الدوا.

شهاب: طيب بلاش مهدئ، ولو حسيت أني هنفعل هاخده.

شريف: طيب ماشى، أنا بقول كده، بردو.

فقامت نوران لتحضر لي الطعام، تجلس سعاد في هدوء بالغ، تكاد تتلاشي في تفاصيل المكان من شدة سكونها، فسألتها وأنا مقضب الحاجبين وسألتها: مالك، وشك حزين ليه.

سعاد: لا ياحبيبي ابدا، أنا بس قلقانة عليك، أنت كويس.

شهاب: أنا حسس أني كويس، بس متلخبط، مش عارف أنا سليم، ولا بهلوس.

سعاد: طيب، متضغطش على نفسك، عشان تتحسن بسرعة

جلست بجواري لتطعمني في فمي، كأم تدلل ولدها الصغير.

وقف شريف قائلا: بس يا شهاب أنا لازم أروح الشغل دلوقت، هخلص حاجات بسرعة وهرجعلك، عايز حاجة.

شهاب: لأ هي شيرين اتصلت.

سعاد: لأ متصلتش.

شريف: أنت عايز حاجة.

شهاب: لأ خد بالك على نفسك.

شريف: حاضر، عايز أرجع أشوفك بقيت كويس وفايق.

شهاب: حاضر متقلقش.

بعد أن تناولت الطعام، وأخذت الدواء، طلبت من سعاد أن تحضر لي ورقة وقلم، فسألتني بهدوء، ليه؟

فأخبرتها ألا تقلق، لكن أريد أن أكتب شيء، قبل أن أنساه أو اتناساه اسرعت واخرجت من حقيبة يدها دفتر صغير وقلم، أعطتني إياهما، وضعت لي وسادة لاستند عليها، طالما كان رسمي سيء، لم يتعد مرحلة الرسم الطفولي، جلست بجواري تراقب يدي التى تحاول أن ترسم علامة ثم تخطأ، فتحاول من جديد في ورقة جديدة، فركت راسها وهي مترددة أن تتحدث فقلت لها: عارف أني رسمي زفت، شكله وحش، مبحبش الرسم.

شهاب: ليه، ده الرسم حاجة حلوة أوى، ممكن عن طريقه تطلع كل اللي جواك في رسمه وبعدها بص عليها هتعرف اللي جواك إيه.

سعاد: آه بس بتضايق لما برسم، عموما قولي عايز ترسم إيه وأنا أساعدك فيه.

شهاب: مش عارف أقولك؟

حددت لها بأصبعي على الورقة حدود الرسمة وأبعادها، أخذت الدفتر، فرت أوراقه إلى أن وصلت لورقة عليها الرسمة التى أريد أن أصل إليها. هي ديه؟ هكذا قالت.

شهاب: آه، إزاي عرفتي، أنتي اللي رسماها، وصلتي ليها إزاي.

تنهدت، أخذت نفس طويل ثم داعبت خصلات شعري بحنان بالغ، كأنها كانت تداعب النوم وتتوسل إليه أن يهاجمني.

طيف الشيخ

لم أشعر ذهبت مرة أخرى إلى المسجد، وجدت الشيخ ينتظرني سألني عن شريف، فرددت عليه من: أنا بحبه أوي ده زي أخويا، متخفش عليه.

الشيخ: أنا مش خايف عليه، ربنا معاه.

شهاب: بقولك يا شيخ أنا مش فاهم حاجة، أنا عايز أعرف، هو ربنا راضي عني.

الشيخ: ربنا بيحبنا كلنا، وأنت بتحب ربنا، حتى لو أنت بتعصاه هو مستنيك تستغفر عشان يغفر لك.

الشيخ: هو مين الراجل، اللي جالك وهددك.

شهاب: مش عارفه، بس تحس، أنه مش بني أدم أوي يعني فيه لمسة شيطانية، بتبان في نظرة عيناه وابتسامته.

الشيخ: أنا شفته واقف بره الجامع آخر يوم أنت صليت كان لابس ساعة ذهب كبيرة وبتلمع أوي، وفي أيده ميدالية.

شهاب: ميداليه!

فتحت عيناي، لم أجد أحد بجواري بالغرفة، تنفست ببطء، حتى لا أجهد قلبي، ثم حاولت مغادرة السرير على مهل لكن لم ألبث أن أغادره، أتت سعاد لتتفحصني

سعاد: انت بتعمل إيه، صحيت، مندهتش عليا ليه، أنا كنت بره عشان متقلقش من أي صوت.

شهاب: طيب معلش ممكن تجبيلي اللاب توب.

سعاد: لأ، لا موبيل، ولا لاب توب، لما تعدي فترة النقاهة، قوللي عايز إيه وأنا أعملهولك.

شهاب: طيب، ممكن الورقة والقلم.

سعاد: حاضر، بس قولي عايز ترسم إيه.

شهاب: عايز أرسم، رأس جدي بقرنين وحوليه نجمة.

أخرجت دفترها، فرت أوراقه حتى وصلت للرسمة التى أريد أن أرسمها.

شهاب: أنتي اللي رسماها، ليه، هو أنتي بتحلمي بالشيخ جلال.

سعاد: جلال مين؟

شهاب: شيخ الجامع، أبو شريف.

سعاد: شريف مين؟

شهاب: شريف جلال زين العابدين.

سعاد: أنت الحلم عندك مختلط بالواقع.

شهاب: مش عارف.

سعاد: طيب خلاص لما شريف يجي، هنسأله المهم خلينا دلوقت نتكلم، عايز أدردش معاك شوية.

شهاب: ماشي أحكي، صوتك حلو وأنتي بتتكلمي، بحس بالراحة لما بسمع صوتك.

سعاد: أنا عارفة.

شهاب: عارفة منين، مين قالك كده قبلي.

سعاد: محدش، أنت بس.

ابتسمت وأنا اقترب منها، قربت جسدها من جسدي لأضع رأسي على صدرها، فضمت رأسي إليها وكأنها تضمد جراحى براحة يدها، شعرت بأن جروحي كلها تضمد، كسوري كلها تجبر، كسر يتلوه كسر: حين فقدت أمي، تزوج أبي بأخرى، قسوتها عليّ، حب والدة خالد لي، حنانها عليّ، موتها، حين فقدت شذى، فقداني لسامية، أنتقالي من بيت والدي حياتي بمفردي، حياتي مع شيرين، أحضان أطفالي، أحضانها في الليالي الطويلي فقدان شيرين، ضياع أسرتي، كل أوجاعي تبددت بأحضانها، هل هي ملاك، هل أرسلها الله لي، كما أرسل شريف، والشيخ جلال.

شهاب: سعاد، من فضلك خليكي معايا، متتخليش عني، أنا عارف أن وضعنا.

سعاد: ششش متتكلمش، مفيش وضع أصلا، أنت حبيبي.

شهاب: حبيبك.

سعاد: آه، حبيبي، ابني، أخويا.

شهاب: أخوكي.

سعاد: آه، لما تشرب العصير وتاكل السلطة وهقولك كل حاجة.

شهاب: طيب يالا هاتي أكلهم.

سعاد: حاضر، ياحبيبي، ثواني وهيكونوا قدامك.

شهاب: لأ، متقوميش، خلاص، مش عايز.

سعاد: حاضر، مش هقوم، نوران هتجيبهم دلوقت.

دخلت نوران وهي مبتسمة، تظهر على وجهها مشاعر مختلطة بين الحب و الغيرة، وقامت سعاد باطعامي، ثم وصل شريف ليكمل حلقة الغيرة: "ياسيدي على الدلع، ياريت كنت أنا اللي عيان، طالما العيانين بتعاملوا كده".

ابتسمت وأنا أخبره:"بعد الشر عنك ياحبيبي، وبعدين حتى لو أنت، محدش هيسأل فيك، أنا غللي هأكلك".

شريف: لأ، وعلى ايه، أنا أكل بنفسي أحسن.

سعاد

قالت سعاد: ياريت تبطلوا دوشه، عايز أتكلم معاكم شويه، تعالى يانوران جنب مني

احتضنتي سعاد، قبل أن تبدأ بالحديث، استغرب كلا من شريف ونوران، كانت هذه هي المرة الأولى التى تحتضني أمام أحد لتقول:

أنا ونوران أخوات من الأب، امهاتنا يبقوا أختين، تزوجت أمي السيدة سميحة بركات السيد من أبي غصبن عنها لأنها كانت عارفة أن أختها الصغيرة بتحبه، وبعد ما خلفتني، طلبت الطلاق، بابا وافق بعد لما هددته أنها هترفع عليه قضية، فوافق بشرط انه ياخد البنت.

لم تجد أمي حلا آخر سوى الرضوخ لشرطه هذا، ثم تزوجت من والد شهاب، انجبت شهاب ثم أتت لتراني وعرفتني عليك، كان عمري لا يتجاوز الأربع سنوات، لكنني أتذكر اللقاء جيدا، جعلتني احملك، اضمك، اقبلك، أمرتني أن أحبك، تركت لي مذكراتها وصورها، لأتعرف عليها عندما أكبر، إذا لم تسنح لها فرصة أخرى بزيارتي، لأنها أتت عندما علمت أن أبي كان مسافرا خارج البلاد، بعدها بثلاث سنوات توفق أمي، تزوج أبي من خالتي التى انجبت أختين هما نرجس ونوران كانت نرجس تبغضني قليلا ولا تحبني، لكن نوران تعلقت بأوصاري.

عندما التقيتك بصالة الرياضة وفقدت وعيك، ضممتك فشعرت بنفس الشعور واصطدمت صورة أمي برأسي وهي تعطيني أخي وتجعلني احمله، اتشممه، أقبله، أضمه إلى صدري، لذلك لم أبالي بكوني لا أعرفك، أو أني متزوجة، حتى كونك متزوج وتعشق زوجتك، فمشاعري تجاهك كانت مشاعر من نوع آخر كلما كنت أضمه أو ألمسه، كنت أشعر بروح أمي وهي تداعب خصلات شعري، أشمك فأشتم رائحتها في أنفي، كان ينتابني حنين غريب تجاهك، لاينطفئ حتى ألمسك مجددا.

لم الشمل

سعاد

عندما نقلت إلى المستشفى، وأخبرتني نوران بذلك، لم أقاوم الرغبة في رؤيتك والاطمئنان عليك، لم أبال بكون زوجتك ستكون بالمشفى كما أخبرتني نوران، ذهبت، قابلتها وأخبرتها أنك بمثابة أخ بالنسبة لي وبالطبع لأنها أنثى شعرت بصدق كلامي ولم تشك بي، ثم اتصلت بي شيرين في الليلة التي ستغادر فيها وطلبت مني أن اعتني بك، أخبرتني أنها مضطرة لذلك، لكنها ستعود.

بكيت وأنا في حضنها كما لم أبك من قبل، تركنا شريف وأخذ نوران لخارج الغرفة، ضربات قلبها المتتابعة، نظمت ضربات قلبي، طمأنتني، شعرت بمنتهي القوة والأمان، كنت أريد أن أخبرها بكل شيء، لكنها أمرتني أن أنام، استجبت لرغبتها وغفوت، نمت كما لم أنم من قبل، لم أرد أن استيقظ قط، عندما فتحت عيني، وجدتها نائمة وهي تحتضنني، فغفوت مجددا، لم استيقظ إلا حين سمعت صوتها يقول اسمي: شهاب، شهاب، يلا يا حبيبي قوم.

فتحت عيني وأنا مطمئن غير عابئ بما ينتظرني من حروب، خرجت سعاد من الغرفة وعادت بنسخة مصغرة مني أنه حبيب، يشبهني في طفولتي، شبه لا يصدقه عقل، ضممته إلي لأقول له:

شهاب: أنت عارف أنا مين؟ أنا خالوا شهاب اللي بيحبك أوي.

حبيب: أنا كمان بحبك.

غمرتني السعادة أردت لو أن الحياة تنتهي في هذه اللحظة، لكن لم أقم بتسوية حساباتي بعد، علي أن استعيد أولادي، فدعوت ربي في سري: يارب متقبضش روحي، إلا لما أطمن عليهم ، ثم دخلت نوران والسعادة تقفز من السعادة، تكاد تلمس السماء بيدها التى يلمع بها خاتم لم أره من قبل:

شهاب: إيه ده، هكذا سألتها وأنا مبتسم، فاقتربت مني، وهي تقبل رأسي:

نوران: بما أنك أخويا الكبير شريف طلب مني الجواز، لكن طلبت منه أني مش هوافق غير لما أنت توافق الأول.

شهاب: بس أنتي لبستي الخاتم.

نوران: ما أنا عارفة أنك أكيد هتوافق، باين أنك بتحبه كتير وأن له مكانة فى قلبك.

شهاب: ده حقيقي أكيد، مش هلاقي حد يحبك ويحميكي أكتر منه، أول ماشفتك في حفلة الأولاد أتمنيت أنه يتجوزك، عشان كده خليته يجي عشان يوصلك.

قفز شريف إلى جواري ليتسنى له أن يحتضنني دون أن يجهدني.

شهاب: خير يا شريف، ديه أول مرة تحتضني؟

كاد يبتعد عندما شعر بالاحراج، فضممته، فقال:

شريف:أنا كان نفسي أحضنك من زمان، بس كنت بحس أنك من النوع اللي مش بيحب التلامس، الصراحة أنا بحبك، من أول مرة استقبلتني في مكتبك، لكن كنت بحس أني أقل منك، فكنت بخاف أنك تفسر ده أني بتملقك لأنك رئيسي وصاحب الشغل.

شهاب: رئيسك إيه، ده أنت دلوقتي اللي رئيسي و أنا دراعك اليمين، لولا وجودك جانبي، كانت كل حاجة ضاعت وأنت عارف كده.

قبل كتفي وهو يخبرني بأنني أكتر من أخ بالنسبة له ثم سألني عن أسرتي، والدي وباقي الأسرة، فأخبرته أن والدي كان يعيش في القاهرة بمفرده بعيدا عن مسقط رأسه، كان يعتبر والد خالد، أخيه وشريكه، وحين أرادنا أن نهاجر إلى كندا، عارضته ثم انتقلت في هذا المنزل الذي اشتراه لي ونقل معظم الأصول التي أبقى عليها في مصر لتكون باسمي ولازالت باقي الأصول باسمه هو وأخوتي البنات لكنني لا أعتقد أنه سيأتي، لأنني حين أخبرته أنني أريد أن أراه، أو أن عليه أن يرى أحفاده كان يكتفي برؤيتهم حين يتصل، وعرض علي أكثر من مرة أن أسافر له،

لكنني كنت أرجئ السفر، كنت أخشى أن يقنع شيرين بالبقاء معه، لطالما كان يجيد أن يقنع الآخرين بأي شيء في وقت قصير، لم أثق في شيرين، بأنها تستطيع أن تقاوم اغراءات عروضه، الآن جزء كبير مني يندم على عدم السفر، والشق الآخر سعيد بأنني بقيت برغم الأحداث.

شهاب: شريف، هو أنت اسمك شريف جلال زين العابدين.

شريف: عرفت إزاي.

شهاب: أبوك قالي.

شريف: أبويا، أمتى، أنت تعرفه.

شهاب: قالي إمبارح.

شريف: إمبارح، بابا مات من زمان، شكلك بتهلوس.

شهاب: لأ، جالي وقالي.

شريف: جالك فين؟

شهاب: جالي في الحلم.

شريف: فى الحلم، ماشي يا شيخ شهاب.

شهاب: بتكلم بجد، أنا كنت بحلم به كل ما كنت بغمض عيني كنت بشوفه في المكان اللي كنا بنتقابل فيه.

شريف: كنتوا بتتقابلوا فين؟

شهاب: هقولك، بس قبل ما أقولك نشوف حكاية حبيب.

ثم سالت سعاد: هو حبيب هيفضل معانا هنا؟

سعاد: أنت مضايق.

شهاب: أبدا، أقصد اسالك هو المكان هنا أمان بالنسبة له؟

سعاد: مش عارفة.

شهاب: أنتي كنتي سيباه فين قبل كده؟

سعاد: كان موجود مع أسرة إحسان، هم ناس كبار، عندهم حراسة في كل مكان.

شهاب: إحسان، أنت لسه بتشوفيه أقصد والده يعني؟

سعاد: أنا بزورهم كتير جدا، بعد موت إحسان والده احتضنني زي بنته، كان بيهتم بيا، بيحن عليا، حبني زي ما اتمنيت أن بابا يحبني، اللي مقدرش ينسى أن ماما سبته وتخلت عنه واشترت حريتها بأغلى حاجة عندها، عشان كده لما كنت بغلط مكنش بيعاقبني ولا كان بيحبني كان واخد موقف سلبي مني، لكن والد إحسان اعتبرني فعلا بنته أو من ريحة ابنه اللي مات، كان بيصلح أي حاجة غلط عملها مع إحسان.

شهاب: ممكن دلوقتي لحد ما أجيب حراسة أثق فيهم ، يكون المكان عند والد إحسان امان أكتر من هنا.

سعاد: هو خالد عارف مكانك.

شهاب: هو عارفه، زارني مرة أول ما نقلت بعد ما سبت البيت القديم، لكن بعد كده علاقتنا اتقطعت من غير سبب، بصي ، أنا معرفش قطعت علاقتي بخالد أزاي و ليه ؟ بس إلى فاكره كويس إن هو اللي قطعها بالبطئ، لما سامية مشيت وابني في بطنها.

سعاد: قصدك سامية القاضي؟

شهاب: انت تعرفيها ؟

سعاد: كنت بشوف اسمها على تليفونه، مقابلتهاش، اكيد بتشتغل معاه، انا معرفش حاجة عن شغله.

شهاب: ليه ، وهو بيخبي عليكي شغله؟

سعاد: ولما بدات سال واعمل مشاكل وازن عليه، خلاني اشتغل معاه حاجات كل الناس عارفها، لوما حبيت اعرف ان البيبزنس المستخبي، زودلي الشغل لدرجة اني اخدت نوران عشان تشيل معايا.

شهاب: طيب، يبقي نوصل حبيب، عند والد إحسان عشان نطمن عليه، عشان دماغنا تروق للباقي.

سعاد: من احنا؟ هو انت هتيجي معايا؟

شهاب: وليه لا، عايز اشم شويةهواء ، حاسس اني صدري مخنوق.

سعاد: خلاص خليك ، وانا هأجددلك هواء البيت، بس انت مش هتتحرك قبل اسبوع ، وبعد كده هاخذك تشم هواء براحتك.

شهاب: الله يخليكي يا سعاد، خليني أكون معاك.

سعاد: أولا، انا مش هتحرك، عشان ممكن اكون متراقبة.

شهاب: طيب مين؟

سعاد: نوران وشريف، انا حسيت اني محتاجه اشوفه لما عرفت أنك أخويا، كنت عايزة ابقي معاكم انت الاتنين في مكان واحد ولو لخمس دقايق.

شهاب: لو احنا متراقبين، ممكن خالد يعرف مكان الولد.

سعاد: لا، مش هيحصل،احنا بننقله في صندوق كبير مدعم بفتحات تهويه.

شهاب: صندوق، طيب افرضي صحي وهو فالطريق.

سعاد: لا متخفش لما حبيب بينام مش بيقلق غير لما ياخد قسط النوم الي متعود عليه.

شهاب: وهتبقي مطمنه وهو مع نوران وشريف،أفرضي مترافبين!

سعاد:حتى لو مترافبين، محدش يقدر يمس منه شعره وهو هناك، المكان عليه حراسة زي القصر الجمهوري كده.

شهاب: واو، و ازاي كده.

سعاد: اهو بقي، المهم اني حاسة ان سبب كل ده ان ربنا بيحمينا.

شهاب: صحيح، حاسس أن ربنا بيرسل لنا بشر اشبه بملايكة بتحمينا وتدافع عنا، وتحمينا من الشياطين البشرية.

اندهشت سعاد من قسوة التشبيه، وهي تساله سؤال بلاغي:

سعاد: قصدك أن خالد بشر شيطاني.

شهاب: معرفش بس الشيخ جلال كان عايز يقولي كده.

سعاد: مين الشيخ جلال؟

شهاب: ده والد شريف، بزس تحسي انه من الاولياء، تصدقي قالي حاجات في الحلم ومعلومات استفدت منها لما صحيت من النوم.

سعاد: يعني شفت رؤية.

شهاب: معرفش الفرق بين الحلم والرؤية، انا من الناس الى اصلا مبيحلموش انام وبعد كده اصحي على الميعاد، لحد مادخلت المستشفي وشفت اول حلم، شفت الشيطان.

سعاد: الشيطان نفسه ولا تقصد خالد.

شهاب: لا، أقصد الشيطان نفسه قد لا تصدقيني، عندك حق.

وان لم تصدقني سعاد حينها ، فلم أستوعب الأمر حينها، كيف حدث ذلك؟ لم أكن أعتقد بحقيقة وجوده! و امكانية رؤيته! كنت أعتقد بأن الأعمال السيئة من نفسنا والأعمال الجيدة من روحنا الطاهرة لذلك نحاسب عليها والله قاسط ، لذلك يعطينا كل الخيارات والصلاحيات للاختيار ما بين الخير والشر ثم يعاقبنا أو يكافئنا. لكن ما حدث أني فطنت بعد ذلك أن الأمر ليس كذلك فقط، فهناك أشياء أخرى نثاب عليها دون فعلها، وتؤخذ في الاعتبار أكثر من الذنوب والمعاصي الفعلية إنه القلب أو ما يقال عنه النية فلم يحاسبني الله على الذنوب والمعاصي والتقصير الفادح في عبادته، قدر ما أعطاني من حب، و رعاية، و اهتمام، و حماية، نعم لأنه يحبني أكثر كثيرا مما أحبه، إنني أحبه ويتعلق قلبي به حين أحصل على شيء، أخبره في سري أنني أحبه أكثر من أي شيء، عندما يخطئ الشر في اصابتي، أخبره أنني أحبه لأنه هو من حماني وحفظني، لا أعرف بعد لماذا أنا مقصر هكذا في العبادات لكن ينبغي عليّ البحث في هذا الأمر مثلما سنبحث عن كل شيء آخر.

انهيت حديثي الذي لا أعرف من أين استوحيته ، ثم جلسنا منتظرين حبيب أن يشعر بالنعاس، لكنه لم يتثائب، أو تتثاقل جفونه شعر شريف بالتعب، فأخبرنا أنه سيدخل ليغفو قليلا، حتى ينام حبيب ثم نوقظه، نامت نوران وهي جالسة على مقعد فوضعت سعاد عليها غطاء خفيف، جلست سعاد بجواري على السرير وحبيب بحضنها، تحكي له الحكايات وتلعب معه كل الالعاب الكلامية واليدوية إلى أن غلبها النوم، ظل حبيب يتأملها حتى سقطت يدها عنه

صاحب الصوت

عندما دخلت في مرحلة النوم الثانية، توجه برأسه إليّ، يتفحص ملامحي، بدأ يضع يده على وجهه، ثم يزيحها فجأة كي يفاجئني، اصطنعت أنني تفاجأت أكثر من مرة، وفي المرة الأخيرة، نظر إلى باب الحجرة، ثم وضع يده على وجهه وأختبأ بحضن أمه. لم أشعر بالراحة تجاه مافعله، لم يكن وجهه لاهي، بل كان عابثا، لا بل كان خائفا، خائف،!! مما يخاف ونحن حوله؟!

صاحب الصوت: أكيد هيخاف مني أنا.

شهاب: منك، أنت رجعت تاني، أنت كنت فين كل ده؟

صاحب الصوت: أنت فاكرني نسيتك.

شهاب: يعني، قلت زهقت.

صاحب الصوت: من أمتى، مسمعتنيش؟

شهاب: من آخر يوم شفت سامية.

صاحب الصوت: تفتكر ليه؟

شهاب: عشان مسمعتش كلامك، قلت لي أروح على بيت الأستاذ وأنا روحت على الجامع الأول، وهناك قابلت الشيخ اللي عطلك، وفشلت خططتك، هي إيه خطتك؟

صاحب الصوت: أنت ليه مفهمتش.

شهاب: بحاول.

صاحب الصوت: خلاص خليك تحاول.

شهاب: لحد أمتى.

صاحب الصوت: لحد ماتموت وتعرف الحقيقة.

شهاب: اللي هي أيه؟

صاحب الصوت: أنت عايزني أقولك.

شهاب: أمال أنت بتكلمني ليه.

صاحب الصوت: لحد ماتعرف أنك كنت غلطان وضيعت الوقت عالفاضي، فهمت؟

شهاب: لا.

صاحب الصوت: أنا عارف أنك مش هتفهم.

شهاب: عرفت منين؟

صاحب الصوت: أنا بدرسك من زمان.

شهاب: بتدرسني أنا.

صاحب الصوت:طبعا، أنت شغلي الشاغل، معنديش غيرك ولا أمل إلا أنني أنفذ خططتي بنجاح.

شهاب: أنت شايفني.

صاحب الصوت: طبعا.

شهاب: طيب أنا مش شايفك.

صاحب الصوت: عايز تشوفني.

شهاب: حتى يكون فيه تعادل.

صاحب الصوت :هو أصلا مفيش تعادل.

شهاب: إزاي؟

صاحب الصوت: أنت متفوق عليا في كل حاجة.

شهاب: فعلا.

صاحب الصوت: آه، فعلا، للأسف.

شهاب: طيب أنت ليه لسه بتحاول.

صاحب الصوت: ما أنا قولتلك، ده شغلي.

شهاب: طيب إيه هو شغلك؟

صاحب الصوت :أنت شغلي وكل حاجة عندي والوقت بيعدي.

شهاب: أنت وقتك محدود.

صاحب الصوت :آه، طبعا.

شهاب: لأمتى، لحد ما أموت.

صاحب الصوت: لحد موت كل واحد فيكم، ولحد يوم القيامة، أو ليوم النفخ في الصور.

شهاب: يااااه، ده وقت طويل، طيب هو أنت بتعمل كده مع البني آدمين.

صاحب الصوت :لا، مش كلهم بياخدوا مني المجهود ده، بس أنا مش بيأس ومهمتي الرئيسية أني..

شهاب: أنك إيه؟

صاحب الصوت: مش هينفع أقولك.

شهاب :طيب هوأنت اللي أنا بفكر فيه.

صاحب الصوت: تقصد مين؟

شهاب: مش أنت عارف، أنا بفكر في أيه.

صاحب الصوت: بس أنت وعدد قليل بيعرفوا يخدعوني، ومقدرش أعرف بالضبط هما بيفكروا في أيه، وحتى لما بعرف، مش بضمنهم بيغيروا رأيهم في أي وقت وساعات في آخر لحظة.

شهاب: احجبك إزاي عني؟

صاحب الصوت: فيه حد سألني السؤال ده قبل كده، وجاوبته.

شهاب: آه ،طيب جاوبته ليه.

صاحب الصوت: كنت مضطر.

شهاب: شكله غلبك.

صاحب الصوت: بس أنا غلبت ناس تانية كتير.

شهاب: أيه نقطة ضعفك.

صاحب الصوت: مش هقولك.

شهاب: خلاص يبقى اسكت مش عايز أسمعك تاني.

صاحب الصوت: طيب خلاص تحب تشوفني.

شهاب: آه.

صاحب الصوت: هتستحمل.

شهاب: العمر واحد والرب واحد.

صاحب الصوت: طيب، استعد.

شهاب: لا أستنى أنا مش عايز حبيب يشوفك، أخاف عليه.

صاحب الصوت: حبيب، وهو فين؟

شهاب: أهو.

ألتفت حولي، لا أجد أحد غيري محبوس في بئر عميق.

سعاد

أسمع أسمي : شهاب .. شهاب .. صفعه تصطك بوجنتي، ثم شهاب ثم صفعة أخرى.

"إيه في أيه" هكذا صحت، حين فتحت عيني لأجد سعاد قد هرب الدم من وجهها، شفتيها بيضاء.

سعاد: حرام عليك، وقعت قلبي.

شهاب: هو أيه اللي حصل.

سعاد: مالك أنت حاسس بأيه؟

شهاب: أنا معاكي أهو، مفيش حاجة، فين حبيب؟

سعاد: حبيب عند فريد والد أحسان.

شهاب: مين راح معاه؟ وراح أمتى؟

سعاد: أنت نمت وأنت قاعد، فغطيتك بمفرش وخرجنا من الأوضة وفضلت ألعب مع حبيب لحد ماراح في النوم وأخذه شريف ونوران ومشيوا وكلموني وهما هناك، و زمانهم ودلوقتي في الطريق.

شهاب: هو أنا نمت أد إيه؟

سعاد: داخل في 3 ساعات وميعاد الدوا فات بقالوا خمس دقايق وأنت مكنتش عايز تصحى.

شهاب: خفتي عليا؟

سعاد: آه طبعا، خفت، هو أنا لحقت ألاقيك عشان تروح مني.

ضممتها إلى صدرى، فظلت تبكي، دموع بلا صوت أو نحيب شعرت بسخونتها تتسرب إلي جسدي بعدما تشربتها ملابسي تركتها على راحتها، لم أتحرك أو أتنفس كثيرا حتى لا أزعجها، دموعها هذه وراءها الآلاف الأسباب وبالتأكيد ستشعر بعدها بالراحة.

سألتها: هل تشعرين بالراحة أو بالسكينة تجاه فريد والد إحسان توترت أحبالها الصوتية قبل أن تجيب:

- متعودتش أثق في حد ثقه عمياء، الوحيد اللي أثق فيه ومش هيتخلى عني هو ربنا، أنا كنت على حافة الانهيار، وأنقذني أول ما لجأت إليه، ولو فيه حد ممكن ييأس من غفرانه، كان هيبقى أنا، عملت كل الذنوب، آخرها أني أتسببت في موت حد كنت بستغل حبه وأهتمامه، عشان أحقق سعادة زائفة مفعولها بيروح أول ما أفوق وبتعامل مع الواقع. الراجل ده وقف جانبي كتير بعد موت ابنه وفضل يدعمني لحد مابطلت الشرب والتعاطي.

شهاب: أنت كنت بتتعاطي مخدرات.

سعاد: كنت ساعات بضرب ترامادول، لكن العادي أننا كنا بنشرب.

شهاب: خمرة.

سعاد: ههههه، آه خمرة، بس هي أنواع، أنا دلوقتي عرفت ربنا حرمها ليه؟، أنت ممكن تعشقها وتعشق احساسك وأنت مخمور، بتقول كل الوجع اللي عندك وكل اللي بيدور جواك من غير أي حواجز.

شهاب: يعني مش بترتاحي لما بتشربي وتغيبي عن الوعي.

سعاد: خالص، كل اللي بيحصل، أن الحواجز بتقع، الحدود بتتلاشى، فمثلا لو عايز تعمل معصية وخايف من ربنا، الخوف هيروح، لوحد جرحك ومش قادر تقوله أنه جرحك، وأنك موجوع، هتروح تضربه على وشه وتعرفه أنه جرحك، مكنش المفروض يعمل كده.

شهاب: وأنت عملتي كده؟

سعاد: ييه، عايزني أحكيلك.

شهاب: آه، يالا، هو فيه حد هنا؟

سعاد: لا، شريف مشي ونوران نامت.

شهاب: طب يالا قولي.

سعاد: هقولك على المرات اللي أنا أفتكرتهم بس.

شهاب: أكيد، قولي لو ده مش هيضايقك.

شهاب: لأ، مش هيضايقني، إذا كان حكيتلك وأنا معرفكش، دلوقتي أولى أني أحكيلك مش بتكسف منك، أنت ستري وغطايا.

قبلتني في راسي، فأجتاحتني مشاعر عارمة، أغمضت عيني، فقبلتني مرة ثانية، ثم أخبرتني هكذا كانت تقبلني أمي، بالتأكيد كانت تقبلك هكذا. رددت عليها بصوت مرتعش، لا يستطيع إدراك الممكن من اللاممكن، لكنني أشعر أنني أتذكر، هل يعقل ذلك، أيعقل ان أتذكر طفولتي البعيدة قبل الثلاث سنوات؟ فأخبرتني ان الأذكياء، أو حادي الذكاء، قد تكون ذاكرتهم حادة لدرجة أن يستعيدوا الذكريات المختزنة في عقولهم حتى قبل أن يكتمل إدراكهم. اعتدلت في جلستي لاسالها كيف عرفت، فاجابتني انها مرت بذلك الأمر بعد موت إحسان، واشار

عليها الطبيب النفسي، أنه يتوجب عليها البحث عن كل الأمور التى كانت تؤرقها وتشغل تفكيرها، وتحاول ان تهرب منها.

أكلني الفضول فسالتها عن ماهية هذه القضايا، فاجابت ان ما يشغلها الكثير من آلية عمل الذكريات في العقل البشري، والاحداث التي يتكرر حدوثها باستمرار، ومايرتبط بها من طاقات الجذب، والاختيار والعدالة، والجنة ومصغرتها، وجماعات الظلام الشيطانية.

من كثرة الدهشة والاثارة قلت لها :

شهاب: يااااه، كل ده، أنا عايز أعرف كل حاجة وصلتي لها.

سعاد:على شرط تقولي كل حاجة بدور في دماغك، مش بس كده والاحلام الي بتشوفها

شهاب: اكيد طبعا هحكيلك، مش عشان طلبتي بس كمان لما بتكلم معاكي برتاح، بتفهمي الي اقصده من غير ما اشرحه.

سعاد: طيب نبدا دلوقتي، قولي اي حاجة معرفهاش.

شهاب: احنا متقابلناش صدفة، انا كنت بدور عليكي

سعاد: انت بتتكلم جد

شهاب: اه والله، اكيد مش هكدب عليكي

سعاد: اعتبر ده وعد

شهاب: وعد أخ لاخته

سعاد: الي هو اصدق من وعد رجل لست؟!

شهاب: فيه حاجات كتير جدا عايزة احكيهالك، مستعدة؟

سعاد: أنا مستعدة، بس دلوقت ميعاد الدوا، هجيبلك عصير وآجي.

شهاب: خديني معاكي.

سعاد: أنت خايف؟

شهاب: مش بخاف.

شهاب: بس مش عايز أكون لوحدي.

سعاد: طيب، أنا عندي فكرة أحسن: مش كنت عايز تشم هوا.

شهاب: ياريت.

سعاد: تعالى نقعد في التراس، مفيش هوا جامد، وهغطيك كويس ده منظر النجوم بره حكاية.

شهاب: ماشي، بس نجوم تاني.

سعاد: يعني إيه نجوم تاني؟

شهاب: المرة اللي فاتت، سبتيني وقعدتي تكلميهم.

سعاد: أنت زعلت، ده أنا كنت متونسه بيك، مكنتش عايز أكون لوحدي في اليوم ده.

شهاب: يوم أيه؟

سعاد: ده يوم ذكرى وفاة إحسان، اتعودت كل سنة أروح نفس المكان اللي كان بيحب ينام فيه تحت النجوم، ويفضل كده لحد الصبح، ولما كنت أحاول أكلمه، كان بيحط إيده على بقي، ويقولي أتاملي النجوم، وخدي منهم طاقة على أد ماتقدري. أتعودت أعمل زيه، وأروح هناك في الذكرى السنوية بتاعته وأقعد أعيد حساباتي ومواقفي.

شهاب: هو كان بيعمل كده؟ طيب أنتحر إزاي؟ لما هو متصالح مع نفسه كده!

سعاد: هو فعلا كان متصالح مع نفسه قبل ما يحبني وينجرف في تيار ساقط مندفع لاسفل، فأنقسم على نفسه النص التقيل اللي فيه القلب كان معايا والنص اللي فيه العقل كان ضدي ولما حاول يصالح النصين وبدأ ينصلح حالى، دخل طرف ثالث وخلى الشك يأكله، والشك ده زى السوس بينخر فينا لحد مايوصلنا للشك في الذات الالهية ووجودها، وأسباب وجودنا في الحياة.

شهاب: الشك في أي حاجة؟

سعاد: آه، الشك في أي حاجة، الاستفسار والتساءل شيء والشك ده شيء تاني، التساءل هيقف وينتهي أول ما بتشبعه بإجابات، لكن الشك كل ماتوصل لإجابة هتشكك فيها، لحد ماتوصل للذات الآلهية وتشكك فيها أتوماتيك، يفضل الشك يرهق الإنسان ويجهده، لحد ما يقف قدام حائط سد، ويشك في كل الثوابت من غير حل، غير أنه يتلاشى بنفسه و عقله وشكوكه في كل شيء. هو ده اللي حصل لأحسان، كان بداية شكه فيه، الالتزام والاستقامة ولما أستقمت والتزمت حتى وهو بعيد عني مصدقش وشك، ولما فكر أن ربنا هيغفر لما أتوب، ليه هو كمان ميغفرليش كل اللي فات، فيشك "هو ربنا هيغفر؟"، هيشك في وجود المغفرة، ثم وجود العدالة ثم يصل لوجود الغفار والعادل ..! ثم فكرة الثواب والعقاب، الجنة والنار إلى آخره، وفي الآخر كان عايز يرتاح، مكنش عنده حل تاني يا أما يبطل شك أو يخلص من الحياة، كمان أنا عارفة أن عمره كده كده كان هيخلص في اللحظة ديه، كان هو كمان هيعرف ده لو وثق في ربنا وقضاءه وقدره، بس إزاي يثق وهو بيشك أظن أن الشك كان مدخل الي استخدمه إبليس وهو بيشكك سيدنا آدم وستنا حواؤ في الشجرة و النعم الي هيتحرموا منها لو سمعوا الكلام الرباني ، ربنا نهاه عن الاقتراب من الشجرة، جه أبليس ووسوس لهما، شككهم أن الشجرة ديه فيها سر

الخلود والسلطان ومش هتأذيهم، يعني شككهم في وجود حكمة ربنا وحبه ليهم، عشان أقدموا على الأكل من الشجرة، عشان يتأكدوا ..

قلت صائحا: الله عليكي.

قالت سعاد: طيب يالا أسند عليا عشان نروح على التراس ونكمل كلام، ده الجو حلو أوي النهاردة.

شهاب: تفتكرى خالد كان يعرف أنك أختي؟

سعاد: أنت بتشك، ولا أيه؟

شهاب: لأ، أنا بسأل، بستفسر بس.

سعاد: مش عارفة، بس أكيد لما نحلل الحكاية بكل تفاصيلها، هتوصل للحل، أكيد ربنا هيهدينا للفكرة اللي تحل كل شيء.

جلسنا تحت النجوم، بعد أن وضعت جاكيت حول صدري، وأراحت على كتفي شال زيادة في الحرص، شربنا العصير، تناولت الدواء من يدها الملائكية، لا أصدق أن هذه هي الفتاة التى تقص عنها قصص الفساد والفشل، لا يستطيع عقلي أن يستوعب الأمر، قد يكون في بادئ الأمر لدي ما يجعلني أصدق ما تقول عن نفسها بقدر ليس بكبير، فقد أترك نسبة للتباهي بالخطأ كما يفعل معظم الخاطئين، أو العاصيين، فيترك المعصية لكنه يظل يتباهي بها، وبالنسبة للإناث قد يكون الأمر مضاعف، فقد تذكر الفتاة كل الأخطاء التي وقعت فيها بنفسها هي وأصدقائها مجتمعين حتى تشعر بالإعجاب في عين المستمعين، هكذا اعتادت منهم، عندما كنت اتنقل بين الوظائف العادية في مجموعتي، كانوا يعاملوني على أنني موظف عادي، فتحاول كل فتاة أن تجتذبني تجاهها بالتباهي بذكر الأخطاء

التى وقعت فيها، فتطمعني أن أتعرف عليها، ومن ثم أدخل معها في علاقة.

خلال العلاقة لاتمارس أي شيء مما ذكرت، عندما كنت أتذمر، كانت تخبرني أنها توقفت، وتابت إلى الله، والصدق هنا أنها فتاة ليست سيئة أنما كانت تدعى السوء لترضي الجهلاء وحتى لايعف عنها الذباب..

اراحت سعاد ظهرها للخلف وهي تنظر لي قائلة:

سعاد: ها يا شهاب أحكيلي بقى، عايزة أعرف عنك كل حاجة من ساعة ما شفتك و تقريبا أنا بس اللي بتكلم، وأنت مش بتتكلم خالص، بتسمعني كويس أوي وبنتناقش لكن عينيك عميقة لدرجة أني هموت وأعرف تركيبتك وقصة حياتك اللي فيها نسوان من كل حتة، وإزاي في الآخر تنتهي بشيرين، اللي أنت مش قادر تاخد منها أي موقف سلبي، بالعكس أنت حتى مغضبتش عليها، عينك مليانة قلق عليها بعيدا عن الأولاد وحبك الفطري تجاههم، أنت إزاي كده.

شهاب: والله أنا كمان مش عارف أنا إزاي كده، ساعات بحس أني إنسان وشيطان في نفس الوقت، وساعات بحس أني بني أدم لا أنا شيطان ولا أنا ملاك، كائن محتار، مذبذب، يروح ناحية الشر شوية، وناحية الخير شوية.

أرحت قدماي على مقعد صغير، اعتادت كنزي الجلوس عليه في ليالي السمر أو الليالي التي اعتادنا أن نتبادل فيها القصص و المواقف المضحكة التي تحدث لنا خارج المنزل، ثم بدأت في التحدث عن نفسي كأني شخص لا اعرفه؛ كائن يتأرجح ما بين الرغبة الحيوانية والسمو الآدمي، وليس السمو الملائكي، فلا يوجد سمو ملائكي، إنما يوجد، رغبة حيوانية تصل بك إلى مصاف الشياطين.

تعجبت سعاد من فكرة عدم وجود سمو ملائكي، فاسهبت لها في شرح فلسفتي الخاصة عن التى كونتها عبر ثلاثين عاما من التفكير، فالفكرة تشغل بالي منذ السابعة : " الفروق بين البني آدم والحيوان والملاك والشيطان فروق جوهرية، ويمكن التأرجح بين كون البني آدم حيوان أو شيطان لكنه لا يستطيع أن يكون ملاك، لسبب بسيط هو أن الإنسان قبل الأمانة وهي الاختيار والثواب والعقاب، أما الملائكة فهي كائنات مطيعة لا تفعل شيء سوى طاعة الرحمن، فإذا حافظ البني أدم على سموه وأبتعد عن الرغبة يبعد عن الحيوانية القائمة على الرغبة والقائمة على إشباع الحاجة، وإذا أطلق لنفسه العنان سيقترب من الشيطنة التي تدعم الرغبة القائمة على الشهوة التي لا تنتهي، كلما أشبعتها كلما تدهورت جوعاً تجاه الأعمق أو الأسفل".

سعاد: ما شاء الله، قضيت معظم عمرك، مش بس كده، كمان خرجت من العلمليات شهابطون، يكونش افلاطون زارك كمان

شهاب: بتقولي فيها، طول عمري بتمرجح من القمة للقاع.

سعاد: ووصلت لفين؟

شهاب: تقدري تقولي اني على الحافة، حافة بير مالوش قرار ولا باين له اول من اخر، بس كل شيء عند الله بمقدار، كله بميعاده، والمكتوب هنشوفه مهما هربنا منه.

ارحت ظهري الي مسند المقعد وانا أخبرها: بدأت رحلتي عندما دخلت حجرة أمي، لم أجدها، انتظرتها، لم تعد، تسائلت عنها، لم تقنعني الأجوبة، لكن أكثر إجابة آلمتني واعتصرت قلبي هو أنها "راحت عند ربنا"، لم أكن أعرف ربنا بعد لأعرف كيف تذهب لتبقى معه وتتركني بمفردي، ثم طالبني والدي بالصلاة، كنت اتثاقل، اتباطأ "كده ربنا هيزعل منك"، ماذا سيحدث إذا غضب مني أو لم يحبني، انا لست

راض أصلا عن كونه حرمني من والدتي، الوحيدة التى كنت أسعد بجوارها وفي أحضانها.

عندما بدأت مراهقتي، لازمني صوت ينهاني عن الصلاة لكل الأسباب التى كنت أفكر فيها منذ صغري، يعظم الفكرة برأسي، عندما كنت أجادله، كان يتوقف عن الجدال ويصرفني لأي شيء آخر انشغل به، فكنت أقرأ كثيرا، قرأت لداروين، وكل نظرياته التي تؤكد أننا لسنا من خلق الله، إننا مجرد تطور للطبيعة التى نتجت من تفاعل كيميائي بيولوجي، معنى ذلك أن أمي تلك الجميلة التى بخيالي مجرد جثه نفقت، وعلى بقاياها سيتغذى كائن آخر لتستمر دورة الكون، هنا عدت إلى الله، لأن الأرحم لقلبي أن تكون أمي عنده في ملكوته على أن تكون جثة نفقت وأنقطع نسلها.

تجادلت مع الصوت عما يدور برأسي، فأجابني بأني أضيع وقتي الثمين بقضايا لاتخصني على أن آخذ خالد جاري وصديقي كقدوة، أحذو حذوه في الاستمتاع بالعالم، لايضره شيء عدم ارتباطه بأمه من الأساس فيصيح بها دائما، يتطاول عليها فيشعر بتحقيق جزء من رجولته التى تكتمل بممارسة الجنس بمفرده أو حتى مع من يجدها بطريقه، ذهبت لخالد، جعلته صديقا لي لأعرف إذا كان ما أخبرني الصوت به صحيح أم أنها هواجس داخلية وعليّ زيارة طبيب نفسي لم أسأله مباشرة، إنما تتبعت خطاه هو وأصدقائه لأعرف ماذا يفعلون، كانوا يقلدون بعضهم البعض، لكنني لم أعلم من السيد فيهم ومن الأتباع.

ما أذهلني حقا هو صدق كلام الصوت بحذافيره ذهبت لوالدة خالد، أخبرتها بكل ما كان يجول بخاطري، أخبرتها عن الصوت، كنت حينها أجلس بعيادتها، فقد كانت طبيبة نفسية لا أتذكر جيدا لماذا ذهبت ذلك اليوم إلى عيادتها، ماذا كان دافعي حينها، لكنها ظلت تسمعني لمدة تعدت الثلاث ساعات، قالت لي إنه يتوجب علينا أن

نستكمل هذه الجلسات في السر، حتى لا يسخر مني أصدقائي، الأصدقاء الذين كانوا يتتبعون خطى سيد خفي، جعلوه سيدهم.

اخبرتني دكتورة سعاد والدة خالد في الجلسات اللاحقة، أن ما أسمعه حقا هو صوت الشيطان الذي يفترض أن يكون وسوسة لا يحدث ذلك مع البشر بصفة عامة، لكنني مختلف، أدقق بالتفصيل، أعيش بمنأي عن الناس، بمعزل عن المشتتات.

فجسدت الوسواس الخاص لصوت أحاوره ويحاورني، وإذا لم يحاورني الصوت لكنت فقدته، أو بمعنى أدق، كان زمام أمري سينفلت منه، ولأن الشيطان يقضي أزليته في دراستنا، يعرف كيف يتعامل معنا، باحترافية، ونتعامل نحن معه بغوغائية، وهمجية، فحين أخبرنا الله في كتبه أنه عدو، كان يتوجب علينا أن نتخذه عدوا، نحتاط منه، نتوجس منه، نحصن أنفسنا ضده وضد أصواته.

عدد قليل من البشر هم من نجحوا في مواجهته، دون الانسياق وتتبع صوته، فقد استمع لوسوسته سيدنا آدم، فخرج من الجنة، وقابيل استمع لصوته فغار وحقد وقتل أخوه، سيدنا يونس نسى ربه فابتلعه الحوت، سيدنا موسى قتل أحدهم، بينما لم يستمع له سيدنا إبراهيم فرجمه بالسبع حصوات،و لم يستمع له سيدنا إسماعيل فسلم رقبته لأبيه، عفي الله سيدنا عيسى ورفعه إليه وهو حي يرزق، كما أرسل الملائكة لتنزع النقاط السوداء من قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حتى يكون بمنأى عن الشيطان، فإذا كان صفوة البشر قد وقعوا بالخطأ ولو لوهلة، فماذا سنفعل نحن، عامة البشر، الفيصل هنا هو النية والقلب فإذا تعلق القلب بالخالق تستقيم النية، يصبح الوقوع في المعصية خطأ يغتفر لأنه عن غير عمد و لا

ينتج عنه الندم والوجع، كمن لطخته الأوساخ تتأذى نفسه إلى يتطهر، فيعود لسيرته الأولى، هذه هي التوبة.

قالت سعاد متعجبة:

سعاد: أنت إزاي كده؟ يعني مش فهماك اللي يسمع كلامك ده أو حتى اللي يكون عارفه عن يقين زى ما أنت بتقوله كده المفروض حاله يكون مختلف.

شهاب: أنا عارف الكلام ده من زمان، أنا كنت بتكلم معاكي دلوقت، لما ماتت الدكتورة سعاد، حصلتلي صدمة، بسبب أن خالد حملني مسئولية موتها، فنسيت كل حاجة تخصها، وفي الليلة اللي كنت بتشوفي فيها النجوم كانت أول مرة افتكرها بعد موتها ولما عملت العملية حلمت بيها، وحاسس أن كل حاجة رجعتلي تاني دلوقت، كأنها كانت إمبارح.

سعاد: يا الله، قدرت تنسى .

شهاب: نسيتها أو تناستها، مش فارقة كتير.

-" هي أيه ديه اللي مش فارقة " هكذا قالت نوران وهي تقف مستندة على الباب المدولب الذي يعزلنا عن باقي المنزل.

العائلة الجديدة

سعاد: أنتي صحيتي.

نوران: مش جيلي نوم.

شهاب: أنتي بتنامي كتير أوي.

نوران: أنا بردو اللي بنام كتير، أنت تقريبا بتقوم من النوم عشان تنام تاني، ده حتى حبيب كان عايز يلعب معاك ولما لاقاك نايم، قعد جنبك وطبطب على إيدك لحد ماراح فى النوم.

- طبطب على أيدي، الله.

سعاد: هو حبك أوى وارتبط بيك، وديه مش عادته، هو مش بياخد على الناس بسرعة.

نوران: قولولي بقا، هو أنتم ليه قاعدين في أبعد حته في البيت، مش عايزين مين يسمع كلامكم، وهو مفيش غيرنا، أنتم كنتم بتنموا عليا أنا شخصيا.

شهاب: حاجة زي كده.

سعاد: ليه بس كده يا شهاب، مش هنخلص، أنت متعرفهاش، ديه ما بتصدق تشبط في حاجة.

شهاب: ديه أحلى حاجة فيها.

نوران: شا الله يخليك ليا.

شهاب: شا الله، أسمها إن شاء الله وديه كلمة لبنانية، المصري بتاعها إن شاء الله لكن شالله ديه كلمة دراجة وغلط مينفعش حد بدماغك يقولها.

نوران: إيه أنت بدأت تفوق، وأول ماهتفوق، هتفوق عليا أنا.

سعاد: المهم يفوق، عليكي، على أي حد، مش مشكلة.

نوران: آه ومين يشهد للعروسة، على فكرة أنا بدأت أغير، شكلك بتحبيه أكتر مني، وده غلط.

سعاد: لأ، طبعا، أنا بحبكم أنتم الثلاثة أكتر حاجة.

شهاب: مين التالث؟ خالد.

سعاد: لأ، طبعا، حبيب.

نوران: طيب وخالد.

سعاد: والله معرفش، إذا كنت حبيته من الأساس ولا إيه، بس دلوقت أنا موقفة مشاعري ناحيته، لاعايزة أحس حاجة إيجابية ولا سلبية، عشان مظلمهوش ولا أنصدم فيه.

نوران: أيوة بقى يا سعاد يا جامد.

شهاب: أنتي كده بتشجعي أيه؟

نوران: أنا بشجع رونالدو في أي حته وأي مكان.

شهاب: طيب، وشريف.

نوران: هو لوكان شبه رونالدو كان زماني أتحرشت بيه، بس يالا الحمد لله، ربنا مبيعملش حاجة وحشة، هو عالم.

سعاد: ديه كانت مضربة عن الرجالة، شلاه ياسيدي شريف يا زين.

شهاب: شلاه، ده وباء في العيلة، أنا خايف أتعدي، كفاية عليكم كده، أنا بقول خالتي وخالتك وأتفرقت الخالات.

نوران: بيئة أوي يااااي.

شهاب: بيئة، ده اللي هو أنا، طيب يا كلاس، أنا عايز أدخل أفرد جسمي عالسرير، أنت أصلا قطعتي حبل أفكاري.

نوران: والغسيل راح فين؟

شهاب: عثل وثكر.

نوران: عندي السكر فعلا.

شهاب: بجد.

سعاد: آه جالها السكر بسببي.

نوران: لا، ياعم السكر وراثة أصلا، هي مالهاش دعوة بالموضوع ده.

سعاد: أسمع مني يا شهاب لما كانت حالتي زفت، اتكلمت معايا وأنا كنت شاربة وعميانة، فقلت كلام، أنا مش فاكرة منه حاجة لكن جالها غيبوبة، ونسبة السكر عندها انخفضت، كل السكر اللي في جسمها أتحرق، طبعا خالتو مش هتسامحني، بس أنا مكنش قصدي، وكل ماتتعب، ضميري بيعذبني.

نوران: آه، الدراما، طاطاطا أصلي النكد طبع في عليتنا، عشان كده كلهم عندهم السكر.

شهاب: تمام حلو أوي كده، يعني أنا جالي القلب، انتظر السكر بقى.

نوران: يا ثكر، ألش رخيص على فكرة، عموما مفتكرش أنه هيجيلك دمك مش مسكر، متحاولش.

شهاب: طيب النهار طلع، كفاية عليكم كده، يالا نرتاح شوية.

نوران: يا ترى عربية مين اللي بتركن بره ديه.

شهاب: ديه عربية شريف، هو إيه اللي هيجيبوا بدري أوي كده، كملت، مفيهاش نوم.

نوران: أنا هروح أفتح الباب؟

شهاب: خليكي يا ماما هنا، هو معاه مفتاح.

نوران: أم م م.

سعاد: هو أنتي كنتي عارفة أنه جاي عشان كده صحيتي؟

نوران: هو بعتلي رسالة، وقال أنه جاي يطمن على شهاب عشان مسافر، سفرية مهمة تبع الشغل.

شهاب: سفر إيه دلوقت! هيسبني لوحدي.

سعاد: أنا معاك.

شهاب: طبعا يا حبيبتي أنتم معايا، المفروض تتحاموا فيا، وأنا محتاج شريف يكون معايا.

شريف: صباح الورد عليكم.

شهاب: إيه ده كله، أنت عمرك مادخلت عليا بكيس لب.

شريف: عيب بقى، بلاش كده قدام الجماعة.

شهاب: الجماعة، ماشي يا عم أنت والجماعة.

شريف: أنا عارف أنكم ممكن تحتاجوا حاجات، فعديت إمبارح اتبضعت عشان الدنيا تبقى فى اللذيذ، لغاية ما أرجع، أنا مش هتأخر متخفش، أنا كلمت ناس من عندنا من البلد هيبعتوا حراسة صعيدي، مش هيتفاهموا مع حد غير معاك وممكن ميتفهموش معاك أنت شخصيا كمان، ربنا يستر.

شهاب: لا، ياراجل، تشكر، طول عمرك بتفهم أنا محتاج إيه من غير ما أتكلم.

شريف: عيب عليك، أهم حاجة لو فيه أي حاجة في أي وقت تكلمني، ساعة وهكون عندك.

شهاب: ليه إزاي يعني.

شريف: أنا رايح الميناء بتاع العين السخنة يعني قريب منكم، ممكن أخد نوران معايا.

شهاب: مالك.

شريف: لو مش موافق خلاص، ولا كأني قولت حاجة، هو كان اقتراحها أصلا، وأنا مكنتش موافق، بس هي قالتلي جرب يمكن يوافقوا.

سعاد: خلاص يا شهاب، سيبها تروح هما أكيد مش هيتأخروا، صح.

نوران: آه والله، مسافة الطريق.

شهاب: الحب بهدلة.

شريف: آه، والله، بس أحلى بهدلة في الكون.

شهاب: لا خد بالك عليها.

شريف: حاضر، يالا روحي ألبسي.

نوران: أروح يا شهاب؟

شهاب: طالما سعاد موافقة، خلاص ماشي، أنا رجل عصري بسمع كلام الستات اللي بتفهم.

غادروا بفرحة وشوق وقليل من الخوف كطائرين يجربا الطيران للمرة الأولى، يخشى ألا تحمله أجنحته في الهواء، لكن رغبته في الطيران لا تتوقف عن الضغط عليه، وضعني شريف بحجرتي قبل أن يرحل وقال لي أن الرجال سيصلون خلال ساعتين، طلبت مني سعاد أن نحظي بذلك الوقت لننام قليلا، لم أغف إلا عندما داعبت خصلات شعري، وغنت لي أغنية أتذكر لحنها جيدا، فكنت أدندن به عندما أشعر بالوحدة، لكنني لم أتسائل يوما، ماهذا اللحن ولا أي أغنيه تكون هذه، وعندما سألتها عنه، أخبرتني، أن أمي كانت تغني لها هذه الأغنية عند النوم، وأنها أغنية قد ألفتها أمي، لتغنيها عند النوم،

حفظتها، كما أنها وجدت كلماتها مكتوبة على احدى الرسائل التي كانت خالتها تسربها إليها من غير علم والدها.

دكتور سعاد

حلمت بدكتور سعاد تجلس في عيادتها تنتظرني، أنقر على الباب، تسمح لي بالدخول: السلام عليكم.

دكتور سعاد: عليكم السلام، إزيك يا شهاب.

شهاب: إنتي عاملة إيه؟

دكتور سعاد: أنا كويسة جدا.

شهاب: يعني مبسوطة؟

دكتور سعاد: مبسوطة، بس ساعات بضايق عشان خالد، قلقانة عليه.

شهاب: شفتي ماما؟

دكتور سعاد: مامتك؟

شهاب: آه.

دكتور سعاد: ركز يا شهاب، أفتكر كل حاجة قولتهالك، متتهورش، خد بالك من نفسك ومن اللي حوليك، بوسلي حبيب، أبقى هاته معاك.

أستيقظت على يد سعاد أختي وهي توقظني: شهاب، حبيبي أصحى، الناس اللي شريف بعتهم، وصلوا تحت، مش هيطلعوا غير لما تصحى.

- طيب حاضر، هقوم، أخبار حبيب إيه؟

- أكيد دلوقت بيلعب، انا كلمته في الميعاد الي بيصحى فيه، و فرح أوي لما قولتله أن خالوا بيحبك وهيجيبلك حاجات كتير عشان تكون سعيد وفرحان.

- بجد، آه، ربنا يستر؟

- مالك؟

- مش عارفة، لما نمت جانبك، حلمت حلم غريب أوي، بس شكل الكلام اللي أتكلمناه قبل النوم هو السبب.

- طيب إحكيلي.

- حلمت أنك في مكان زي مكتب أبيض وفيه واحدة ست بتتكلم معاك وبتقولك أبقى هات حبيب.

- إيه ده، أنت حلمتي كده، هو أنا كنت بتكلم وأنا نايم.

- معرفش، أنا صحيت على تليفون شريف.

- طيب أنا عايز ألبس وأقابل الناس، ونروح نجيب حبيب.

- ليه، ايه اللي حصل، ده مجرد حلم.

- لا، كده مش حلم، أنا كمان حلمت كده، ده تحذير، الميتين مش بيكدبوا.

- آه طبعا، هم في دار الحق وإحنا في دار الباطل.

- يعني إيه؟

- يعني إحنا ممكن نكدب ونتلون حسب المصلحة، والمنفعة أو حتى مضطرين، لكن هما مفيش حاجة تضطرهم يقولوا أي حاجة مش حقيقية.

- ماشي.

- يالا نلبس، ونشوف إيه اللي أنت عايز تعمله وأنا معاك.

- هو شريف أتصل؟

- آه، وقال لما تصحى، أكلمه وأفتح المايك، عشان يكلمك.

- طيب، أتصلي بيه لو سمحتي وأنت بتساعديني.

- حاضر.

إتصلت سعاد برقم شريف، ثم أعطت الهاتف المحمول الى شهاب

شريف: ألو.

شهاب : إزيك يا شريف عملت إيه؟

شريف: فيه مشاكل على الشحنة.

شهاب : ليه؟

شريف:مش عارف؟ هو أنت مستورد أيه بالظبط؟

شهاب : طيب أقفل وأتصل على الكارت اللي كنت أديتهولك قبل كده، اللي لونه أحمر وقوله أنك من طرفي وعندك مشكلة، هو هيحلها.

شريف:طيب، سلام.

وضعت سعاد يدها على كتفي بنعومة وحنان القطط، التي تراها شرسة حنونة في لحظة واحدة

سعاد: لو فيه حاجة نخلي والد إحسان يحلها.

شهاب: لا معنديش ثقة فى حد معرفهوش، و الراجل ده هيخدمني ..

سعاد: ليه؟

شهاب : ليا عنده خدمه، كنت خلصت له حاجة كده زمان وده عرف ما بين رجال الأعمال، الخدمات أغلى من الفلوس وأقوى من العلاقات الإنسانية، ديه لغة البيزنس.

سعاد: آه، عارفة، خالد كمان كان بيقول كده.

أنهيت هذا الحوار بمقابلة أفراد الحراسة، أردت تفحصهم، لم أتوجس فيهم خيفة، كانوا مطمئنين لحد كبير، لا يوجد لديهم أي دافع سوى الحماية ثم انتظار المكافئة التي تناسب حجمي الذي يرونه من خلال مظاهر الترف المحيطة بي. إختلف مظهرهم كثيرا بعد أن أحضر شريف لهم حلات تبين وظيفتهم كحراس شخصيين.

أخبرت سعاد والد إحسان أننا سنأخذ حبيب، لم يبدو سعيدا لمفارقة حبيب، ومع ذلك رحب بنا في قصره الفخم، رحب بي على وجه الخصوص لشخصي بعيدا عن سعاد، وأعطاني بطاقة تعريفية لونها أحمر، أتصل بها وقت الحاجة، كاد حبيب أن يقفز عليّ من فرط سعادته لرؤيتي، لولا منعته سعاد، سألني عن الأشياء التى قالت أمه عنها، فأخبرته أنني أردت أن أعرف أي الأشياء يريدها حتى أحضرها، حينها، زاغت عيناه في حيرة تحديد الأشياء ثم قال لي: أي حاجة.

في الطريق سألتني سعاد، لماذا أحضرنا حبيب، لم يكن لدى رد، غير أنني أتبعت رسالة ونفذتها، فلن يضرنا شيئا إن لم يكن هناك منفعة حقيقية، ثم أتصل شريف

شريف: ألو، شهاب.

شهاب: أيوة يا شريف، إيه الأخبار.

شريف: فيه ممنوعات متهربه في الشحنه، أعمل إيه؟

شهاب: أرميها في البحر.

شريف: أرميها!

شهاب: أقولك ولع فيها.

شريف: إزاي، يعني.

شهاب: أقولك، أرجع أنت ونوران وأنا هتصرف، بس خلي الشحنة محجوزة، ووقف الورق بتاعها، وأتصل بالكارت الأحمر اللي معاك وقوله شهاب بيه عايز يحرق الشحنة وهي بالميه.

شريف: فعلا!

شهاب: آه.

شريف: احنا دفعين كتير فيها.

شهاب: ده فخ، أخسر الفلوس أحسن.

شريف: قصدك أيه بالظبط من كلامك، أنت عارف من اللي مدبر الموضوع ده.

شهاب: لأ معرفش، مش مهم أعرف مين، إحنا في سوق مفتوح ممكن أي حد يكون عايز يأذيني أو يخلص مني.

شريف: طيب خلاص، هعمل التليفون دلوقت عشان الوقت ميعديش بينا، ونرجع عالطول.

شهاب: ماشي، خدوا بالكم من نفسكم وأنتم راجعين.

شريف: لا إله إلا الله.

شهاب: محمد رسول الله.

أنتاب سعاد القلق، وتسائلت عن أي احتماليه للخطر، نظرت إليها مطولا، ثم طلبت من رجلين من الحراسة، أستقلال سيارة لحراسة شريف، أمرت شريف أن ينتظر بالمينا، إلى أن يصل إليها الرجال، أمتعض قليلا لكنه وافق.

شعرت بالخوف يجتاحني، فقد يصب شريف ونوران مكروه، هناك من يتربص بي ويعرف معلومات عن شغلي ولديه أتصال بالموردين في الخارج، كنت أنا المقصود، لأنني أعتدت الذهاب للميناء لأن وجودي بشخصي يسهل الأمور، كما أنني أعشق جو المينا، السفن الضخمة تشعرني دائما بالخلاص والحماية إحساس بالضائلة أمام حجم السفن، شعور مريح لروحي، يريح بالأعباء عن كاهلي، أصوات الطيور، الريح الذي ينشأ عن تلاطم الأمواج بهيكل السفينة الخارجي يعزلني عن العالم.

هل آن الوقت لألجأ إلى الله، أذهب إليه بمفردي دون وسيط، مات الشيخ أين أصلي، بالبيت، بالمسجد، أريد أن أصلي، علي أن أحضر نفسي وأشحن طاقتي الداخلية.

سعاد: شهاب مالك؟

شهاب: مفيش.

سعاد: أنت خايف من حاجة؟

شهاب: لا، أبدا، قلقت شوية.

سعاد: لآ، مش شوية، وشك باين عليه، فيك إيه، افتكرت حاجة، كنت بتفكر في إيه.

شهاب: آه، عايز أتصل بمربية الأطفال، عشان تقعد مع حبيب وتاخد بالها من طلباته.

سعاد: ممكن أكلم المربية بتاعته.

شهاب: لا، بلاش، مش هثق فيها، أكيد خالد يعرفها.

سعاد: خلاص، اللي يريحك هعمله، بس متشغلش تفكيرك، مفيش مشكلة، هو مش ناقصه حاجة.

شهاب: أتصلي أطمني على شريف واسأليه هما وصلوا فى الطريق لغاية فين.

سعاد: أتصلت بيه والموبيل بتاعه غير متاح.

شهاب: طيب جربي واتصلي بنوران.

سعاد: كلمتها هي كمان موبايلها مغلق.

شهاب: ساعات الشبكة بتقع عالطريق يبقى هما كده على طريق الكريمات الجبل هناك بتفصل الشبكة.

خدي حبيب وعرفيه على أوضة الأولاد، هيفرح بالألعاب،وأنا هكلم المربية والطباخة.

سعاد: خلاص يا حبيبي، ماشي.

قمت بإجراء عدة مكالمات بمعارف في الداخلية، لأخبرهم عن محاولة أختطاف أحد رجالي على طريق السخنة، كان علي أن أخترع ذلك الأمر، لأدفعهم للأهتمام، وتمشيط الطريق، أتصل عليّ مسئول أمني، أخبرني، أنه تم أبطال المحاولة، وأن شريف والمدام في طريقه للمنزل في حراسة الشرطة، لكن الحراس الشخصيين لم ينج منهما أحد.

تسارعت ضربات قلبي، لقد توهمت أمر للأختطاف، لاستدرار الأهتمام لكنه حدث فعلا، استدعيت أحد الحراس وأخبرتهم بالأمر

تقبل الحادثة، كأنها تحدث كل يوم وردد بكل شجاعة: ده شهيد، مات وهو بيقوم بعمله، أنا هبعت أجيب رجاله تاني، متشلش هم.

صرفته وأنا أحسده على تقبله للأمر بكل تلك السلاسة، كأنه معتاد الأمر أن يفقد أخ له أو أحد أقاربه، هل الأموال التي سيحصلون عليها تستحق تقبل الحدث، أم هذه شجاعة حقيقية وأولئك نوع من البشر لم أتعرف عليه بعد.

وصل شريف ونوران بحالة مزرية، عليهم آثار للحريق، تفوح منهم رائحة الشياط، وهناك بعض الكدمات، يبدو شعر شريف كما انه صعق للتو بالكهرباء، لم يبالي شعر نوران لأنه مصعوق بالأساس لكن بلون ذهبي وعيناها الزرقاء، ثيابها الأنيقة، غير ذلك فهي صلبة من الداخل أكثر من رجال كثر قابلتهم ولم ألمس رجولتهم، كنت أتأملهم، حين تحدثت نوران: آه، أنا عايزة شيكولاته وحلويات وأنسولين.

هرولت سعاد، حين سمعت صوت نوران، انتابها حالة من الفزع والرعب عندما وقع نظرها عليها وعلى شريف، احتضنتها، تحسست جسدها بيدها، تأذت أنفها من الرائحة التى كانت تملئ جسدها، لتتأكد منها فقالت لها: أنت كويسة.

نظرت لها نوران وهي في قمة الأجهاد: لا، أنا هموت وأكل حاجة مسكرة

جرت سعاد لتأخذها بحضنها وتقول لها حمد لله على سلامتك يا حبيبتي ثم نكزتها بيد حنونة قائلة: طيب يالا روحي خدي دش وأنت كمان يا شريف، أدخل حمام شهاب، أنقع نفسك وخد اللي أنت محتاجه من حمامه.

ضحكت عليها لأرد: اللي أنت عايزه، ده حمامي على فكرة.

سعاد: ياريت أنت تسكت، أنت كنت عارف، شكلك كان مريب وأنت بتطردني من الأوضة عشان تاخد راحتك وتعمل التليفونات اللي أنت عايزها.

شهاب: كنت خايف عليهم جدا، وخفت أقلقك معايا.

سعاد: طيب أفرض كان حصلهم حاجة.

شهاب: هتعملي إيه ساعتها، هتخرجي تدوري عليهم بنفسك، أنا اتصلت بالناس الصح، اللي خلصوا الموضوع

نوران: هتعمل إيه في الناس اللي ماتت.

سعاد: يا الله، فيه ناس ماتت!

شريف: الحراسة اللي شهاب بعتها، جت في وقتها، كان زمنا في خبر كان، بس حقيقي رجالة، لما العربية ضيقت علينا الطريق، نزلوا وقفلوا علينا العربية وعملوا نفسهم درع واقي، بس كم الرصاص اللي أضرب عليهم مش طبيعي، ده حد بينتقم، وقبل مايهجموا علينا، وصل البوليس على آخر لحظة.

شهاب: وأنتي يا أستاذة يا شجاعة ممكن نعرف عملت أيه؟

نوران: هعمل إيه، ده نزلني في أرضية العربية وقعد فوقي، كنت هفطس.

ابتسمت سعاد وهي تقول: تفطسي، أحسن ماتموتي.

قامت نوران وكأنها تختبأ بسعاد بشدة وتقولها وهي تضحك: كده برضه يا أختي يا حبيبتي.

سعاد: كده برضه إيه، أنا قلبي أنخلع لما شفتك بمنظرك اللي شبه الشبح في أفلام الرعب.

نوران: سعاد، لاحظي أن كلامك جارح.

سعاد: طيب لاحظت

احتضنتها سعاد وهي تنظر لأعلى، وهي تحمد الله أن لم يصبها مكروه، فيكيفيها تأنيب الضمير الذي تعيشه بسببها وفي حالتها تأنيب الضمير أحساس يمكن التعايش معه، لكن الفقدان، لا أعتقد ذلك.

سعاد: طيب يالا، روحي خدي الدش، لو حبيب شافك وأنت كده هيتفزع.

تزايدت ضربات قلبي، لدرجة لا أطيقها، صدري يؤلمني بشدة أنتبهت سعاد لوجهي، فقامت بطردهم كلهم من الغرفة ليتركوني أرتاح، أعطتني جرعة المهدئ التي أمر بها الطبيب عند اللزوم.

صاحب الصوت

سألت نفسي قبل أن أذهب إلى الحلم من سأرى بأحلامي، الشيخ، أو الدكتورة، أم من؟ أتمنى ألا يكون من لا أريد أن أراه الآن، لا اعتقد أنني مؤهل نفسيا لهذا اللقاء؛ و ها هو فقط تذكر اسمه فيحضر

صاحب الصوت: إيه ياعم أنت مش عايز تشوفني ولا أيه.

شهاب: لا أبدا، عادي مش فارقة أنت كرهتني في النوم.

صاحب الصوت: يعني بتحب الواقع؟

شهاب: أهو أحسن منك.

صاحب الصوت: ليه بس كده.

شهاب: أنت عايز مني أيه، مفيش شغل عندك غيري.

صاحب الصوت: أنا بتابع كل أشغالي بنظام ممنهج، لكن مش بروح غير للعزيز الغالي.

شهاب: وليه أنا مهم بالنسبة لك؟

صاحب الصوت: وليه متكونش مهم؟

شهاب: يعني مش شايفني قاعد على السجادة.

صاحب الصوت: مش كل اللي بيقعدوا عليها مهمين بالنسبة لي، فيه ناس كتير أهم منهم، يهمني أنهم يفضلوا معايا، وبعدين أنت كارهني ليه، هو عملك إيه أنا مقدرش أعملهولك.

شهاب: هو اللي خلقني وخلقك.

صاحب الصوت: بس بيحرمك وأنا عايز أديك كل اللي أتحرمت منه.

شهاب: إزاي يعني؟

صاحب الصوت: يعني شوف نفسك في أيه وأنا هرجعهولك أيا كان مكانه.

شهاب: تقصد مين؟

صاحب الصوت: أقصد أي حد ممكن تفكر فيه.

شهاب: يعني مثلا، ممكن ترجع خالد!

صاحب الصوت: خالد ده حبيبي، حتى لو أنا سبته، هو ممكن ميرضاش.

شهاب: وممكن يرضى.

صاحب الصوت: وديه إزاي هيوصلها.

شهاب: مش عارف، بس جرب تسيبه.

صاحب الصوت: خالد خلاص شغال لوحده، يعني لو أنا سبته، وكلهم سبوه هو مكمل،

شهاب: أنت ليه واثق أوي كده.

صاحب الصوت: عشرة عمره.

شهاب: طيب هو عشرة وأنا إيه؟

صاحب الصوت: أنت صعب، بس لو أنا عملت اللي عليا، أنت مش هتكون موجود.

شهاب: لو و" لو" ديه لعبتي أنا، إيه أهم حاجة عندك.

صاحب الصوت: مش هتعرف، متحلمش.

شهاب: أنا عارف أنت بتفكر في أيه.

صاحب الصوت: بس متقدرش تثق أنا هعمل إيه، فاكر شذى وسامية.

شهاب: الشاطر اللي يضحك في الآخر.

صاحب الصوت: الآخر لسة مجاش، حتى لو مت مش ده أخري.

شهاب: طيب تراهن.

صاحب الصوت: على إيه؟

أيقظني صوت حبيب وهو يسأل سعاد

حبيب: هو خالوا هيقوم أمتى؟

سعاد: أنا هصحيه وقت الدوا.

حبيب: خلاص صحيه دلوقت عايز أشوف عينه.

سعاد: أشمعنى عينه.

حبيب: ديه حلوة أوي.

سعاد: هي فعلا حلوة، أنت عينك تشبه عينه.

حبيب: لا، عينه مختلفة كل عين لون، عنده عين عسلي في برتقالي، وعين عسلي فى أخضر.

سعاد: آه ياقرد يا صغنن أنت، خدت بالك من كل الحاجات ديه.

سعاد: طيب يالا صحيه.

فقلت له دون افتح عيني "خلاص يا قرد أنا صحيت"، فجرى تجاهي وكاد يحتضنني لولا منعته سعاد على آخر لحظة.

سعاد: حبيب، خالوا عيان، لما يخف هيحضنك كتير.

حبيب: طيب ممكن أبوسه.

سعاد: ماشي.

حبيب: عايز أبوسه من بين عنيه.

سعاد: أشمعنى؟

حبيب: حلمت أني ببوسه كده، عايز أحقق الحلم.

شهاب: يالا تعالى حقق حلمك وأحكيلي على احلامك الباقية.

حبيب: لا، مش هحكي، بس هبوسك.

حديث مع العقل

تصارعت مع عقلي وأنا أجادله حول الحلم، الحلم هل هذا مدخل من مداخله، قد يكون مدخل، لا بالفعل هو مدخل يسمح لأشياء كثيرة بالولوج منه، الأرواح الطيبة، الجنة، العقل الباطن بكل

مكنوناته ومشاعره الكامنة التى لا يبوح بها الإنسان، كمان أنها مدخل للشيطان أيضا.

هل يطلع الشيطان على أحلامنا وأمانينا المدفونة فيستخدمها ضدنا، ليغرينا لأرتكاب المعاصي والذنوب الصغيرة، فنبني جدار حول أنفسنا، جدار لا يتخلله النور إلا بالطاعة لكن شعورنا بالذنب يمنعنا من الأقبال على الطاعة، فنغوص بالمعصية، فيزداد الجدار سمكا وارتفاعا فنحبس أنفسنا دون مساعدة مع الشياطين.

هناك من يستطيع اختراق ذلك الجدار شياطين الإنس أو خادمي الشيطان من بني البشر، ليسوا وحدهم، أيضا دون تدنيس، بكبر أو غرور، فلا ينظرون للعاصي على أنه مرض معدي، بل يرونه إنسان ضال، لايستطيع أن يصل للنور الكامن بداخله تحت الأنقاض، فيقدمون له المساعدة ليستطيع أن يصل، صدق نيتهم قد يجعل العاصي يحارب معهم من أجل نفسه، فيحدث ثقوب في الجدار يتخللها النور، فيستقبل المساعدة الربانية التي تقويه على تحطيم الجدار من الداخل.

ماذا عن أحلام الأنقياء، ياترى ما يميزها، يحلمون أحلام مثيرة، مثل تلك التي تراودنا، أم أن أحلامهم أيضا لا تدنسها الشياطين

حبيب: خالوا.

شهاب: إيه يا حبيب خالوا، نعم يا حبيبي.

حبيب: أنت تعرف بابا؟

شهاب: آه طبعا، أعرفه، أنا وهو أصحاب من وأحنا قدك كده كنا في مدرسة واحدة.

حبيب: طيب ليه مشفتكش قبل كده؟

شهاب: عشان كنت مسافر.

حبيب: أنت بتكدب.

شهاب: أنا!

حبيب: آه.

شهاب: إزاي، ليه بتقول كده؟

حبيب: عشان صوتك عمل أ أ أ

شهاب: إيه ده، مش فاهم.

حبيب: لما بابا كان بيكدب عليا أو ماما تكون زعلانه من حاجة ومش بتقولها كان صوتها بيعمل كده بردو.

شهاب: آه يا قرد يا صغنن أنت.

حبيب: طيب قول الحقيقة.

شهاب: مفيش يا سيدي أنا وبابا زعلانين مع بعض شوية.

حبيب: طيب ممكن تتصالحوا.

شهاب: مش عارف..

حبيب: أنا عايزكم تتصالحوا.

شهاب: طيب أنا هحاول وربنا يسهل.

حبيب: ربنا يسهل، ديه معناها أنك مش هتحاول.

شهاب: إيه ده، أنت كرمبو ولا أيه.

حبيب: لا، أنا أذكى من كرمبو.

شهاب: مين قال أنك ذكي؟

حبيب: كل ماكنت بفكر في حاجة وأقولها لماما أو لمس "حلا" كانوا بيقولوا برافو أنت ذكي.

شهاب: وياترى بابا كان بيقولك إيه؟

حبيب: بابا مكنش بيتكلم كتير، عنده أصحاب بيخوفوا أوي، مكنتش بحب أتكلم معاه كتير عشان بخاف يوديني عندهم، بس ماما جت وأخدتني لما روحت هناك.

شهاب: يعني أنت كنت عارف أنه هيوديك عندهم.

حبيب: هقولك بس لما نكون لوحدنا، ماما جاية.

حضرت سعاد وصاحت بنبرة صوت محذرة: حبيب وبعدين، خالوا تعبان، مش عايزة يجيلو صداع بسببك.

حبيب: حاضر ياماما، أنا هروح أرخم على خالتوا نوران شويه،وأنتي أقعدي حبي في خالوا.

سعاد:أحب فيه؟!

حبيب: آه شفتك وأنت بتحبيه وبتحطي إيدك على شعره زي ما بتحبيني.

سعاد: ياخواتي إيه العسل ده، أعمل فيك إيه، أكلك عشان أخلص.

حبيب: لو أكلتيني هعمل دوشه في بطنك.

سعاد: طيب كفاية كده ويالا على خالتك.

حبيب: طيب يا ماما يادكتاوره.

أستغربت وضحكت من كلامه وسألتها يعنى أيه؟

سعاد: يعني يا دكتاتوره؟

شهاب: وهو عرفها منين؟

ليرد حبيب في الحال: سمعتها في التليفزيون.

صاحت سعاد: حبيب.

حبيب: حاضر ياماما، خلاص ماشي يا خالوا، لما تقعد لوحدك، أبقى قولي.

شهاب: حاضر يا لمض.

سعاد: يالا بقى يا شهاب عشان تاكل، ميعاد الدوا قرب.

شهاب: يالا يا دكتاوره.

سعاد:أنت كمان.

شهاب: الولد ما شاء الله عبقري.

سعاد: آه، وده الي مخوفني عليه.

شريف

جاء شريف، جلس إلى جواري، أخبرني أن هناك مشاكل كثيرة ظهرت فجأة في العمل، كأن هناك من يفتعل المشاكل، فسألته هل موقفنا قانوني، أجاب بالإيجاب، وذيل إجابته "أنه في سوق العمل لا يكفي أن تكون ملتزم لكي تستمر، بل أن الاستقامة هي أكثر ما يجذب المشاكل ويلفت الأنظار، فإذا كان هناك من يصنع الفخاخ ولا نراه، قد نسقط في فخه بكل سهولة دون أي مجهود".

طمأنته، إنني لم أفعل أي شي مشين، ومن كان يأتي بعرض رشوة ، كنت أنفذ ما يريد دون رشوة لتبقى لي خدمة بالمقابل أطلبها متى شئت، ذاع صيت سياستي بالسوق، فتدافع الكثير من الكبار تجاهي،

وقمت بالمثل لهم، حتى أصنع أعمده تدعم أسس شركاتي بكل مكان، بداخل البلاد وخارجها، تدبر شريف كلامي ثم حل لغزا كان حائرا ليصل لبداية خيطه، لماذا كان كل من يعمل بالمناصب المهمة في مجموعتي، ينصب أو يحتال دون أن يخشى العقاب، فكان من السهل أن يخفي أثار احتياله بأي من هذه الخدمات دون أن يشعر أحد، أضفت لمعلوماته أن كل من كان يقع تحت يدي، كنت أعفو عنه في مقابل خدمة مؤجلة لحين الطلب بالإيفاء.

امتعض شريف من ذلك التصرف اللئيم، لام تصرفي الذي يحمل الشر في طياته، وإن كان شر مبرر، فهم من احتالوا في بادئ الأمر لم أجبرهم على الاحتيال، لكن أعمالي غير المبررة التي تنم عن التهور في نظرهم هو ما أغراهم في المقام الأول.

سألني بعد ذلك عن قصة الكروت الحمراء، فأخبرته أنها خدمات مماثلة، لكن لأشخاص أكثر أهمية، أكثر ثراء، أكثر سرية، لا يعلنون عن أسمائهم، وعندما كنت أصر لأعرف من يريدني أن أبتعد عن صفقة معينة، أو أتقدم للاشتراك في مزاد بعينه، كانوا يرسلون تلك الكروت لأطمئن لجديتهم في رد الخدمة وقتما أشاء، واستخدمتها من قبل لأعرف مدى جديتها، وكانت فعاله أكثر مما أتصور.

آثرت حفيظته فسألني فيما استخدمتها، فأخبرته أنني استخدمتها لأتحرى عن خالد وأعرف عن تحركاته، فعرفت كل ما أرغب، ثم تحريت عن أسرته التي كونها ولم أعرف بأمرها شيء، فعرفت كل شيء أريد أن أعرفه، فقال:

يعني عن طريقهم قدرت توصل لسعاد.

- برافو عليك، عرفت تحركاتها المتنبأة لمدة أسبوع، تبعتها، لكن توقعاتهم كانت خاطئة حتى الليلة السادسة في الأسبوع، شفتها بتجري

من القلعة ، مقدرتش أكلمها، لكن في اليوم السابع قدرت أشوفها من قريب، ساعدني أوي القدر في الحادثة اللي مش عارف حصلتلي إزاي، يعني تقدر تقول إني بدأت والقدر ساعدني.

سعاد: إيه ده أنت شفتني وأنا بجري من القلعة؟

شهاب: إيه ده، أنتي هنا من أمتى؟

سعاد: من أول ما شريف سألك.

شهاب: أنا كنت ناوي أقولك، بس كنت برتب الكلام في دماغي، عشان تفهميه.

سعاد: طيب أحنا فيها.

شريف: بعد أذنكم أنا همشي.

شهاب: لا تمشي إيه، أنت مدشدش، خليك وبعدين أنت بقيت واحد من العيلة دلوقت، مش عشان خاطر نوران، ده عشان أنت أخويا فعلا، مش بالدم بس بالروح.

وافقت على إتمام استرجاع تاريخ تطوري النفسي معهم، لعلهم يحللونها بصورة مختلفة فنصل لنتيجة أفضل، لم أكن أنوي استكمال حديثي عن دكتورة سعاد وجلساتها، لكن اصطدم برأسي شيء للتو تذكرته، أنها أخبرتني " أن الإنسان له قرين أعوج لن يعتدل اعوجاجه إلا بالاستقامة وهناك شيطان مختص بكل معصية، يتولى أمر ابرازها وتيسير الوقوع، كما أن هناك ملكين أحداهما على اليسار وآخر على اليمين موكلين بتسجيل كل الأعمال، أعمال الخير تسجل بواسطة الملاك الأيمن وأعمال الشر موكل بها الملاك الأيسر، كما أن هناك ملاك يحرسنا ونحن نيام حتى لا يدخل أي كائن من فمنا إلى الحنجرة فنختنق، يوجد ملاك مختص بحراسة العين.

إذن يمكننا إذا أردنا الاستماع لإيحاءات نورانية أو الاستماع لوساوس شيطانية، إن الأمر يتوقف علينا، على اختياراتنا، تلك الأمانة التي قبلنا بها، بالرغم من رفض السماء والأرض خشية من عدم تحملها، تحملها الإنسان بضعفه مقارنة مع السماء والأرض.

لأنه ظالم لنفسه، جاهل لمصلحته، كما قال العزيز القدير في كتابه. ذيلت كلامي بالإطراء على نفسي؛ أنني مميز، إنسان مميز بهبات غير شائعة لذلك يتتبع الشيطان خطاي منذ نعومة أظافري حتى لا أحظى بالفرصة لنفع نفسي أو البشرية من هذه الهبات فإنه يمنعني من إيصال رسالتي، فكل منا له رسالة، من المفترض أن نبحث فيها أولا، نجدها، نسعى لتحقيقها رغم كل المعوقات والعقبات.

كلما عظمت الهبات، تضخم صعوبة الامتحان، الامتحان هو مدى إصرارنا على الدخول في حروب معنوية ومادية لكي نقوم بأداء تلك الرسالة سألتني عن مدى ذاكرتي، فأخبرتني أن مدى الذاكرة لدى غير

اعتيادي، فأتذكر كيف كان فطامي من صدر أمي، لم تتعجب فكانت مهيأة لسماع المزيد.

ثم أخبرتها عن أحلام أتذكرها منذ الثلاث سنوات، كنت أرى هيئات قبيحة، ليست من مخيلتي، تحاول أن تحتجزني في أماكن مختلفة، مثل المسجد، المدرسة، فكرهت الاثنين على المدى، لكنني لم أعترف قط بذلك، فأحببت القراءة الحرة أكثر من الدراسة الاجبارية، أحببت أبى أكثر مما أحببت الصلاة في المسجد الذي قد احتجز فيه ولو كانت ملامح لا تظهر الا بداخل طيات عقلي الباطن.

بعد أن تعمقت في القراءة عرفت أن هذه هي هيئات الشيطان بالأحلام، ثم بعد أن توفت الدكتورة سعاد، لم تكن تنتهي الكوابيس من منامي، كوابيس حواري مع تلك الهيئات الشيطانية، كانوا يتحدون قدره الله على حمايتي، أضع المصحف تحت وسادتي فيأتي الشيطان بهيئة كلب أسود أو خنزير أحمر، يقيدني ثم يهئ لي إنني أمسك المصحف ولا يزال موجود فيقول لي، ماذا يفعل لك المصحف، لا شيء، ها أنا موجود في حضرته.

وقد يعني ذلك أنه في عقلي الباطن فقدت الثقة أيضا في المصحف، لكنني لم أعلن لكنني كنت أتدبر القرآن وآياته سماعيا، استمع إليه كثيرا، حتى أنه يمكنني أن أكمل بعض الآيات عندما أسمعها، لكنني قاومت ذلك، ذهبت الي المسجد بصفة دورية لحفظ القرآن، فاستطعت أن أحفظ الكثير فى وقت قليل، واصبحت ذاكرتي فولاذية.

شهاب

تزوج أبي من سيدة، بدأت تضيق علي الخناق، تضايقنى، تتحرش بي بنظراتها، تصدر أصوات مثيرة فكنت أحبس نفسي فى غرفتى بالأيام

لا أفعل شيء سوى الأكل، والشرب، ومشاهدة الأفلام السيئة، الاستمناء ثم الأكل، الشرب، النوم، بالتالى ففدت الطهارة اللازمة لمتابعه دروس القرآن، بعد ذلك أحرص على طهارتي، حينها تدخلت كائنات أخرى إلى أحلامى، فكانوا يصفعونى عندما لا أقوم لصلاة الفجر، يقلقون منامى، يصفقون بجوار اذنى حتى استيقظ، فبدأت أداوم على صلاة الفجر سرا فلا يضغط علي أحد لصلاة باقي الفرائض.

كانت هذه هي الصلاة الوحيدة التي قد أحظى بها دون أن يلتفت أحد إلي، فأحببتها لكنني توقفت بعد الزواج حتى لايكون عبء علي، إذا رأتني شيرين أصلي الفجر، فتسألني عن باقي الصلاوات، حينها سأضطر للكذب، كم كرهت الكذب وممارسته.

سألت أحدهم يوما عن الكذب، هل يعتبر حجب الحقائق كذبة فأخبرني أنه إذا لم أخبر عن كذبة على أنها حقيقة، فإنها لاتعتبر كذب، وضرب لي مثلا، إذا وجه لي سؤالا عن مكاني في وقت الظهيرة وأخبرت أنني كنت في مدينة السادس من أكتوبر، وفي ذلك الوقت كنت في العرب مول ثم ذهبت إلى منطقة الهرم ثم طرق شيئأ أودى بي لتغيير واجهتي لتكون إلى كرداسة ثم إلى وسط القاهرة فإن ذلك يعتبر تضليل وليس كذب. والسؤال الذى يجب طرحه أيهما أخطر الكذب أم التضليل، أجبته أن التضليل أسوء، فأخبرني أنها وجهه نظر فردية، لكنني لازلت عند رأيي، إذا كذبت على أحد قد ينسى الكذبة ذاتها، لكن إذا ضللت أحدهم، قد أساعده على الضلال، على أن يضل طريق بأكمله، قد لايستطيع العودة منه بمفرده.

قبل وفاة دكتورة سعاد كانت علاقتي بخالد جيدة، توطدت وزادت، لكن بعد وفاة والدته، حزنت حزنا شديدا، لم يكن يعرف مدى ارتباطي بها، فأخبرته أنها كانت تساعدني، لذلك ذهبت وأديت

صلاة الحاجة من أجلها من أجل أن تحصل على ماتريد من وجهة نظري، فأتهمني بأنني قتلتها أو شاركت بقتلها، ابتعد عني مدة كبيرة، فجأة بعد أن فقدت الأمل في استرداد أخوته، بدأ يعيد أواصر الود بيننا شيء فشيء، كنا قد اختلفنا، تباعدت أفكارنا، حتى سبلنا أخذت انحناءات مختلفة ومتباعدة، شيء من حنين الماضي، جعلني أبقى على تلك الصداقة، شيء لم أفسر كينونته، كان يجبرني على البقاء معه، وإن كان بقائي معه كان يحتسب نصف بقاء، انتبه له بنصف عقل، أسمعه بنصف تركيز، أتعامل معه بنصف حس،تبدلت مشاعري حدث التغيير من داخلي لم أستطع التحكم فيه، لم أعود كسابق عهدي بعد أن أتهمني بقتل سيدة تمنيتها أن تكون أمي، بل الأكثر أنني تمنيت أو حلمت، ماذا سيحدث إن استيقظت في الصباح وأصبحت أمي أنا، وأصبح خالد فى مكاني، يمتلك كل ما أملكه لم أبالي بالمال، لكنني أردت فقط الحنان والدفء.

هل هذه كانت معصيتي الأولى، الحسد أو الغيرة، أم الأعتراض، فقد أعترضت على موت أمي، لماذا لم يكن أبي هو الذي مات، كلهم معصية واحدة هي عدم الرضا، فعوقبت عليها بحرماني من والدي بزواجه من أخرى ثم هجرته، حرمت من دكتورة سعاد، حرمت من صديقي الوحيد.

ماذا كان سيحدث لوكان السيناريو مختلف، ولم أعترض، هل لم أكن أحرم من كل هؤلاء.

" اللقى نصيب " هكذا عقبت سعاد على كلامي أو سؤالي الأعتراضي ثم أكملت سردي لحياتي، سرد جدلي، كمحاولة لتحليل الأمور من مناظير مختلفة.

أول تحدي، تحداني فيه خالد كانت شذى، تراهنوا معي أنني لن أستطيع الإيقاع بها أو حتى النيل من أزرار قميصها، دفعني التحدي لمراقبتها، بقدر ضئيل، لكن القدر الأكبر كان للصوت، الذي يخبرني أنني ربما أجد لديها الخلاص، فلقد رماها القدر في طريقي، لسبب وجيه، كان ذلك السبب الأكثر إثارة لحفيظتي.

ثم ظل خالد يسخر من صلاتي أو ذهابي للمسجد، كان يرسخ بداخلي أن صلاتي ماهي إلا صلاة للحاجة، وأنني نفعي مع الله، فلا أحبه حقا ولا أعبده حقا، إنما أدعي كل ذلك، وعندما ناقشته في خطأ فكرته، فإن الله يستجيب لي بصرف النظر عن مدى رضاي عن الاجابة، فلا نعرف ما يترتب على دعائنا من خير أو شر.

الشيخ أخبرني ذات يوم أن الله يتقبل الدعوة بما يناسب طاقة العبد، وليس بمايريده العبد لنفسه، فيستجيب فى التو، أو يأجلها لأوانها المناسب، أو يرفع بها بلاء قد يصيبه أو يجازى بها فى الآخرة،

عندما سألته عن استجابته الفورية لدعائي، فأخبرني أنني وحدي من يعرف إن كان ذلك خيرا أم شر، فالإنسان يدعو بالخير والشر، لايميزهما وعندما يحب الله العبد يبتليه، فقد يؤخر دعوته ليستمع إلى دعاء عبده ويثبته.

قررت أن أتوقف عن الدعاء لأنه قد يكون الاستجابة فخ أقع فيه لأجازى بسيئات أعمالي كان ذلك في التوقيت الذي خشيت أن أفقد سامية، فدعوته هذه المرة دعوة مختلفة، وقد استجاب لي، بما أطيق، شعرت بذلك في قرارة نفسي.

شذى

على أي حال تعرفت على شذى وغرقت بعسلها، كنت أعتقد أنني قتلت أحدهم، لكن عندما دخلت المستشفى، حلمت به، لم أنسى أبدا وجهه، كان يطاردني في أحلامي، ثم أحاول الوصول إليه فأفقده، جاءني بملء ارادته هذه المرة وأخبرني، أنه مات بفضلي في حادث، وأنني لم أقتله، فسألته ما الذي جعله يتعرض لها، لم يجب، طمئنني ثم أمرني ألا أستسلم أبدا وإنه يعرف أنني سأنتصر، كانت شذى أجمل من أن تكون حقيقة أو يكون لديها أب وعائلة مثل تلك، ففي اليوم المشئوم يوم عيد ميلادها، أتذكر حينها أنها أخبرتني أن الحفل سيكون في مكان بعيد جدا عن منزلها، استعجبت ثم أخبرتني بأنها طقوس العائلة، لم أعط لكلمة طقوس أي أهمية فنستخدمها نحن مرارا وتكرارا دون أن نعنيها، لكن ما أتضح فعلا أنها كانت صادقة، بعد أن وصلنا، وأتخذ كل منا موقعه، ارتدوا ملابس زرقاء لامعة مذهبة ثم أظلم المكان هناك من غمم أعيننا، ظللت ممسكا بيدها، لم تتخل عني قط، كانت أقوى، كانت تطمئنني بيدها مجرد محاولة، لم أطمئن، بل تملكني الرعب خصوصا بعد أن كشفوا عن أعيننا، فرأيت أشخاص

مقنعين الرؤوس قردة وخنازير موجهين السكاكين إلى عنقي وعنقها وكان علينا ألا نخاف ونردد القسم، من هول الرعب، رددت ذلك القسم، لم يكن بقلبي بلساني فقط.

بعد ذلك أكملت شذى طقوس مختلفة واتخذت أنا دور المتفرج، فقد اتخذت خطوات مختلفة ومتقدمة عني، كانت تؤدي الطقوس بروحين روح متقمصة ذلك الدور الذي يتماشى مع كل الطائفة الحاضرة في الحفل، وروح أخرى حزينة لأنها تورطني في كل ذلك، بعد الحفل، حاولت الابتعاد عنها، فتتبعني والدها وجلس يتحدث معي من مبادئ الحرية والإنسانية والإخاء، سرد أشياء كثيرة عن مفاهيم العدالة الغائبة، التي يحاول هو وطائفته أن يصلوا إليها، بمساعدة بعضهم البعض كأخوة متحدين أحرار، ثم مساعدة الإنسانية، في الاهتداء إلى سبيل السلام وانتهاء النزاع العظيم،الصراع الذي لا ينتهي بين الخير والشر، بين النور والظلام، إنه حان الوقت لانتصار الخير ليسود السلام.

عن أي سلام كان يتحدث، عرفت فيما بعد من الجماعة المضادة لهم قاطعت كلامي نوران قائلة:

نوران: إيه ده هو فيه جماعة مضادة.

شهاب: هو أنتي تعرفي أصلا عن أي جماعة بتكلم.

نوران: البنائين الأحرار.

شهاب: البناءون الأحرار؟ ثم سألت نوران: عرفتي منين؟

قاطعت سعاد: مش أنا قولتلك إنها كانت بتعمل أبحاث، ممكن تجنن اي حد يقراها، اهي الأبحاث ديه هي سبب رفضها الجواز.

ضحكت بصوت عال لأقولها وهي وافقت في الآخر، أشمعني؟

فأبتسم شريف وهو يقول أكيد طبعا الحب.

قالت نوران على استحياء: مش الحب بس، فيه أسباب تانية، مقولتلكش عليها، عشان مختش فرصة، أنا أتأكدت أنك معندكش أي انتماء ديني أو سياسي، انت إنسان مؤمن بالفطرة، إنسان سوي، بتغلط، وبتعترف، بتحاول تصحح أخطاك من غير ما تجلد نفسك ولا تعذب الي حواليك، بكل بساطة طموحك الحقيقي هو الاسرة والسلام الداخلي الي بتحققه بوجودها.

تفاجئت من اللغة التعبيرية التي تستخدمها نوران لتعبر عن مكنونات حقيقية و جدية، فأخبرتني سعاد أنها بدأت تتعلم اللغة العربية بعد ان انهت دراستها الجامعية، لانها كانت تري ارتباط تعليمنا باللغة الانجليزية ماهو الا فخ، ندرس بلغات أجنبية منذ نعومة الأظافر، فنرتبط أولاً باللغة الأجنبية ثم بمتحدثيها لكي نتقنها، بعد ذلك عادات أصحاب تلك اللغة. فيصبح المجتمع الذي نعيش به والوحيد الذي نملك حق العيش فيه دون شقاء، مجتمع غريب عنا، شيء ف شيء،فيصبح الوطن ليس سوى بلد نحيا به، نكره عاداته، تحكماته، قوانينه، تخلفه، فالحل الأسلم هو الرحيل عنه لكنه يتطلب قدر لا بأس به من الأموال، أما عن الحل الآخر، الذي لا يشترط السلمية، يميل إلى النزاع هو محاربة هذا المجتمع، محاولة بائسة لتغيره، ومن ثم الوصول لحائط سديد، نقف أمامه فنرى عجزنا، الذي يصيبنا إما بالاكتئاب أو بالتطرف الديني أو السياسي أو الفكري، فنلحد، أو نصبح من أتباع أي حزب سياسي متطرف، أو ننتمي إلى حزب ديني يهدف إلي هدم المجتمع و الترابط الأسري.

عندما يتوفر كل الزحام الفكري لدى فرد يشعر بالوحدة، العزلة، عدم الانتماء، فيصير ناقم، ناقد لكل من حوله، رافضهم، رافض

وجودهم حتى أقربهم إليه أبيه، أمه، أخته، أخيه كل ذلك يتبدد و لايبقي سوى الفراغ.

كل ما سبق ما هو الا الة تفريخ المتطرفين والارهابيين، فبمجرد أن تتملك هذه المشاعر السلبية من الفرد، يكون بإمكانه القيام بأي عملية أنتحارية، فدائيه من وجهه نظره، ليحصل على الخلاص، إما بالرحيل عن كل ذلك، أو موت كل من يزعجه فكرهم، ولايزعجه وجودهم.

عمق الرسالة ووضوحها بداخلهم أصابني بالدهشة، ومع ذلك لم اجد ماقول سوي:

شهاب: ما شاء الله أنتم متعمقين أوي فى الكلام ده.

نوران: ده مش كلام، ديه دراسات مسئول عن نشرها كل إنسان شريف، لم يتخل عن إنسانيته وساقته ظروفه أو تقاطعت طرقه مع طرق تلك الجماعات فيجد أنه عليه محاربتهم كواجب ديني، وطني، إنساني.

شريف: هم الجماعات دول عايزين إيه بالضبط؟

سعاد: عايزين يهدموا الأنسانية عايزين يفككوا كل التجمعات العرقية أو الدينية أو اللغوية عشان ما يفضلش في العالم أي عرقية أو أصولية غير الأصولية اليهودية فيقوموا بتدميرها بضربة واحدة بعد ما جمعوهم في مكان واحد من جميع أنحاء العالم.

شريف: أنتي تقصدي أن الجماعات الأحرار.

نوران: البنائين الأحرار هم البنائون الأحرار.

شريف: البناءون الأحرار دول يعني غير الصهيونيين.

أبدت سعاد إستعدادها للرد على سؤال شريف، فتراجعت نوران عن الرد لتخبره سعاد"بان البناءون الأحرار قاموا ببناء الصهيونية لكي تحارب المسيحية، وقد نجحت بالقضاء عليها بشكل جوهري في أوروبا منذ القرن الرابع عشر. قامت الصهونية بمحاربة المسيحية أولا، حتى تسيطر على الكافة الراجحة، أي الدول الكبرى، فتتحكم بهم وتجعلهم ينفذون خططها بكل سلاسة واضطرارية.

قاطعت سعاد لاسالها إذا كانت تقصد وعد بلفور، فاجابتني بانه قبل وعد بلفور بزمن طويل، أيام الدولة العباسية قاموا بافساد حكامها بالعبث بعاداتهم وعادات شعوبهم، لكن تصدى لهم العثمانيون، لذا قاموا باخر ممثل لهم واقولهم على الاطلاق، فحاربوا محمد علي واعتبروه عدو شخصي لهم، ظلوا على قدم وساق حتى أنهوا حكمه، فككوا الجيش، أخذوا كل ولاة عهده في بلادهم، ليضمنوا ولائهم بم يفطن لأعمالهم سوى الخديوي إسماعيل والملك فاروق، لذا كانوا أكثر من ساءت سمعتهم وأنهوا مدة حكمهم إما بفضيحة أو بكارثة، طرقهم لازالت تقليدية الفساد، الخمر، القمار، الجنس، وهذه الطرق التي يستخدمونها عندما يصدرون الصهيونية للمواجهة، لكن عندما يصدرون البنائين الأحرار يستخدمون أشياء أخرى كالمصطلحات التي يسعى خلفها كل من هو غير مدرك للواقع الحقيقي، الديمقراطية، الحرية، الاشتراكية، الشيوعية، المساواة.

ارتشفت سعاد كوب الماء جرعة واحدة حتي تكمل حديثها الذي امتص كل حماستها وطاقتها واخبرتنا "كل هذه أكاذيب خلقوها ليضللوا البشرية ويزرعوا النزاع بينهم فقد خلقنا الله مختلفين لكي نكمل بعضنا البعض، هذه شريعة من شرائع الكون، وبما أنهم أخذوا على عاتقهم تدمير شرائع الله في الأرض، فاخترعوا كذبة، حرية التعبير والمساواة، والدليل على ذلك أن هيكلا الصهيونية و البناءون الاحرار

قائمين على التدرج، من يتفاني في خدمة جماعته أكثر، يعتلي درجة أعلى، و يحصل على ميزات أكثر.

بعدما انتهوا من أوروبا التي تحترم الملكية، جاءوا إلى الشرق الأوسط، أفريقيا والبلاد العربية، فخلقوا طرفي نزاع ودعموه جيداً حتى يضمنوا مقاعدهم، ليشاهدوا مراحل التدمير الذاتي.

فزرعوا النزعة الدينية في البعض، النزعة الحربية فى البعض، النزعة السياسية في بعض آخر، تاركين الغالبية العظمى لتتوه بين ذلك وأولئك، غير مستقرين مزعزعين، غير شاعرين بالأمان أو الرضا، فحولوا هذه البلاد إلى قنابل موقوتة، قنابل متصلة بمفاتيح أمان في حوزتهم، وعندما يحين الموعد يشعلوا نار دفينة، مع القليل من النفث فيها، تشتعل من داخلها إلى خارجها فتصيح بكل شيء دون أن يكون طرف بعينه مسئول عن ذلك، فتشتعل النيران التي تأتي على الأخضر واليابس، بعدما تخمد النار، يدعى الجميع أنه المسئول عن الانفجار، فيتحاربون من جديد على الغنيمة يظل هذا التطاحن دائر حتى تنشب حرب أهلية، فيضطرون إلى تقسيم البلد الواحد إلى قسمين على الأقل، ليس ذلك كل شيء، سيبدءون من جديد في تقسيم كل قسم على حدا حتى يصير القسم الواحد عليه أن يقسم إلى أكثر من قسم أصغر حتى ترضى الأطراف المتناحرة.

كل ذلك يذكرني بدرس جغرافية يذكر سياسة الاستعمار في تقسيم العالم إلى بلدان أصغر، والسؤال هنا هل هذه السياسة كانت سياسة الاستعمار حقاً، من إذن وراء فكرة الاستعمار، ما الغرض الأساسي من الاستعمار.

شكتت سعاد لبرهة وكان هناك ما يشتت أفكارها، فاستلمت نوران دفة الحديث لتقول "أن الهدف الأساسي من الاستعمار هو جمع

الغنائم، لتجميع رأس مال كافي لبداية تنفيذ مخططاتهم الورقية على الكرة الأرضية، وبالفعل من هذه الأموال أنشأت أجهزة المخابرات العالمية، أولها الجهاز الفيدرالي وما تلاه"

جحظت عين شريف وكانه لا يستطيع استيعاب كل ذلك دفعة واحدة، فقالت سعاد "أن من اهم سمات المخطط عندما تتحدث عنه، تظن أنك أصبت بالهذيان، لا تصدق إلا عندما ترى بأم عينيك، الحقيقة على أرض الواقع".

لم تستطع كلمات سعاد ان تجعل شريف أقل دهشة، ثم سالني بنفس نوع الشغف: "ماذا حدث بعد ذلك مع شذى؟".فاجابته بإنني كنت أعشق لمستها، الأمر الذي كان يشعرني بالذنب، كنت أشعر بالزنا وأنا مرتدي ملابسي فقررت ألا أمارس ذلك الزنا المقنع المرتدي ملابسه مرة أخرى، حينها شعرت هي بذلك، فحلت لي الأمر عن طريق كلمة " زوجتك نفسي "، في قرارة نفسي وأمام الله هي زوجتي، لكن لا أعرف ماذا كان يعني ذلك لها، عندما أخبرتني بأمر الحمل، أختل توازني العقلي لبرهة، فنعتها بأبشع الألفاظ، انتقدت طريقة حياتها بكل ما فيها سواء كان أهلها أو معتقداتها أو مظهرها، فركعت أمام قدمي، مقبله إياها وهي تقول:

شذى: أبوس رجلك سامحني و أوعدك أني هغير كل حاجة مش عجباك، وهسيب الناس اللي أنت معترض عليهم، لازم تعرف أن في قرارة نفسي معترضة عليهم، بس ما باليد حيلة لوحدي مقدرتش أواجههم، مش هقدر، لكن لو وافقت وهربنا هنبعد في أي مكان بعيد عن عينيهم.

شهاب: هو فيه مكان بعيد عنهم.

شذى: آه فيه.

شهاب: فين؟

شذى: مش عارفة بالضبط، بس ممكن المدينة المنورة أو مكة.

شهاب: نعم! السعودية.

شذى: لا مش السعودية كلها، بره المكانين دول، السعودية زيها زى أي مكان تاني، موجودين فيه، وإن لم يكشفوا عن هويتهم الحقيقة.

شهاب: طيب أي مكان في أوروبا.

شذى: هيوصلولنا بسهولة.

شهاب: طيب لبنان فيها حرية عقيدة.

شذى: أساسا في ناس في الحكومة أعضاء في البنائين الأحرار و بيعلنوا عن ده و بيدعوا الناس للترحيب بفكر البنائين الأحرار الذي يدعوا للحرية.

شهاب: نعم!

شذى: حتى لو مش مصدق، بس ديه الحقيقة.

شهاب: طيب تونس.

شذى: شرحه، نفس الشيء.

شهاب: طيب فلسطين.

شذى: أساسا مصر وفلسطين أكتر بلدين فيهم محافل ماسونية.

شهاب: يعني أنتي عايزنا نروح السعودية.

شذى: مكة أو المدينة.

شهاب: يعني ساعة زيارتي لمكة والمدينة أروح ليهم هربان.

شذى: أنت فاكرها سهلة.

شهاب: طيب هتدبريها إزاي.

شذى: بسياسة الخدمات.

شهاب: مش فاهم.

شذى: أنا عضوة دلوقت وفيه أعضاء كتير ممكن يخدموني، من غير ما يسألوا عن تفسير أو مبرر للخدمة.

شهاب: وأيه الثمن؟

شذى: أي خدمة ممكن يطلبوها.

شهاب: زي أيه؟

شذى: أي طلب الخدمات المتبادلة كتير، أي حاجة.

شهاب: أي حاجة.

شذى: متقلقش الخدمة مش هتكون بالتفاهة ديه.

شهاب: تفاهة؟

شذى: آه طبعا، يعني يوم ما تستغل عضو، تطلب منه حاجة ممكن تلاقيها في أي مكان في العالم ومن غير ثمن كمان.

شهاب: أد كده الحكاية سهلة.

شذى: طبعا.

شهاب: ده حرام عندنا وعند المسيحيين.

شذى: ومع ذلك بيرتكبوه بكل سهولة.

شهاب: عندك حق، ده حقيقي، طيب مصدقه نفسك إنك هتتخلى عن كل الهيلامان ده، وتهربي معايا.

شذى: آه، لأني عارفة الهيلامان ده من جوه،وفهماه كويس، فأقدر أقولك أن بالرغم من إستحالة أهدافها إلا أنها بتتحقق بخطى ثابتة، بس مش معنى كده أنه صح، ده عين الغلط، وعين الشيطان بس أنك تحاربه وتهرب من أفخاخه، ده عين الشجاعة والإيمان، والعقل المتزن بس هو اللي يحللهم، ويعرف إزاي يتحصن ضدهم ..

شهاب: طيب هنهرب أمتى؟

شذى: لما تجهز.

شهاب: أنا جاهز، معنديش حاجة أبكي عليها.

شذى: طيب و دراستك؟

شهاب: ممكن أحولها على أي مكان، أو حتى مش لالازم أخلصها، الفلوس اللي عندي، تعمل أي مشروع ضخم بسهولة.

شذى: أنت تعرف تدير مشروع ضخم.

شهاب: طبعا، أنا من صغري بحب أقرأ، قريت في كل حاجة، قريت في البيزنس، اللي يديني دكتوراه، وقريت في الحقوق اللي يديني ماجستير في القانون، بس الشهادة تحصيل حاصل، مسألة وقت مش أكتر، وعمرها هتكون عائق في طريقي.

شذى: خلاص يوم الجمعة.

شهاب: مش فيه تجمع عندكم الجمعة.

شذى: ده أنسب وقت أهرب فيه، هيكونوا مشغولين بترتيب أوراقهم قبل الحفل وخلال الحفل، وبعده، أنت عارف محدش بيشوف حد كله فى العالم بتاعه.

قاطعت نوران كلامي لتسأل:

- أيه ده هما بيتقابلوا يوم الجمعة ليه؟

شهاب: عشان هم في مصر دولة إسلامية، فيكون أحتفالهم في يوم المسلمين المقدس، لكن في أوروبا بيكون الحفل يوم الأحد **Sunday**يوم الشمس.

نوران: يعني أيه يوم الشمس؟

شهاب: يااه، أخيرا في حاجة مش تعرفيها، أحمدك يارب، ده أنت عقدتيني.

ضحك الجميع بأصوات مرتفعة.

شهاب: طيب يا ستي حكاية يوم الشمس، حكاية قديمة أوي، في بداية الخلق، أختار الله يوم الجمعة ليكون يومه، اليوم المقدس لعبادته، والشيطان أختار لنفسه يوم الأحد، يدفع الناس ويوسوس لهم، للتعبد فيه، فأصبح معظم الناس يتعبدون يوم الأحد، عدا قلة يتعبدون يوم الجمعة مثل المسلمين، بعض المسيحيين، وطائفة من اليهود والمسيحيين يتعبدون يوم السبت، الذي كان محرم الصيد فيه، لكن وسوس الشيطان لبعضهم فجعلهم يصطادون يوم السبت، فغضب الله عليهم وجعلهم قردة وخنازير.

نوران: مش فاهمة.

شهاب: والله هي نقطة القردة والخنازير أحاول تخيلها لكنني لا أستطيع لكن ما يدلل عليها أن الخنازير هي الكائنات الوحيدة التي لا

تستطيع أن ترفع رأسها لأعلى، والقرد في مصر القديمة كان رمز من رموز الشمس، لأنه يهلل مع شروق الشمس ويصيح صيحاته المعهودة.

سعاد: ممم، طيب كمل موضوع شذى عشان كده أنا بتوه منكم.

شهاب: طيب

شذى

في اليوم المتفق عليه للقائنا، تهيأت شذى وارتدت ما يعلن عن أنها تخلت عن طريقتها المعهودة في ارتداء الملابس لكن قبلها بساعة، قبل أن أخرج من المنزل، رن جرس الهاتف اعتقدتها هي، فرددت " أيوه، أنا خلاص بجهز " لكنني سمعت صوت أنفاس غاضبة متلاحقة، أخبرني صاحبها والذي كان والد شذى، أنه من الأفضل لي ألا أذهب للقاء وإلا..

رد شريف بإثارة: وإلا إيه؟

شهاب : وإلا، أخوتي البنات الصغار، إخوتي من أبى، كن سينتهك عرضهن، وصديق عمري الوحيد سيقتل.

شريف: تهديد قاس جدا.

شهاب: ده حقيقي، هو عرف إيه اللي ممكن يصدني وعمله، الناس دية مبتهزرش.

وفي ذلك اليوم ذهبت للمسجد لأنه كان موقعه يشرف على مكان لقائنا، فارتديت ملابس كانت أشترتها لي وحذاء أهدتني به، جلست داخل الجامع قبل الميعاد بنصف ساعة منتظرا الميعاد، لألتقي بشذى دون أن تلقاني، لأعتذر لقلبها دون أن تسمعني، لأقبل يدها دون أن ألمسها.

جاءت على مهل خائفة، متلفتة حولها في جميع الاتجاهات، خائفة من كل المارة، تنظر على الاتجاه الذي سآتي منه، لكنني لم أصل قط، ظلت تحبس دموعها إلى أن فلتت من قضبانها عندما رأت والدها مقدم عليها، وهو ينظر لها نظرة عتاب شامتة بعدم ظهوري، نظرة تخبرها أنهم هم الباقيين لها، لا أحد يدعوها سواهم، لا أحد يحميها بعيدا عن كنفهم فرحلت معه دون أن تنبث ببنة شفاه، رحلت وهي تحتضن جنينها بيد وتحسسه بأنامل يدها الأخرى.

شهاب

انكسرت بعد أن رحلت شذى، الغريب أنها كانت المرة الأولى التي لا ألوم الله لمكروه وقع لي، فقد كنت أنا من أختار ألا ألقاها، مرت الأيام وقرأت ما وقع تحت يدي بطريقة مشروعة أو غير مشروعة عن البنائين الأحرار والصهيونية، ثم التقيت بسامية وكانت كملاك آخر يتسلل إلى حياتي ثم أخسره دون حيلة، بالرغم من خسارتي إلا أن هذه المرة أيضا، شعرت أنه أنا من أختار ألا أذهب إليها، ليس لأن الشيخ قابلني ودعاني للصلاة، بل لأنني كنت أفكر حينها، ماذا لو كان الموقف فوق احتمالي، ماذا سأفعل، سأتهور، سأقتل مجددا، ظللت أفكر كيف سأخرج من هذا الموقف بأقل الخسائر.

وقد كان، مرت سامية بجواري مرار الكرام، دون أن استطيع التواصل معها، ثم اختفت من المكان هي وكل شيء قد يصلني بها.

بحثت كثيرا، وكنت على يقين أنني لن أجدها بعدما وجدت والد شذى ينتظرني عند باب المسجد، ليرى وجهي في ذلك الموقف، الذي لا يحسد عليه أحد، إنما قد يشمت الأعداء في بعضهم البعض.

بعد ذلك اختفى خالد من المكان، ترك والده ورحل إلى حيث المجهول، أخبرني والده أنه هاجر، أخبرني أصدقائه أنه سافر بعقد

عمل، بحثت عنه كثيرا، وأرسلوا له قبل السفر بيومين أو ثلاث لأنه أحد العاملين قد أستقال فسنحت الفرصة لهم لكي يستعينوا بموظف جديد، غضبت كثيرا، كيف يخونني أخ الطفولة، صديق الشباب، كيف يتخلى عني بهذه السهولة، هل كان يلعب بمشاعري، هل كان يقرأ مابداخلي من عدم إكتراث بأرائه أو طموحاته غير الخلاقة، هل جعلته يشعر بدونيته الفكرية، فكان يكفيه أن يتملكه شعور بالنقص بسبب المستوى المادي، في نفس التوقيت افتعلت زوجة أبي مشكلة، لكي تنتقم من تجاهلي لها، قد تكون نظرات الاحتكار أذت مشاعرها.

في ذلك اليوم، صفعني أبي، إرضاءا لها، خرجت فى تلك الليلة، ناقم على كل شيء، أمطرت السماء مطر مصاحب بالرعد والبرق، فظللت هائم على وجهي في الشوارع، حتى اسقط البرق عامود إنارة أمامي، فرفعت رأسي لأعلى، صارخا يارب أنا مش عارف أعمل أيه؟ ولا عارف إيه اللي المفروض أعمله عشان أرضيك، أنا تعبان أوي، محتاج لحد يكون جنبي أنا تعبت

وإذا بي استزد في الدعاء لأطلب مواصفات خاصة رافعا يدي وبقول:

يارب أنا عايزك تهديني لأنسانة تجمع في الشبه بين شذى وسامية وتجمع صفاتهم الحلوة وتكون عيناها خضراء، شعرها طويل، تغرم بيا، وتحبني أكتر حاجة، وأخلف منها ولد وبنت، عايز أعيش سعيد، خليني أنسى كل حاجة قرأتها أو عرفتها، أبعدهم عني، وخليهم يضلوا طريقي، وميعرفوش يوصلوا ليا، وياريت يارب ترجعلي سامية أو شذى، أي واحدة منهم قبل ما أموت.

دعوت هذه الدعوات بكل ما لدي من طاقة، حتى أنني لم أتذكر كيف أو متى أنهيت، استيقظت لأجد نفسي بالشارع، جفت ملابسي بفعل الشمس والهواء، بجواري شحاذ يوقظني:

يالا قوم، يالا يا بني، أنت كده الشمس هتخبطك.

الشحات

فتحت عيني لأجد رجل اختفت ملامحه تحت الأتربة والأوساخ المتراكمة، قلب ملابسي، قائلا:

أنت جبت الهدوم ديه منين؟ شكلها حلو وغالي، مش متسخة أوي لو عرفت تجيب زيهم تأني، أبقى هاتلي معاك.

- طيب ماشي.

- أنت منين؟

- أنا غريب، مش من هنا.

- خلاص قوم أفطرك.

- أنت هتفطرني !

- أنت غريب يعني ضيف ولازم أكرمك.

- هه وهتفطرني فين؟

- يالا تعالى معايا، وأنت تعرف، هو اكل وبحلقة.

- طيب ماشي.

- شايف المطعم الفخم ده أنت هتفطر هناك.

- إزاي يعني.

- ملكش دعوة، يالا عديني الشارع.

- أنت بتشوف؟

- آه، بشوف طبعا، أومال شفت هدومك إزاي وبكلمك عنها، بس بخاف أعدي الطريق.

- طيب.

دخل المطعم بكل أرتياح، ألقى السلام على الواقفين بالمدخل، فردوا عليه التحية:

- إزيك ياعم رمضان، إيه اللي مصحيك بدري كده.

- معايا غريب وضيف هيفطر معايا.

- أتفضل ياعم هتفطر في المطبخ ولا في الجنينة؟

- أديني الأكل وهروح أنا والغريب ناكل في الجنينة.

أعطاني العمال الطعام مغلف ومعبئ جيدا، عبرنا الطريق مرة أخرى، وجلسنا بالحديقة العامة، بدأ في فتح الطعام بغير الشره المعتاد من الشحاذين، أنتظرني لأبدأ بالطعام قائلا: يالا يابني كُل متخفش ده أكل حقيقي، مش بواقي، مددت يدي لأبدأ بالطعام، إكراما له ولكرمه الحقيقي معي، والذي لا ينتظر مقابل له، تحدثت إليه وأنا أتناول الطعام:

شهاب: الأكل حلو فعلا.

الشحات: مش قلتلك.

شهاب: أنت إيه حكايتك، شكلك مش شحات، أنا مش بتكلم مع أي حد، بس شكلك مختلف.

الشحات: مختلف إزاي.

شهاب: يعني شكلك مش شحات.

الشحات: وده حاجة كويسة ولا وحشة.

شهاب: كويسة طبعا، أنت مش فاهم، أنت أول ما تدي الشحات بيطمع فيك، وبيتكل عليك، وينتظر إنك تديله بشكل دوري وكأنه بقى حق من حقوقه، أنا هنا بسبب شحات، كنت بساعده، فضل يطمع، وأنا أساعده، لحد ما أخذت واحد منهم يقعد عندي في البيت، كان في عمر أبني اللي مات في حادثة بدأ يجي معايا الشغل، كان عندي مطعم زي اللي أخدنا منه الأكل، كل الناس حذرتني، أن اللي بعمله ده غلط، مفيش حد يقدر يمشي بدل حد،وإن الشاب ده، لو فعلا كان كويس، كان أشتغل بصحته وقوته اللي ربنا وهبها ليه لكن هو كان يفضل ياخد على الجاهز، من غير تعب، مسمعتش منهم للأسف، حتى مراتي، غضبت، ضربتها، طلبت الطلاق، طلقتها وأديتها كل حقوقها، المهم فضل الولد معايا، أو الشاب الشحات، حاجة تضحك، أفتعل مشكلة مع مدير المطعم طبعا صدقت الشاب وكدبت المدير اللي كان شغال عندي من عشر سنين، المدير أستقال وهو بيقولي: أنت كده هتضيع المطعم منك، ده كان عايزني أسرقك وأقسم معاه الفلوس، ولما رفضت، وقع بيني وبينك، بكى الولد، مستحملتش دموعه، أخذته في حضني، وطردت المدير اللي كان ماشي فى كل الأحوال، بعدها كل مايجي مدير يستقيل لحد ما أقترح أنه هو يدير المطعم بنفسه، فوافقت وأنا بتخيل أن أبني عايش وكمان ماسك الشغل بتاع أبوه، بعد حوالي شهرين، فلس المطعم، ومبقاش فيه أي فلوس عشان نقبض العمال، أو نجيب طلبات الاكل، فأقترح أني أخد قرض من البنك،معرفش أنا ليه مكنتش بفكر، وبصدق كل حاجه منه كان بيقولها، أخذت القرض بعد كده وفي وقت قصير قالي أنت لازم ترتاح، وافقته و فضلت في البيت وهو كل يوم بيرجع يفرحني بحاجات كلها غلط، فضلت مصدق لحد ما البنك حجز على البيت والمطعم وأخدهم وأنا بقيت في الشارع،

فضلت ماشي زي المجانين، أدور عليه، لما أختفى وملقتش حد يوقف معايا فى الموقف ده، في يوم عربية خبطتني، صاحب العربية هو صاحب المطعم اللي بيديني الأكل كل يوم من غير إهانة.

كان درس لازم أتعلمه، إنه فيه حد مينفعش نتخطاه في مساعدة الآخرين، كل واحد عنده امتحاناته اللي لازم يحلها لوحده، ولو أنا كنت رضيت من الأول بقضاء ربنا، ومعترضتش على موت أبني، مكنتش خسرت كل حاجة تانية كان ربنا عطاهاني،

شهاب: يعني أنت عايز تقول، أنك أعترضت على ربنا فعاقبك؟

الشحات: أنا مش بس اعترضت، أنا كمان حطيت نفسي مكانه، كنت عايز أخلي الشحات مش شحات، وأحطه مكان ابني اللي فقدته، مكنتش عايز اعترف أني فقدته وعاندت ربنا، فكل اللي حصل بعد كده كنت أنا السبب فيه، مش أي حد تاني.

شهاب: طيب وأنت هتعمل إيه، دلوقت؟

الشحات: أنا بدور على شغل لكن هدومي بتمنعني من الشغل.

شهاب: طيب أنا شبعت، لازم أمشي دلوقت، هرجعلك تاني.

الشحات: أنا مش هقدر أكلك كل يوم.

شهاب: متخفش، مش عايز أكل.

الشحات: طيب ليه هترجع، أتكل على الله وشق طريقك، شوف هتروح فين، محتاج فلوس مواصلات.

شهاب: لا، معايا.

الشحات: طيب ربنا معاك.

عدت للمنزل، غيرت ملابسي، رجعت للشحات مرة أخرى لاعطيه مال، لكن لم أجده، سألت عنه فأخبروني بالحديقة، أنه لن يعود إلا بالمساء، ذهبت للمطعم وتركت له حقيبة بها ملابس ومال يكفي لاستئجار مكان يعيش به، وكتبت له على ورقة إنه بعدما يبدأ حياته من جديد، ومن أرباح عمله الذي لا أعرفه، يفترض أن يرد المال إلي على حساب بنكي، كتبت رقمه في آخر الورقة.

شهاب

سالت نوران بشغف: ورجع الفلوسبعد كده؟

شهاب: والله معرفش، أنا حتى نسيت أتفحص الحساب.

شريف: خلاص أبقى قولي في أي بنك، وأنا هسأل.

شهاب: مش هو ده المهم، المهم إني أتعلمت الدرس، أن عدم الرضى، يخلينا نفقد كل النعم اللي موجودة عندنا.

شريف: حلو إللي اتعلمته، بس كمان مهم انك تعرف، و بعدين أن شخصيا عايز اعرف.

شهاب: خلاص هتلاقي في مكتب مصر الجديدة ظرف مكتوب عليه الشحات هتلاقي فيه كل حاجة عن الموضوع، تابع ولو اكتشفت إن الشحات معملش ايداع قولي .. ولو إن أنا متاكد إنه حطها.

شريف: طيب كمل ..

شهاب: رميت كل حاجة ورا ضهري وركزت في الشغل والدراسة، وبقيت شهاب التاجر اللي صنع اسمه مش بس ورثه. لحد ما قبلت شيرين في فرح، ولاقيتها دعوة كانت في السما ونزلت على الأرض. عملت كل حاجة ممكن تتعمل، عشان ترضى تتجوزني، لكن الغلطة اللي بدفع ثمنها دلوقت، أني اشترطت عليها أن لو شذى رجعت هرجع لها،

مهما حصل، وهي وافقت، جورت على حقها، ومسألتش هي ايه اللي يخليها توافق على شرط زي ده، اللي أكبر من كده، أني ضللتها، قلت شذى بس، مقولتش سامية كمان.

لما شيرين بقت مراتي على سنة الله ورسوله، حبتها، كأني محبتش حد قبل كده، نسيت كل اللي كان قبلها، بس كنت خايف من الناس المؤمنين بعقيدة البنائين الاحرار، يكونوا لسة مستخبيين في هدومي زي البق، فكنت بشتغل كل مرة، في أي وظيفة في المجموعة بدل ما أحط جاسوس، ممكن أي حد يشتريه كنت بعمل المهمة بنفسي، عشان أعرف إيه اللي بيحصل من ورا ضهري، كنت بشوف السرقة، اللي وقفها شريف بعد كده، بس مكنتش عايز أفتح على نفسي أبواب كتير، كفاية اللي أنا خايف منهم، لما بدأت شيرين تقولي، إنها عايزة تمشي، مكنش قدامي حل غير أني أرجع أدور في الورق القديم، فبدأت أدور على خالد، وشذى وسامية، مقدرتش أوصل غير لخالد وعشان كده وصلتلك، وده أحسن حاجة حصلتلي من ورا خالد من ساعة معرفته، أو الحاجة الوحيدة الخير اللي جت من وراه وربنا يستر:

نوران: أيه ده، أنا حاسة أنك عجوز أوي، بعد لما حكيت عن كل الحاجات ديه.

شريف: معلش لحظة واحدة، عندي سؤال مش فاهمه.

شهاب: قول.

شريف: ليه لما جيت عشان أقابلك في الشركة أول مرة، السكرتيرة كانت بتعاملني وحش، ولما قولتلها عايزه في حاجة شخصية، حضرت لي أكل، وعاملتني كويس كأني قريبك مثلا.

لما أتوقع هذا السؤال من شريف، ومع ذلك جاوبت بكل اريحية، لانني متاكد من قوة الرابطة بيننا، فلن يسيئ فهم كلماتي، فاخبرته

لكنني منذ أن قابلت رمضان الذي أمسى شحات، وصاحب المطعم الذي يعطف على رجل لايعرفه لمجرد أنه كان سيصدمه عن طريق الخطأ، وهناك من يصدم إناس كل يوم عن طريق الخطأ المتعمد مثل السرعة المبالغ فيها أو تعاطى الخمر أو المخدرات ولا يتوقف، لا يلتفت حتى لذلك الانسان الذى دهسه بإطارات سيارته.

فكرت في الامر مليا، قبل ان اقرر ان أحذو حذوهم لكن بالطريقة التى ترآت لي أنها صحيحة، فاقدمت على مساعدة اي احد، من يحتاج لعمل عملية خطيرة لايستطيع التكلف بها، أو من لديه أولاد لايتسطيع الأنفاق على تعليمهم، كنت أتكفل أنا بالمصاريف لكنني أدفع للجهات المسئولة مباشرة سواء مستشفى أو مدرسة لكن بشكل مباشر وبدون وسيط، حتى لايطمعون ويتواكلون بسبب وجود من يتكفل بما يفوق طاقتهم، فربما أعتقدت السكرتيرة أن شريف كان من هؤلاء الذين يأتون طلباً للمساعدة فخرجت من عباءة السكرتيرة الصارمة، وعادت إلى أنسانيتها الحقيقية.

أستفزت نوران بسبب هذه القصة فسالت: أنا كمان عندي سؤال لما شفتك وأنت شغال وطلبت منك المساعدة، كنت بتتصرف زي أي موظف كسلان؟

شهاب: أنا لما أدخل أي وظيفة، كنت بعيش فى طبيعتها وظروفي النفسية،وقتها كنت متلغبط وهدفي زي ماقولت قبل كده أني أكون موجود في المجموعة في أي شغل عشان أعرف المستخبي واللي مش هيوصلي وبيني وبينك كنت متقمص الدور، عشان أعرف هما بيحسوا بأيه.

سعاد: ولاقيت إيه؟

شهاب: لاقيت أن فكرة الوظيفة ديه فكرة فاشلة لكن الفكرة الأنجح، أن كل الموظفين يكون ليهم نسبة من الأرباح عشان يكون قلبهم وعقلهم في الشغل، عشان ما يبقوش أيادي تقبض آخر الشهر وخلاص.

رن جرس الهاتف، لم يظهر رقم أو أسم، انه رقم خاص لا يظهر معلوماته، كادت سعاد ترد، لولا أشرت لها بعدم الرد، أعطتني الهاتف، سألني المتصل السيد شهاب، أجبت بالإيجاب، تمنى لي الشفاء العاجل من الوعكة الصحية، ثم أخبرني أن لديه معلومات هامة، عن أشخاص، أخبرني أن هناك ظرف أحمر سيرسل على عنوان منزلي خلال ساعات قليلة قادمة،

انتظرت وصوت دقات الساعة يصطدم بجدران فؤادي أشفقت سعاد علي، فشتت انتظاري بسؤالها:

سعاد: هو أنت كنت عايز تعرف معلومات عن مين؟

شهاب: طلبت معلومات عن شذى وسامية وخالد وشيرين.

سعاد: ليه كل دول، أنت قولت المهم كان خالد، لأنك شكيت أنه ورا كل حاجة بتحصلك.

شهاب: ده حقيقي، لكن لما شيرين عصفت بحياتي على حين غره، شعرت أنه قد حان الوقت لتسوية كل الحسابات المعلقة.

سعاد: هو أنت لسة بتحب شذى وسامية.

شهاب: طبعا، هما لسة ليهم مكان في قلبي، لكن حيز قليل أوي لو قارنتهم مع شيرين.

سعاد: مش فاهمة.

شهاب: أقصد أن شذى كانت أول أنثى في حياتي، أول لمسة، أول بوسه، أول حضن، هي بداية لكل شيء، مشاعري معها استحالة أني أنساها زي ما أنا واثق أنك حتى لو بتحبي خالد، مش هتقدري تنسي إحسان ومشاعرك معاه، بغض النظر عن النهاية المأساوية اللي أثبتت ليكي أنه أكتر واحد حبك ومقدرش يصارع حبك.

سعاد: طب وسامية.

شهاب: سامية هي اللي داوت جرحي من شذى وضمتني في حضنها صلحت كل الكسور اللي كانت حصلتلي مع شذى.

نوران: وشيرين أنا شفتك بتتعامل معاها إزاي، كنت بتعاملها كأميرة متوجة على عرش قلبك.

شريف: أنا مش فاهم، إزاي فضلت لآخر لحظة معها بتتعامل كده، وهي عايزة تسيبك، وتهد كل حاجة عملتوها مع بعض.

شهاب: شيرين عرفتني على المعاني الحقيقية للحياة، أنا نضجت واسترجلت وأنا معاها، عرفت معنى الحب الحقيقي، المسئولية اللي متحسش أنها عبء، الحياة لماتكون لونها وردي حتى لو مليانه شوك، الحماية للأنسان اللي بتحبة حتى لو بطل يحبك، كمان هي أدتني أحلى هدية ممكن الحياة تديها لأي حد، عبد الله وكنزي، بنت وولد بالظبط كأنك بتاكل فاكهة من نوع واحد لكن ليها مذاقين مختلفين، كنت بحس معاهم، بكل حاجة حلوة حستها في طفولتي وفي رجولتي،بوستهم كأن البراءة في حد ذاتها أتجسدت في ملايكة وبتبوسك وبتحضنك بكل مافيها من طاقة، الحضن كان بيخليني مبسوط حتى لو شايل كل هموم الدنيا فوق كتافي، البوسة كانت بتخليني أحس بالنشوة زي اللي ممكن حد يحسها وهو بيسكر.

شريف: كان نفسي أجرب الخمرة، بما أنها محرمة، فأكيد متعتها كبيرة أوي.

شهاب: كويس انك تخيلت.

نوران: وبعدين كمل.

رن حارس البوابة، ليخبرني شريف أن المهندس أدهم عايز يقابل شهاب بيه، فأشرت له أن يتركه يصعد، لأنني أريد أن أراه

أمر شريف الحارس بالسماح لأدهم بالصعود وهو ممتعض، لا يريد أن يعرضني لأي مجهود أو ضغط زائد ثم قال لي:

بقولك إيه يا شهاب، ممكن تستنى على نفسك شوية لحد ماتفوق، وبعدين تعمل اللي أنت عايزه، يعني أسبوعين كمان بس وخلاص، مش خلاص أوي، بس أفضل من أي وعكة ممكن تحصل دلوقت، أحنا مش ناقصين، وأنا عايز أركز في الشغل مش عارف، عالطول قلقان ومشغول عليكم.

شهاب: بص يا شريف الوضع اللي أنا فيه، هو اللي فارض نفسه علينا، يعني أنت مستني مني أيه، مراتي وأولادي مش لاقيهم، وأختي وأبنها تحت التهديد، وشغلي ممكن أخسره، لو الناس دول حبوا ينتقموا مني أعمل أيه، أحط على قلبى تلج، وأسيب الضباع تنهش فيا وفي عرضي.

شريف: ماشي بس مش وقت شذى وسامية، مش لازم تفتح كل الأبواب في وقت واحد مش هتلاحق تسد عليهم كلهم.

شهاب: والله يا شريف أنت مش فاهم، كانوا هيتفتحوا غصب عني، اللعبة كانت باينه، سابوني لحد ما يكون عندي حاجة أخاف عليها وبعدين رجعوا يخلصوا القديم ويطلبوا الجديد.

شريف: اللي هو أيه؟ مش عارف، بجد سألت نفسي السؤال ده كتير ملقتش إجابة.

أدهم

أدخلت سعاد أدهم، سألته ماذا يريد أن يشرب، فأجباها ليمون، فطلبت من عاملة التقديم أن تحضر ليمون بعددهم

أدهم: ها يا شهاب قولي عايز إيه؟

شهاب: الصراحة عايز حاجات كتير.

أدهم: ربنا يستر، أنت طلباتك مطمنش.

شهاب: أنا عايزك تدخل على تليفون شيرين وعايز كل سجلات مكالمتها، رسايلها، إيميلاتها، كل حاجة عملتها خلال التلات شهور.

سعاد: هو أنت هتشوف سجلاتها من أول ما عرفتني.

شهاب: أنا أعرفك من شهرين وأسبوعين بس.

سعاد: مش فاهمة، هي فتحتك في موضوع الأنفصال أمتى؟

شهاب: من شهرين.

نوران: والنبي أرحمنا من جو التشويق وقولنا عالطول، بطل التشويق والإثارة بتاعتك، ده حتى غلط على القلب.

شهاب: أنا قلبي حديد يا غلباوية.

أدهم: أنا هقولكم من 3 شهور كنت بشيك على أجهزة الكمبيوتر بتاعت موظفين الشركة.

شريف: أنت بتشيك على كل الموظفين.

شهاب: آه يا شريف ماعدا أنت، أنا واثق فيك من أول ماشوفتك، أول يوم شفتك فيه، حسيت نفس شعور الأمان اللي كنت بحسه مع الشيخ.

أدهم: طيب نأجل وصلة الصعبنيات بتعتكم ديه، أصل جسمي بيقشعر.

نوران: هو حضرتك، بتشتغل إيه بالظبط؟

أدهم: مبيض محارة.

سعاد: نعم!

شهاب: خلاص خلاص إحنا أسفين، كمل يا عم أدهم، يا باشمهندس أدهم.

أدهم: طيب من تلات شهور كان فيه موظف عند شهاب حاطط خلفيات وصور غريبة على الفيس بوك، والواتس أب ورتها لشهاب، قالي تابعه، وأبعتلي أول بأول كل اللي ينزله، وفعلا بقيت أعمل كده، خلال تلات أو اربع أيام كان غير حوالى من خمس وعشرين الى تلاتين خلفية، مجنون المهم شهاب قالي، أتجسس على مكالماته، أول مابدأت التنصت أختفى، قفل كل موبيلاته، كل حساباته، حتى حساب البنك اللي بيقبض منه أتقفل، البطاقة، عنوانها مش مطابق لأي عنوان حقيقي، لكن شبه عناوين كتير، ساعتها طلب مني شهاب أتحقق من خلفيات باقي الموظفين ولاقتهم مظبوطين، نضاف، مفيش أي حاجة مريبة حولهم، عادية بمعنى أصح.

شهاب: ده بقى اللي خلاني أتأكد أنهم لسة حطني في راسهم وبيتبعوني، فبدأت أجمع معلومات عن كل الماضى، دلوقتي بقى يا عم أدهم، أنا هستغلك في مجالك، في الحاضر والماضي القريب والمستقبل القريب، بمعنى 3 شهور فاتت وأنت طالع يوم بيومه، ها معايا في ده.

أدهم: بص هو ده طبعا مش سهل والمفروض حد يساعدني وأنت بترفض أي حد يساعدني في أي حاجة تخصك.

شهاب: طيب أيه رأيك نوران تساعدك، بس وهي فالبيت، شكلها قردة في الكمبيوتر والموبيلات هتفيدك، أنت حاول تستفيد منها على قد ماتقدر.

نظر لها أدهم بنظرة ترحاب، أغضبت شريف وأشعلت بقلبه الغيرة، مما أسعد نوران، وأقلق سعاد، وشرح أساريري، لأني تأكدت من أنه يحبها بصدق.

شهاب: أنتم عارفين أنا نفسي في أيه دلوقت.

سعاد: إيه؟

شهاب: سيجارة.

سعاد: يا قلبي، سيجارة ومش خايف كده وأنت بتقولها قدام أختك الكبيرة، مفيش أدنى تحمل للمسئولية، أنا هعمل نفسي مسمعتش عشان ديه أول مرة تغلط فيها، وكمان مراعاة للخياطة اللي ممكن تتفك لو هجمت عليك.

شهاب: خلاص يا ستي أنا آسف، أنا بس حسيت أني مركز فكنت عايز أزود تركيزي.

سعاد: ومين اللي أوحالك بكده.

شهاب: قصدك وسوس لي.

سعاد: آه مين يعني.

شهاب: هو فيه غيره.

سعاد: طيب يا حبيبي ماما علمتنا نقرأ آية الكرسي أول مانفكر في حاجة ممكن تكون غلط، لو فضلنا مصرين عليها وإحنا عارفين أنها غلط، تعرف إن نفسك عايزة تتأدب.

شهاب: إزاي

سعاد: أنك تحرمها من الحاجة اللي هي عايزاها.

شهاب: آه وهي ديه تربية النفس.

سعاد: برافو عليك.

شهاب: طبعا أنتم مبسوطين بالجلسة التأديبية ديه، ممكن بقى يا سنونو يا حياتي تيجي تبوسيني عشان تردلي إعتباري قدام الناس اللي نص نص ديه.

سعاد: آه طبعاً يا حبيبي أبوسك وأحضنك بس لما نخلص.

أدهم: طيب يا شقي عايز حاجة تاني؟

شهاب: لا، يا شقي، لحد دلوقت لأ، كمان أنا جالي ورق دلوقت.

أدهم: ورق أيه؟

شهاب: أتقل واستنى على رزقك، المدام شكلها هينبسط الشهر ده بالهدايا اللي هتعوض غيابك عنها.

أدهم: أنت عرفت منين؟

شهاب: فاكر آخر مرة سهرنا سوا وإحنا مروحين، كنا خارجين من المول وعينيك وقفت قدام محل مجوهرات للحظة، فأستنتجت أنك بتفكر تشتري ليها حاجة.

أدهم: آه: وأنت أخذت بالك من لمحتي اللي مستغرقتش اللحظة؟

شهاب: يعني حاجة على قدي.

نوران: قدك إزاي.

شريف: آه هو ده شهاب، عامل نفسه على نياته وهو واخد باله من كل حاجة بتحصل.

شهاب: زمان لما كانت ببين ده للناس، كانوا بيخافوا مني، فبقيت أحتفظ بالمعلومات لنفسي، عشان الناس ترتاح ليا.

الطرد

الحارس يتصل على الهاتف الداخلي للمنزل ليخبرنا أن هناك طرد لونه أحمر وصل، هل عليه أن يتسلمه، أم يحتجز المرسال، فأخبره شريف بلهجة صعيدية، أن يأخذ الطرد فقط، لأن الكاميرات قد ألتقطت صورة لوجهه

استلمت الطرد من شريف وفتحت الظرف على مهل لأجد فبه صور متفرقة، صورة لخالد، لقد تغير كثيراً عن آخر مرة رأيته، أختلف عن صورته التى أحتفظت بها في خيالي، تبدو عليه الوجاهه، طلته أصبحت كطلة رجال الأعمال الهامة وأصحاب الصناعات الكبرى التى تؤثر في أقتصاد الدول، صورة لسيدة أعتقد أني رأيتها من قبل بصحبتها فتاتين في سن المراهقة تقريبا، وصورة لسيدة وجهها مألوف وبصحبتها فتاتين في سن مقارب للفتاتين الآخريتين، وصورة لشيرين بصحبة خالد، لايبدو عليهم الحب، أعرف نظرتها حين تحب، نظرتها لي كثيرا، يدها في الصورة ليست بها أي لمحة سعادة قابضة يدها اليسرى بشدة، حتى أن عروق يدها ظاهرة، هكذا اعتادت حين تتوتر أو تكظم غيظها، كما أن هناك عرق نافر بجبهتها، لا يظهر هكذا إلا عندما تبكي أو تحبس دموعها، وصور لخالد بصحبة السيدات في أوضاع غير مريحة.

جحظت عيني سعاد حين رأتهما، شتت نظرها بعيدا، حتى لا يلاحظ أحد تأثرهما، هل غارت على حبيبها، أم جرحت كرامتها جراء خيانة زوجها، لا أريد طرح ذلك السؤال الآن، ففي كل الأحوال، فإن مزاجها لايسمح بلعبة الصراحة.

أمسكت سعاد بالصور التى تضم صور لسيدات وحدهن مع الفتيات ثم صاحت بوجه نوران: نوران بصي كده، على الستات ديه، أنا شفت صورهم عندك على الكمبيوتر.

نوران: وريني كده، آه صح، فعلا أنا فكرة وش واحد فيهم بس الثانية مشفتهاش قبل كده، بس هما الأثنين شبه بعض أوي، كمان البنات الصغيرة، فيهم شبه من بعض، شوفي كده، دققي النظر.

سعاد: آه فعلا شبه بعض.

نوران: أنا لازم أنزل دلوقت، شريف تعالى معايا عايزة أجيب حاجات من المكتب بسرعة.

سعاد: دلوقت، الوقت أتأخرعن ميعاد الشغل.

نوران: يعني أنا محتاجة أذن.

سعاد: أنتي ناسية أن خالد بيدور عليا، ولو شافك مش هيسيبك غير لما تقولي على مكاني.

نوران: يعني هيحبسني.

سعاد: والله أنت ورزقك وقدرتك على الاحتمال، بس أكيد هيجرب الحسنى معاكي لأبعد درجة، مش هيبين الوش التاني غير في الآخر.

نوران: هو أنتي شفتي وشه التاني قبل كده؟

سعاد: عمري ماشفته، بس كنت بحلم بيه، دايما كنت شوفه جاي يبتسملي وهو ماسك ثعبان ورا ضهره

أدهم: طيب قوليلي يانوران الحاجات اللي أنت عايزاها ديه محفوظه على جهاز كمبيوتر؟

نوران: آه، موجودة على الكمبيوتر بتاعي اللي في المكتب.

أدهم: طيب بسيطة، أول ما الشبكة تشتغل في مواعيد الشغل بتاعتكم، هدخل عليه، ولو عايزة أنقلك كل جهاز الكمبيوتر ويبقى عندك.

نوران: بجد!

أدهم: آه، بجد.

نوران: مش عارفة أقولك إيه، أنت فعلا عبقري زي ما شهاب قال عليك.

أمسك ادهم بياقة قميصه مختال بنفسه وهو يقولها: لاداعي للمديح.

تكاد عين شريف تنطق من شدة غيرتها، لكن كالجبل، إذا أتاه زلزال ماتحرك من مكانه، لكنه قد ينشق من داخله أثر شدة الأهتزاز.

سألت سعاد: هم بعتولك صور بس من غير معلومات مكتوبة.

شهاب: لأ، مفيش غير صور.

نوران: طيب وريني كده، استحالة، مش هيبعتوا معلومات.

سعاد: المفروض أننا ننجم المعلومات اللي ورا الصور أدخلت نوران يدها بداخل المظروف، ولم تخرج فارغة، قفزت في الهواء، كالأطفال، ممسكة بيدها وحدة تخزين الكترونية (فلاشة)، لقد

أرسلوا النصوص المصاحبة على هذه الوحدة تحمسوا جميعا للأطلاع على المعلومات، لكنني قد أجهدت تماما، وربما لا أريد مشاهدتها في ذلك الجمع، من الأفضل أن أراها بمفردي أولا. أخذت وحدة التخزين ووضعتها بحافظتي، طلبت من سعاد الاقتراب وهمست في أذنها، أنني أشعر بالإجهاد، لم تصدقني، لكنها استجابت لرغبتي، أخذتهم للخارج في منتهي النعومة، ثم عادت لتقبلني وتمسح على شعري، متمنية لي أحلام سعيدة، هكذا تمنيت لنفسي.

ظننت أنني كنت أدعي النوم، لكن حالما غادرت سعاد، هاجمني النوم سريعا.

طيف شيرين

رأيت شيرين ترتدي فستان أبيض يشف عن جسدها الفتان، يفصل يننا ممر طولي، أجلس في آخره على كرسي كبير مذهب كلما هرولت لتصل إلي، يزداد طول الرواق الذي يفصل بيننا، ظلت تبتعد، حتى كادت أن تتلاشى، قبل أن تختفي، صاحت بصوت مرتفع "أنا بحبك يا شهاب، متصدقش".

هممت لأقف على قدمي لأتمكن من اللحاق بها، لكن الكرسي قيدني بقيود تشبه أرجل الأخطبوط، سمعت صوت ضحكات يتردد صداها في المكان، فقدت حيلتي في عمل شيء، ظللت أبكي إلى أن أيقظتني سعاد.

سعاد : شهاب، حبيبي، قوم، فوق، بسم الله، الله أكبر، شهقت بقوة،لأنني فتحت فمي، فدخل الأكسجين بكمية أكبر من تلك التى احتاج ليها، وضعت سعاد يدها على رأسي وهي تقرأ آية الكرسي، فشعرت بتأثير الحلم يتلاشي، سألتني:

- ها أحسن.

- آه، أحسن.

- طيب هتصحى ولا هتكمل نوم؟

- لا، أنا تعبان أوى، مش قادر أفتح عيني.

- طيب يا حبيبي، يالا كمل نوم،

قرأت على رأسي آيه الكرسي، لأتعمق بالنوم، لم اشعر سوى وحبيب يوقظني: خالوا، إيه يا خالوا، خلصت النوم كله، حرام عليك، هتاخد النوم بتاعنا كمان.

- مين قالك كده يا غلباوي؟

- ماما قالتلي، أن كل واحد لازم ياخد الشوية بتوعه بس، ومينفعش ياخد نصيب حد.

- محدش بياخد نصيب حد يا حبيبي.

- ماما كمان بتقولي يا حبيبي.

دخلت سعاد وهي تهرول: حبيب متصحيش خالوا.

شهاب: خلاص قام بالواجب.

سعاد: آه ياقرد يا صغنن أنت، أعمل فيك إيه.

حبيب: تبوسيني.

سعاد: كمان.

شهاب: من شابه خالوا فما ظلم.

سعاد: ماشي، هو أنا هلاقيها منك ولا من خالك، مش هخلص.

شهاب: سعاد ممكن تحضر لي فطار وهاتلي اللاب توب اللي هناك ده.

سعاد: أنت عايز تتفرج لوحدك، من إمبارح وأنا عرفة أنك عايز تعمل كده.

شهاب: معلش، هشوفها الأول.

سعاد: ماشي يا أبو راس ناشفة.

أعطتني جهاز الكمبيوتر المحمول، أدرته ووضعت به وحدة التخزين، أنتظرت حتى يتم تحميل المعلومات، وها قد بدأت تظهر ملفات لنصوص مكتوبة، فيديوهات بداخل ملف مكتوب عليه للكبار فقط، سري وهام، صور في ملف مكتوب عليه، شاهد بعد واحد وأثنين الملفات النصية والمرئية.

أتصل أدهم على الهاتف فرددت عليه:

أدهم: شهاب، صباح الخير.

شهاب: أبو أدهم، أزيك.

أدهم: أنا كويس، أنت نمت كويس.

شهاب: الحمد لله.

أدهم: هي ديه كانت حركة عشان تتفرج لوحدك صح.

شهاب: آه، يا بو دماغ كبيرة.

أدهم: طيب هو فيه داتا هتشغلها أو هتفتحها.

شهاب: آه.

أدهم: متشغلهاش.

شهاب: ليه؟

أدهم: عشان ممكن الجهاز بتاعك يكون حد متتبعه وحطه تحت المراقبة.

شهاب: آه صح، ده أمر وارد، أعمل إيه؟

أدهم: استنى أنا هأمنلك جهاز وهجيبهولك وأنا جاي.

شهاب: أنت هتيجي أمتى؟

أدهم: هو فيه حد عندك دلوقت.

شهاب: لا، كل واحد موجود في مكان.

أدهم: طيب تمام، مسافة الطريق عايز حاجة أجيبهالك.

شهاب: لا، بس متتأخرش عليا.

أدهم: حاضر.

شيرين

نقرات خفيفة على الباب، أنظر لمن يطرق الباب، اجدها سيدة منتقبة، لايظهر منها سوى خيال عينيها من تحت البيشة، ضيقت حدقة عيني، قد أتمكن من رؤيتها بصورة أوضح، لم أذن لها بالدخول، رفعت ذيل عباءتها، خطت فوق عتبة الباب، أغلقته خلفها، كما أغلقت قفل الباب من الداخل ثم بدأت بالتجرد من ملابسها، قطعة قطعة على مهل، هلى هي من أتمنى أن تكون، هل دخلت فى الحلم مرة أخرى، لو كان حلم لتجردت من ملابسها كلها.

شيرين: حبيبي، شهاب.

شهاب: شيرين! أنتي فى الحلم.

شيرين: لا يا حبيبي، أنا في الحقيقة، عامل إيه، وحشتني بجنون.

شهاب: أنا كنت خايف أموت من غير ما اشوفك.

شيرين: متخفش مش هتموت، عمرك طويل.

شهاب: مين قالك؟

شيرين: حلمت أن عمرك طويل.

شهاب: عمرى بيطول وأنت جانبي، إيه كل الناس دول معرفش أن حبايبك كتير أوى كده، ليه الحراسة دي كلها، شفتي اللي حصل ..!

شيرين: إيه؟

شهاب: سعاد طلعت أختي ونوران أختها، يعني أختي بردو.

شيرين:غريب أوي، أخواتك اللي يكونوا معاك في بيت واحد، تتفرقوا، والمتفرقين عمرهم ما تقابلوا، يجمعهم القدر.

شهاب: غريب القدر، متعرفيش إيه اللي ممكن يحصل، وأمتي هيحصل؟

شيرين: ده حقيقي.

شهاب: انتي دخلتي أزاي.

شيرين: الحراس وقفوني، قلتلهم بلغوه أن مدام شيرين هنا، اتصلوا، ردت عليهم سعاد، خلتهم يطلعوني.

شهاب: والأولاد فين، نفسي أشوفهم، وحشوني أوي، ديه أطول مرة نبعد فيها عن بعض.

شيرين: أنت عامل إيه، طمني عليك، وحاسس بإيه، أحسن دلوقتي؟

شهاب: الحمد لله أنا أحسن وبتحسن، بس من غيرك قلبي بيوجعني، أنا كنت عارف أني بحبك، بس مش كل الحب ده، من أول ما بدأت الأحداث الأخيرة، تمنيت أني كنت قابلتك من زمان، من قبل أي حاجة ما تحصل، من قبل أي غلط، غلطته وبتعاقب عليه دلوقت.

وضعت يدها على فمي، كم افتقدت رائحة راحة يدها العذب، اقتربت مني، فأملت بجذعي عليها، ضمتني إليها، ضمة ردت روحي إلى قلبي، شعرت أني أتنفس منذ وقت طويل هممت لألف يدي حولها، لم أستطع، مازال الجرح بصدري يؤلمني من الحركة، لفت ذراعيها حولي، كنبات صفصاف يلتف حول دعائمه، ضغطت برأسي على صدرها، لعلي أصل إلى نقطة أبعد من الإحساس الذي أشعر به الآن، ماذا سيحدث إن كانت تلك آخر لحظة بحياتي، ستكون الأسعد والأخيرة، لا أتمني أكثر من ذلك ماذا عن الاولاد، لا أعرف مصيرهم بعد .. حتى امنية الموت لن استطيع التفكير فيها باريحية.

شيرين: حبيبي، أنا عايزاك، تخف بسرعة،لازم تاكل كويس،عشان تعرف تقف على رجلك تاني وبسرعة.

شهاب: حبيبتي ، فرحتي أن أشوفك قدامي تاني نستني أي حاجة ممكن أقولها، أنتي ليه مشيتي، روحتي فين؟

شيرين: أنت شكيت فيا؟

شهاب: أبدا، ولا لحظة واحدة، كان عندي يقين مخليني مرتاح وواثق أنك مشيتي غصب عنك، لسبب أكبر مني ومنك.

وضعت يدها على يدي لتقبلها وتنظر لعيني نظرة حب مليئة بالسعادة والأطمئنان وهي تتكلم من روحها

شيرين: شكرا يا حبيبي أنك وثقت فيا، أنا بحبك أوي أوي، معرفش لو مكنتش قابلتك كنت هعمل إيه، ولاحياتي كان هتبقى شكلها أيه، بس هي الدنيا كده، لما بتلاقي الحب والأمان، تبدأ تستقر، تبدأ كل حاجة مش مستقرة تدور عليك، عشان، تأذيك أو تنهي سعادتك، وإن كنت من المحظوظين، أصحاب الحظ الوفير، هتنغص عليك، مفتكرش أننا من المحظوظين.

شهاب: كل اللي بيحصل ده بسببي، أنا آسف، مقصدتش، أضرك، من ساعة ما أتجوزتك وأنا مستقيم، في حالي، بحاول أحميكي من أي ماضي ممكن يهددني، ولما خلفنا، كان كل شغلي الشاغل أنكم تكونوا مبسوطين، مرتاحين، من غير أي منغصات.

شيرين: حبيبي أنا عارفة، بس أنت مش فاهم حاجة، مش الماضى بتاعك بس اللي بيطاردك، الماضي بتاعي أنا كمان صحي من تحت الأنقاض ومصمم إنه يقضي عليا، في كل الأحوال هيقضي عليا بس أنا بقول أن فيه قضى أخف من قضى، وأنا المهم عندي كان أنت والأولاد، كنت عايزة أحميكم، عشان كده لو كنت قدرت وبعدت عنك في وقت أقرب، كنت هسيبهم يعيشوا معاك، وكنت هوافق بأي حاجة عشان يعيشوا مرتاحين، حتى لو كنت عايز تقولوهم أن ماما ماتت عشان ينسوني.

شهاب: أوعي تقولي كده، أنا مقدرش أعيش من غيرك.

شيرين: أنا كمان مقدرتش أبعد عنك، كل ما كنت بحس أنه خلاص هابعد عنك، كنت بتمني أن أي لحظة حلوة تحصل بينا يمكن تصبرني على بعادك، لكن اللحظات ديه كانت بتخليني أتمسك بيك أكتر، و أتعذب أكتر من الأول، ولما حاولت أقولك على الحقيقة، أنت مستحملتش وقلبك رفض يسمع.

شهاب: أنا آسف أنا وقلبي، إحنا دلوقت أحسن بكتير عايز أعرف كل حاجة وأنا مش هاقطعك، ولا هلومك على أي حاجة، أنتي حبيبتي مهما حصل، مهما قولتي أنا حبيتك بكل ذرة في روحي، بكل نبض في عروقي، أنتي كل حاجة حلوة حصلت في حياتي، في دنيتي وآخرتي، ممكن ربنا يسامحني بس عشان أتجوزتك، كنت بحمده كل يوم أنك معايا ..!

قالت شيرين مستنكرة: بتحمد ربنا، عمرى ما ..!

شهاب: عارف، انك عمرك ما شفتيني بتكلم عنه، أو معاه، أو حتى بصلي، أنا علاقتي بربي معقدة أوي جوايه، مع أنها ممكن تكون أبسط من البساطة عند الناس، بس أنا عارف أنه وقف جنبي، وأنقذني، ولسه يبقف جنبي، بيكافئني ،أنا مستهلش، بينعم عليا وأنا مش أهل للنعم ديه، وأكبر دليل، أني فحضنك دلوقت ديه أمنية كنت دافنها جوايا، مقولتش عنها حتى لنفسي، خفت أقولها أضعف وأنهار أكتر من كده، وبالرغم من كده، واقف جانبي، بيبعتلي الناس اللي تقف جنبي وتساعدني.

شيرين : حبيبي، ربنا بيحبنا مهما غلطنا، مهما عصينا، مهما أذنبنا هو مطلع على الحاجات اللي ممكن أحنا نفسنا منعرفهاش عن نفسنا.

شهاب : بالتأكيد أنا حسيت بكل الكلام ده دلوقت، دخلت فى أحداث كتير ومقولتيش حاجة عن الأولاد، الأولاد بخير؟

شيرين : ربنا هيحميهم ويحفظهم من أي حاجة؟

شهاب : يعني إيه؟

شيرين : هقولك، بس أسمع الكلام اللي أنا عايزة أقولهولك، معلش أنا هحكي عن فترة فاتت من حياتي بس عشان أفهمك الوضع إيه وعايزاك تسمعني.

شهاب : سامعك

عدلت شيرين من جلستها لتجلس خلفي فتحتضنني وتتحدث بصوت خافت؛ "بعد أن أنهيت الدراسة الثانوية، وتحديدا بالأجازة التى ننتظر فيها معرفة مصيرنا، إلى أين ستلقي بنا المقادير، بأي كلية ستتحطم أمانينا وتموت أحلامنا، قام النادي بتنظيم رحلة تخييم مجانية لكل أعضاءه وأصدقائهم ممن أنهوا المرحلة ذاتها، لحين ظهور النتيجة.

كانت فرصة جيدة، بل حلم راودني كثيرا، وهي أن نكون أنا ومن أحب مع بعضنا البعض في مكان واحد بعيدا عن الرقابة المجتمعية لاسيما الرقابة الأسرية، فكنا أصدقاء نجلس بجوار بعضنا البعض منذ سنة الروضة الأولى، كنت أحرص على أخذ سندوتش الشيكولاته الخاص به بجوار سندوتشاتي الأساسية، كنت أطعمه وهو يجلس يكتب لي واجب الرياضيات، لطالما كرهتها، ولازلت أكره أرقامها، كان هو من يحميني حين يمزح زملائي على تقويم أسناني، على قصة شعري الغريبة التي كنت أصمم عليها عندما كنت أنسى شيئا من كتبي، كان هو من يعاقب، لأنه كان يعطيني كتابه الخاص، وكان ينتظرني صباحا بالأتوبيس بجوار مقعدي الشاغر، الذي يحجزه لي، كان يضع يده في مواجهة الشمس التى كانت تزعجني، كان يعقد لي رباط حذائي، حزام فستاني، يحمل حقيبتي الثقيلة، كان يرسم بدلا عني، لأني لم أكن أجيد الرسم، ولا تراكيب الألوان المنمقة، لم أكن أعاني، طالما كان بجواري أو خلف ظهري، أو حتى اختبئ خلف ظهره.

عندما دخلنا المرحلة الإعدادية، جاءنا طالب جديد، كان المعاناة أرسلت لنا أول منغص، على سعادتنا كان الطالب الجديد هو خالد، لم يلاحظ أحدا غيري بالفصل، لم يعاد سوى شادي، يتفنن في المزاح عليه، والسخرية منه في كل المناسبات المتاحة والمختلفة، كان يبدو أكبر سنا واحترافا في الأذى، أكثر منا كلنا مجتمعين، ألتف حوله أثنان من المنبوذين، اصبحا مثل ظله، أجاد عمل المكائد والخلافات بيني وبين شادي، أزعجنا كثيرا، لم يترك لنا لحظة سلام دون أن يبددها، كان يستغل أوقات غضبي من شادي، ليظهر اهتمامه كان يراقبه جيداً، فكان يقوم بكل شيء كان شادي يقوم به من أجلي ليسعدنى.

كل أفعاله، أتيحت لي الفرصة بالإطالة بالغضب، تاركة لشادي كل الوقت، ليشعر بالالام النفسية المبرحة تدني مستواه الأكاديمي، تخلى عن تمارين الكونغ فو، في ذلك الحين كان خالد يحضر فقط لتشجيعي، كنت اصغر من أن أعي ماذا كان يفعل أو لماذا كان يتفنن في ذلك، أو حتى كيف تأتي له الأفكار..

في يوم أتت صديقتي شذى، لتخبرني بأمر المكائد الذي لازال خالد يتباهي بها أمام أصدقائه، وأنه بالرغم من صغر سنه في الاعدادية إلا أنه كان رجل بالفطرة، يعرف كيف يحصل على البنت التي أجب بها رغم الصعاب، وإن تلك البنت هي أنا، لم يخبرني يوما أنه يحبني، كان ينتظرني أن أصرح بها أولا، حتى يكون له الأفضلية في الحصول على أي امتيازات بالعلاقة كنا حينها بمرحلة الثانوية العامة، كل منا بمدرسة مختلفة، عرفت شذى كل هذه المعلومات عن طريق صديقه الذى كان متيم بها، ولم تبال هي بمشاعره، لأنها كانت تعرف أنه يريد الحصول على نظرة فاحصة بما يقبع تحت ملابسها".

أعتدلت في جلستي لاسالها عن هوية هذه الشذي؟

لا أستطيع استيعاب الأمر، كيف نسجت كل هذه الخيوط التى صنعت شبكة جيدة الأحكام حولنا، كيف لم أرها، أو أعرف بها. هل تستطيع الحشرات رؤية شبكة العنكبوت قبل الوقوع بها، خيوط ناعمة حريرية، متجددة، متغيرة، تعتمد على أشياء عدة القدر، الدعاء، الغفلة، اليقظة، التفكير، التضليل، مكافحة الذات، الأنتصار على النفس، الأستسلام للشيطان، الأنغماس بالملذات، كل هذه الأشياء وأكثر لا أستطيع حصرها تضع نقاط فى حروف حياتنا، ليكون الأمر كله في الآخر قائم على المسئولية، مسئولية تحمل الأمانة، أمانة الأختيار، أمانة الحرية، حرية العبادة، حرية التصرف، ومن حروف الحرية ستجد تبعتها الحرة، لذلك لا يقيس الله أعمالنا ويقيمها، تقييم مجرد لكثرة العوامل المؤثرة بها، بل يقيمها ويزنها بناءاً على قلوبنا، نوايانا، حيلتنا، أرادتنا، أمكانيتنا،

كل منا قدر عليه عدد من الأشخاص الذى كتب عليه لقائهم، لكننا من نختار كيف يكون اللقاء، كيف تكون العلاقة، قائمة على المعصية، أم الحب الخالص، أم ستكون علاقة حائرة تحوى بين طياتها الحب والمعصية وعندما تطب كفة الحب تأتي المغفرة ويتوب الله علينا وييسر لنا التوبة، ويمتعنا بالطاعة، إنها فقط تفاعلات داخلية، على ضوئها تحل المعادلات الخارجية.

قاطعت شيرين افكاري، لتسهل على الامر، فذكرتني بشرط ما قبل الزواج، الشرط المزعوم، أنني كنت أشترطت عليها في حالة رجوع سامية التى كنت احبها، بانني ساتزوجها دون تردد، حينها وافقت شيرين ليس بسبب سحري كما كنت اعتقد انما كان لديها دافعين:

الأول: توقف علاقتها بخالد لسبب غير معروف، و الآخر هو انها انتعلت حذائي فتذكرت حبها لشادي ومدى سعادتها إن عاد إلي يوماً ما!

جرح كلامها رجولتي، لكنها اخبرتني بان كان ذلك قبل أن تحبني، وتعرف أن الحب الأول لم يخلق ليكتمل، وإنه فقط نوع من أنواع تطعيمات الحياة الوقائية ضد الأمراض، فإذا أخذنا الجرعة في ميعادها وتناسينا وجع الحقنة، سنتعافى من أعراضها سريعاً، ونكون أكثر تأهيلاً للأمراض المعدية، أما إذا ظللنا نتالم من جرحها تارة ومن رهاب لحظة الدخول لأخذ الحقنة، وسجنا أنفسنا في تفاصيل حزينة مثل كيف كانت يد الطبيب قاسية، لاسيما ألم الحقنة الحارق، أرتفاع درجة الحرارة والأعراض التالية لها...

كل هذه الاوجاع ستمنعهم من الاقدام على دخول حياة جديدة، أو مقابلة شخص لأول مرة، ستجرهم الذكريات إلى أسفل، ولن تكتمل علاقاتهم، لأنهم سيحاولون جاهدين لإفشالها حتى بدون وعيهم بالأمر، ضغط نفسي داخلي يدفعهم للابتعاد، لكن عليهم التبرير، فأصبحوا أشخاصا مسئولين، فبدلاً من الأعتراف بالضعف والخوف، يفتعلون العراقيل، لإصابة الشخص الأخر في مقتل، فيبتعد بعد أن يفقد الأمل أو يصاب بجرح مزمن ويعتلي مقعد المجروحين العازفين عن الحب.

سالت شيرين عما إذا كانت المشكلة فى الحب ذاته، قضبت حاجبيها وهزت راسها نافية وهي تخبرني ان الحب ليس مشكلة لنا انما هو مشكلة عظيمة بالنسبة للشيطان، فالحب يعطي الأنسان طاقة تجعله في غطاءاً عن الشيطان ووساوسه، يشحن الأنسان بقوة تجعله قادر على معالجة نفسه واعوجاجها الفطري كل ذلك فى صالح الانسان فدائما أن الاشخاص المحبين هم أكثر من يتعرضون للأذى أما المستهترين بالحب تجد الحظ يحالفهم، والنصر رفيقاً بدروبهم فإنك إذا أحببت الآخر، ستتخلى عن أنانيتك، رغماً عنك، وهذا هو أقسى الدروس التى قد تلقناها لنفسك القاسية الأنانية.

والمحبين هم أكثر المبتلين مثلهم مثل المؤمنين وإن كان أكثرهم مؤمنين، لأن الحب وإن كان للإنسان، يعزز شعور العبد بوجود الخالق، والتسلسل الهرمي للحب يجعلك تصل لحب الخالق، خلق الكون، خالق الحب، خالق القلوب، خالق الأرواح، نستمد حبنا منه، نشعر بمدى حبه لنا، نتعلم منه كيف يكون الحب، التسامح، كيف يكون الغفران، فنغفر ذلاتنا أحدنا الآخر، نتسامح مع الآخر، أي آخر، وإن لم نكن نحبه، يجب أن يسود الغفران والتسامح، فيعم السلام وهذا هو أكثر مايبغضه الشيطان، ولأنها دنيا دنيئة، سيظل الصراع دائر بيننا على الأرض، لن ننعم بالسلام، سوى للحظات تشحن عزائمنا على الاستمرار، حتى نلوذ بالفرار وننعم بذلك السلام الأبدي في الآخرة.

كل ذلك ذكرني بشادي، فسالتها: ماذا حدث في رحلة التخييم؟ تمسكت بيدي جيدا وهي تسترجع الاحداث في راسها لتسترسل وتخبرني بانها رأت شادي بعد غيابه عنها لفترة طويلة، كانت بصحبته فتاة، تحبه، لا يبالي بوجودها، لا يشعر بها، فقط يصحبها معه، كنوع من أنواع التباهي، لمصالحة الذات، ذاته التي خسرني وهو لازال يحبني، كانت فكرة التخييم قائمة على تمارين نفسية.

كانوا يتدربون على عدم كبح الرغبات، مهما رفضها المجتمع، كانت المحاضرات تخبرهم عن تجارب شخصية لأشخاص كانوا في مثل اعمارهم، استطاعوا في سن صغير تحقيق الكثير، لأنهم قاموا بأستيعاب الأفكار التى تدربوا عليها في المخيم، فاستوعبت شيرين المحاضرات جيدا ليكون أول قرار تتخذه، أن تذهب لتخترق شادي، وإن لم يكن من المقدر لهم ان يتقابلوا مجدداً، وإن لم تكن في استطاعتها استعدته او استعادة علاقتهما سيرتها الأولى.

وجدت شادي يقف وحيداً، فقررت مباغته، وهي تعرف يقين المعرفة، إنه لن يقاومها، ولن يدفعها بعيداً عنه، فإتجهت إليه،

استوقفها خالد، سألها عن وجهتها، لم تخبره لكنه رأي نظرات عينها باتجاه شادي فتنحي بعيداً عنها، ثم وصلت لشادي، بعد عناء الصعود على الصخور المتراصة فوق بعضها البعض في شكل هرمي، تسللت من خلفه أمسكت بيده، فضمها يدها مثلما اعتاد.

استوقفتها عند ضمة الايدي، بكل غضب: شيرين، أنت لسه فاكره لمسة إيدي.

شيرين: مقدرش أنساها ولا أنسى إحساسي وهي بتلمسني.

شهاب: وحشتيني.

شيرين: وأنت كمان.

شهاب: كل سنة وأنت طيبة.

اقتربت منه لتقف أمامه مباشرة، نظرت إلى عينيه نظرة مطولة، ثم نظرت إلى شفتيه، لم تفقد مظهرها المثير، رغم التدخين، قبلته، شعرت أنها لمست النجوم ثم هبطت إلى الأرض مرة أخرى، حين دفعتها صديقته بعيدا عنه، غضبت، تملكتها قوة الغضب، صفعت وجهها، جرت نحو شيرين لتدفعها، فدفعتها شيرين بكل قوتها، سقطت من على ارتفاع، هوت على الأرض بسرعة، هرولت في النزول حتى تلحق بها، رأت نظرة عينها الأخيرة قبل أن تغادر روحها جسدها.

جرى خالد نحوها، تفحص نبضها وتنفسها، نظر للأعلى، أشار لشيرين بالهبوط من الخلف حيث السلم الحلزوني، كان شادي لا يزال متسمرا في مكانه، لا يستطيع الحراك.

جاء مشرف الرحلة ووقف بجوار خالد على الأرض بجوار جثة الفتاة الهامدة، ثم تفحصها طبيب الرحلة ليخبرهم أنها توفت، كادت

شيرين أن تصرخ، لولا أن جرى خالد باتجاهها، واحتضنها، همس في أذنها " متعمليش حاجة تندمي عليها، محدش شاف حاجة خليكي قوية، أنا جانبك ومعاكي ومش هسيبك أبدا".

أنهت إدارة النادي الرحلة وعادوا على الفور، حتى تستقبل أسرة الفتاة جثمانها، أقام النادي لها جنازة مهيبة و أقاموا العزاء بأكبر قاعاته، حتى أنهم أوقفوا كل النشاطات ثلاث أيام كحداد على روحها التي انتهت حياتها إبان استمتاعها بالطبيعة!

ثم تابعت شيرين، بانه لم يكن هناك أي مردود سيء لدى الأعضاء أو حتى أسرة الفتاة التي دفعتها، لم أقصد أن تسقط، إنه رد فعل غاضب، ليس قتل متعمد، ولا حتى عن طريق الخطأ، كان جزء بداخلي يخبرني إنني لم أقتلها، إنني لا أحمل ذنبها على يدي، لم اتأكد إلا بعد أن غادرت،

فسالت شيرين: أخبريني أولا، ماذا فعل شادي، وكيف كانت رد فعل خالد تجاهك، هل أستغل الموقف؟

فاجابت بان شادي لم يستوعب الموقف، توقف عن مخاطبتها، وتوقف أيضاً عن الحياة التي عرفها، عرفت لاحقا، أنه طلب من والده إلحاقه بأي كلية خارج مصر، حتى لم تعرف لأي بلد سافر، انقطعت أخباره ولم يظهر بعد ذلك الموقف

بالنسبة لخالد، سألها في أول مرة التقي بها بعد الجنازة لماذا قتلتها؟ ماذا فعلت لها؟ وهل لازلت تحب شادي؟ كانت أسئلته تثبت الاتهام وتبرر القتل، فكرهت نفسها، كنت ترى نفسها مذنبة، وإن كان بداخلها جزء يحاول أن يقنعها أنها لم تقتل، لم تعرف إن كان عليها أن تصدق هذا الحدس، أم تصدق خالد؟ لكن كل ما أيقنت أنه يتوجب عليها أن تعاقب نفسها، لعلها تكفر عن ذنبها، كان خالد أكبر عقاب

يمكن أن تجلد به ذاتها، والعزاء انها هي من اعطته الفرصة في المقام الأول ليحرمها من الحب الوحيد الذي عرفته، في مقابل التدليل والاهتمام الزائد الذي لا يقارن بما يعطيها اياه شادي.

فتمردت، وتنمرت على حبيبها الذي كانت تحتمي به منذ نعومة أظافرها، ظل خالد معها يستغل مشاعرها، ويستدر حبها وعندما كانت تحاول التملص منه أو إنهاء العلاقة، كان يهددها بأن يذهب إلى أهل الفقيدة، ليخبرهم عما رآه بأم عينه، بحجة أن ضميره يؤنبه، وإنه لا يستطيع العيش مع هذا الذنب الذي لا يغتفر، إنها أول جريمة حرمت على الأرض، فكيف سينعم بالحياة، بينما هناك من قتلت بلاذنب في مقتبل ربيعها.

اختفى بعد كل ذلك فجأة ودون أي سابق إنذار على وعد منه أنه سيعود، ربما يكون اكتشف عدم حبها له، وخضوعها فقط لعلاقة قائمة على الابتزاز، كان بدافع الخوف، من العقاب و الفضيحة التي كانت ستنال بأهلها وتوصم أبنائها الذي قد لا تتمكن من إنجابهم في المقام الأول إذا نالت عقابها.

كانت ترفض فكرة الزواج، لأنها كانت تخشى من وقت الحساب، إذا حضر خالد، وكانت قد بنيت بيت وأسرة وأحبت أحدهم، لكن عندما قابلتني، أغرمت بي، بإصراري، بحماسي، بطلتي، بصدقي عندما أعلنت الشرط المزعوم، دون مواره، فلم أخشى ردة فعلها، ولم تعرف حينها إن كان ذلك بسبب الثقة بالنفس، أم بسبب عدم المبالاة.

فاجبتها: كنت أثق، بالنصيب، وإذا وقدر الله أن تكوني زوجتي، ستقبلين حينها.

فاجابتني شيرين بانها قبلت، لأنها وضعت احتمال ظهور شذى قبل ظهور خالد، ولم تعتقد أن شذى التى كانت صديقتها هي ذاتها، شذى التى كنت أحبها.

شيرين سالتني بلوعة من الغيرة : هل لا زالت بقلبي؟

فقلت لها : قلبي لا يخبئ سواك بطياته الآن، كل ما كان قبلك، ماض مضى، لا تزل ندبته محفورة بوجداني، اتألم منها كلما أتذكرها، لكن لو عاد الخيار، كنت سأختار ألا أقابل غيرك وألا أحب أحد سواك

فعادت لتسال ماذا سيحدث إذا مضى الوقت وعادت شذى وسامية، اندهشت من سؤالها:

شهاب: سامية! أنتي تعرفي سامية كمان.

شيرين: يعني حكاية سامية ديه حقيقة.

شهاب: عرفتي منين؟

شيرين: مش مهم، دلوقت، أنا بس كنت عايزة أطمن عليك، وعايزاك تعرف أني عمري ما خنتك، ولا حبيت حد بقلبي وعقلي غيرك، خالد بالنسبة ليا مش أي حاجة غير تهديد، هعرف إزاي أخلص منه من غير ما أي شخص يتأذي.

شهاب: يعني أنتي اللي هتتصرفي، معندكيش راجل يدافع عنك ويحميكي.

شيرين: لا، مش عايزة أعرضك للخطر، بسبب حاجة ملكش ذنب فيها.

شهاب: شيرين، أنتي مش فاهمة حاجة.

شيرين: يعني إيه مش فاهمة حاجة؟

شهاب: هقولك، خالد ده صاحبي من قبل ما أشوفك، ولو فيه حد لازم يتصرف هيكون أنا، لأنه أكيد بينتقم مني.

شيرين: وهينتقم منك أنت ليه؟

شهاب: هفهمك.

شيرين: مفيش وقت، أنت أكيد بتتكلم عن خالد تاني، متعرفش خالد اللي أنا بتكلم عليه.

شهاب: لأ، هو نفس الشخص اللي بتتكلمي عنه.

شيرين: أكيد لا، مش معني أن شذى صحبتي طلعت بتعرفها، ولو أني لسة مش مصدقة ولا مستوعبة، بس مفيش وقت أتحقق من كل حاجة، الوقت بيجري.

شهاب: أنت قاعدة فين؟ عايز أطمن عليكي، وعايز أشوف الأولاد.

شيرين: شهاب، أنت واثق فيا؟

شهاب: طبعا، حتى لما شفت الصور مفكرتش في أي حاجة وحشة، متأكد إنك بتحبيني،ومت

قاطعت شيرين كلمات شهاب بتحفز وهي تسال: إيه ده؟ صور إيه اللي بتقول عليها؟

حاولت أن أعتدل بجلستي، أنزلقت الصور التى كانت لا تزال بجواري، تساقطت تباعا على الأرض،أمسكت شيرين بالصور، ويعلو وجهها نظرات إندهاش قاتلة.

شيرين: إيه دول؟ جبتهم منين، كنت بتراقبني ولا بتراقب شذى وسامية؟

شهاب: شذى وسامية! هما دول، أنا بردو حاستهم مألوفين بالنسبة ليا، حسيت أني شفتهم قبل كده، شكلهم اتغير كتير.

شيرين: وإيه بقى عجبوا حضرتك.

شهاب:ههه، تصدقي إن دي أول مرة تغيري عليا فيها.

شيرين: وأنت مبسوط طبعا.

شهاب: مفيش بعد كده، ما تجيبي بوسة بالمناسبة السعيدة ديه.

شيرين: عايزة أعرف الصور.

شهاب: صور إيه بس، تعالي، قربي، أديني بوسة واحدة.

شيرين: واحدة بس.

شهاب: بس طويلة، حوالي نص ساعة بس.

شيرين: نص ساعة!

شهاب: لو أكتر مش همانع، لكن لو أقل لأ.

شيرين: بالنسبة لعملية القلب.

شهاب: أنا حديد يا حبيبتي، متستغربيش الحاجات ديه، ديه كلها منظر، عشان أصعب عليكي وتديني البوسة.

شيرين: فعلا.

شهاب: آه فعلا جدا.

دخلت سعاد مهرولة، كانت شيرين على وشك أن تقبلني قائلة:

سعاد: شهاب ميعاد الدوا.

شهاب: أبو وأم الدوا، هاتي يا حبيبتي، أصل شيرين مكنتش مسامحة.

سعاد: مسامحة في أيه؟

شيرين: ههه

سعاد: شيرين، حبيبتي وحشتيني أوي، مقعدتش معاكي حاسة أني أعرفك من زمان.

شيرين: أنا كمان من أول مرة شفتك حسيت أنك أختي وأعرفك من زمان.

شهاب: يا سيدي على الغرام والحب، طول عمري، مبحبش أكون في وسط أتنين ستات بيحبوا بعض، بحس أن جسمي بيقشعر، بحس أن الدنيا ملزقة حوليا، والسكر زيادة، والنمل هيتلم.

سعاد: عيب يا ولد تكلم أختك الكبيرة كده.

شيرين: أمممممم.

شهاب: حاضر يا أختي، سكت أتفضلوا حبوا في بعض، بوسوا بعض كمان لو عايزين، مش هضايق.

سعاد: إحنا هنبوس بعض ونحضن بعض كتير، لما الأزمة دي تعدي على خير.

تنهدنا جميعا كأننا بنقول لأنفسنا وكيف ستمر هذه الأزمة ويتسنى لنا أن نكون مع بعض مجددا.

شهاب: لا، أنا بقول نحضن ونبوس دلوقت وبعدين يحلها ربنا من عنده،

جلست السيدتان بجواري يحضنوني عن اليمين وعن اليسار، ثم أتى حبيب يجري قائلا:

أنتوا بتحضنوا من غير حبيب، أنا كمان عايز أحضن، أنا هحضن طنت الحلوة ديه، احضنته شيرين وهي تضحك، ضحكات دامعة، من

المؤكد أنها كانت تتمنى لو أن الأولاد معنا في هذه اللحظة، لحظة لم الشمل

لم تطل هذه اللحظة، فقد أتصل شريف قائلا إنه هو و أدهم بالطريق، حينها شعرت شيرين أن الوقت قد أنسرق، وعليها أن تعود فى التو، قبل أن يبحث عنها أحد، أو يحاول أن يتحقق عن مكان وجودها، سألتنا أن نثق بها، ليس بمقدورها أن تخبرنا الآن حتى تؤمن وجود عبد الله وكنزي بآمان، بالطبع نثق فيها، ودعتنا، ثم تركتنا سعاد بمفردنا ليتسنى لها أن تودع قلبي المشتاق، المعتل بحبها، احتضنتني كما لم تفعل من قبل، قبلت كل بوصة بوجهي، قبلت يدي، قبلت صدري، ثم همست بأذني، أنا بحبك، أوي

ظللت ممسكا دمعة بعيوني حتى رحلت،فيكون آخر ما تراه مني هو ابتسامتي، وآخر ما ستذكره إلى حين أن ألقاها ثانية، شفتاي وهي تلثم فمها وتقبل جبينها.

البنائون الأحرار

لم تلبث أن ترحل شيرين حتى آتى كل من شريف وأدهم حاملين أجهزة حاسوب محمولة مؤمنة ضد الاختراق من قبل أي جهة، تفحصنا، المعلومات المخزونة على وحدة التخزين التي أرسلت بالمظروف الأحمر

وجدنا عليها صور لمحافل في أماكن متفرقة وفي هذه المحافل عدد كبير جدا من الشخصيات المعروفة محليا وعالميا، منهم على سبيل المثال، اثنان من الممثلين كانت لديهما إشكالات على قضايا نسب، ممثلة أجنبية، كانت مغمورة حتى 2009،قامت بدور متعاطف مع المثلية الجنسية والسحاقية، ثم بدأ نجمها يسطع حتى نالت جائزة الأوسكار في هذا العام، غيرت من تسريحة شعرها لتبدو، أشبه بأتباع

Satin مرتدية الحلق الشهير الذى يقوم البعض بجراحات تشويهية حتى يظل ذلك الحلق الدائري بأذانهم ليل نهار، وبعد أن حصلت على الجائزة، أعلنت عن فيلم يطالب بالمساواة في أمور التوريث للمثليين، هناك وثيقة بأهم الشخصيات التاريخية الذين كانوا ينتمون للبنائين الأحرار والذين علقوا بذهني فهم الذين تعرضت لهم في قراءاتي المتواضعة:

- اللورد كيتشنر
- نابليون بونابرت
- داروين
- تشارلز هلتون
- توماس ليبتون - فولتير
- جوتة
- موتسارت
- بنيامين فرانكلين
- ملفين جونز
- ديفيد صارنوف
- بنجامين فرانكلين
- سيمون بوليفار
- أندريه سيتروين
- أوسكار وايلد
- فريدريك بارثولدي

- ايدي ميرفي

- بيتهوفن

- يوهان سباستيان

- باخ

- جورج بوش الأب والأبن

- جون ماكدونالد

وثائق أخرى من دستور البنائين الأحرار، وقضاياهم الهامة في المجتمع شرح عن علاماتهم المخنثة المنتشرة حولنا في كل مكان، وثائق تذكر كيف قاموا باستغلال كل مقدسات الحضارات القديمة وأضافوا لها معاني تخص عقيدة البنائين الأحرار حتى ينسبوا لأنفسهم القدم، أهم هذه الحضارات هي الحضارة المصرية القديمة، تاريخ المؤسسة الروتارية وأسماء المنظمات والنوادي التابعة لها.

لائحة بأهم الإعلاميين، المغنيين، الرياضيين، المشاهير بصفة عامة والساسة والقادة بصفة خاصة، بالعالم الذين بطريقة أو بأخرى ينتمون، يساندون أو يسوقون للبنائين الأحرار بإشاراتهم التي يقومون بها بأيدهم، فيجعلون عدد أكبر من المعجبين الذين على دراية أو على جهل بمعنى تلك الإشارات والعلامات بتقليدها ومن ثم يشعر من يقوم بتوعية الناس ضد البنائين الأحرار وأخطارها بأنها متغلغلة بجذور المجتمع فينتابه اليأس.

أما من يجهل بها حين يستمع لأولئك المحذرين أو المنبهين يتهمهم بالجنون والإدعاء، الذي يعزو إلى الإيمان بنظرية المؤامرة في حين أن المؤامرة فعليا قائمة وتخطو خطى ثابتة في تنفيذها.

ما جعلني أرتعب هو ملف كرتوني يحتوي على كم كبير جدا من الإيحاءات والإيماءات التي تبث يوميا في عقول أطفالنا الذين يشاهدون التلفاز أكثر من أي شيء آخر!!!

شعرت بالحصار والرهاب من المستقبل الغير معلوم، هؤلاء القوم يهزءون بنا، يدمرون نفوسنا، يتاجرون بأرواحنا، يصيبون البالغين بالإحباط، يعملون على غسل أدمغة الأطفال، يستقطبون الشباب والمراهقين بالإغراءات للانغماس بما هو مرفوض ومحرم في مجتمعهم.

فلم نتح لهم الفرصة للمعرفة أو حتى السؤال عن أسباب التحريم، رفضناه، حرمناه، وهذه هي لعبة الشيطان منذ الأزل، فسأل أدم وحوا عن الشجرة التي تم نهيم عن الأكل منها دون أن يعرفوا السبب، وعندما ذكر لنا الله هذه القصة في القرآن، كان علينا أن نعتبر، ونعمل بأول كلمة في القرآن وهي اقرأ.

اقرأ، أعرف، تعلم علم، أستفيد من تجارب الآخرين، أعرف عدوك، لتعرف كيف تحاربه، أين نحن من كل هذا .. نتطاحن من أجل الحياة الرغدة أو حتى من أجل لقمة العيش المهم من أجل الحياة في حين هؤلاء يحرصوا على أن نخسر هذه الحياة والحياة الأخرى.

حتى الرياضة لم تخرج من أيديهم، فقاموا بعمل دورة عالمية لرعاية التنس، يحمل لاعبيها مضارب تحمل شعارهم الأعم والأكثر انتشارا وهي تلاقي الزاوية القائمة مع البرجل، وفى معتقداتهم هي الأدوات التي أستخدمها حيرام مهندس سليمان عليه السلام لبناء الهيكل الذي في نفس المكان الذي يقع فيه المسجد الأقصى الآن، فيجعلون الجميع يعتقد أنهم يبحثون عن الهيكل، في حين أنهم يحفرون أسفل الأقصى حتى ينخروا أساسه فينهار من تلقاء نفسه، في تلك الأثناء يبنون أساس الهيكل أسفل الأقصى فينهدم الأقصى وتظهر

نواة الهيكل التي عليهم ترميمها وإكمالها وبذلك يكونوا قد هدموا أحد أهم مقدسات المسيحية والإسلام، قام أدهم بعرض الوثائق على شاشة عرض كبيرة جلسنا بجوار بعضنا البعض نقرأ ونندهش، نتحسر نقاوم الخوف.

قفزت نوران من مكانها، وهي تردد: أنتم أنسب ناس ممكن أقولهم على خلاصة أبحاثى، ياريت تركزوا معايا شوية وبعدين نرجع نكمل قراية.

أنا تابعت الناس ديه كويس قريت الحاجات اللي كتبوها واللي اتكتبت عنهم غير أني تابعت الناس اللي ممكن يكون بيدعموهم أو بيحاربوهم تحت غطاء تنكري، دون الإفصاح للناس مجاهرة. فتحوا ودانكم كويس وأنا هقولكم أنا استنتجت إيه.

سعاد: يالا يا ستي قولي بقى، بطلي شغل التشويق والإثارة بتوعك دول مش ناقصين، إحنا عندنا انتفاخ من كتر التشويق والإثارة والخطر.

نوران: ماشي، الحكاية قديمة شوية، لا شوية كتير أوي من أيام أبونا وأمنا لما كانوا في الجنة وربنا فضلهم على الشيطان اللي عصى أوامره، رفض أنه يسجد لهم عشان هم مخلوقين من طين وهو مخلوق من حمأ مسنون، وبناء عليه أصبح رجيم، خالد لايموت في الأرض إلى يوم الدين، فتتبع الرسل والأنبياء ليوسوس إلى قومهم فلا يتبعوهم ويحرفون فى الدين فمن يقرأ في الديانة المصرية القديمة يجدها مستمدة من أساس كل الديانات السماوية، وأسماء الآلهة وصفاتها هي صفات الإله الخالق، ربنا ورب الكون، لكن الشيطان تتبعهم فوهمهم بالسلطان والخلود، كما وسوس لسيدنا آدم وأمنا حوا وصدقوه، سعى الكهان إلى السلطة التى يحصلون عليها فجعلوا أسماء متعددة ومعابد

متعددة للآلهة مختلفة ليتسنى لهم الحصول على أكبر قدر ممكن من القرابين، والطاعات حتى أن سلطاتهم كانت تفوق على سلطات الفرعون نفسه، ثم وسوس لهم فقاموا بتألية الفرعون، والكذبة الشهيرة أنه إنسان ابن الله، بدأت أيام الفراعنة، فقام الكهنة بإدعاء أن حتشبسوت وتحتمس الثالث أولاد الآله أمون من جسده، حتى يحصلوا على تقدير وقبول الناس.

ظل هذا الصراع دائر وحين بعث سيدنا موسى، فظل يتفنن اليهود، ليجادلوا لسيدنا موسى فى كل شيء، جدال الجدال، يأمرهم أن يذبحوا بقرة، يسألون ماذا لونها يشقون على أنفسهم فيشق الله عليهم، ظل هكذا حتى صعد سيدنا موسى على الجبل، وقام الشيطان بالتعاون مع السامرى، الذى يقال انه قد يكون المسيخ الدجال، حيث أن سيدنا موسى، لم يعاقبه، أو يوجه له كلام بالرغم من كونه صانع العجل الذى صنع له خوار.

قصه الخوار الذى يصنع صوت بالنسبه للشيطان مهمة، لأن حين شكل الله سبحانه وتعالى سيدنا أدم من الطين وقبل أن ينفخ فيه الروح، كان الشيطان يدخل من فمه ويخرج من دبره ليستكشفه، فيجده خاوى، لذلك كان يصنع صوت بداخله، نصدره نحن حين نتثاءب بصوت لذلك، ذكر النهي عن اصدار التثاءب بصوت عالٍ.

و لكى يسخر الشيطان من الإنسان، جعلهم يتركون عبادة الله ورسالته السماوية، من أجل عجل! فإن الأصل فى الأمر هو السخرية من الإنسان والانتقام منه لأنه تسبب فى خروج طاووس الملائكة وأصبح رجيم.

حيث بعث سيدنا عيسى برسالة سماوية، بدأ يلعب دوره باحتراف، فاشترك مع اليهود، تلاميذه النجباء، حيث ذكر لنا القرآن مدى

جدالهم، أشترك معهم ليحاربوا المسيحية، لذلك أول تأسيس لجمعيه البنائين الأحرار كان 44 م تقريبا.

المخطط ضد المسيحية كشفه لي قائد جيش إنجليزي، أرتد عن البنائين الأحرار، وعاد للمسيحية لكن فئه السبت الذين يصلون يوم السبت، لأنهم وعلى حد تعبيره، هم الفئة الوحيدة المحصنه ضد الشيطان.

اختصارا المخطط كان قائم على إلغاء العبودية، تنكيس الإنجيل دون حرقه،إعلاء الوثنية المسيحية.

دخول الشعوذة، العلم و الطب، إعلاء شأن ذاتية الإنسان وإعلاء مبادئ النفعية والمصلحة، وقاموا بتحقيق ذلك عن طريق نظرية داروين " أصل الإنسان قرد " إدخال علم التنويم المغنطيسى فى الطب وأصبح من العلوم الهامه إلى الآن.

وقد نجح فى كل مخططاته بالنسبة للمسيحية، حتى أن المسيحية ذاتها تناست عداوة البنائين الأحرار لها، أما بالنسبه للإسلام القصة أكبر وأعمق، أولا قد حصن الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من الشياطين، فتتبع أمته، بدأ من عهد سيدنا عثمان بن عفان، فالشيعة، والشيوعية، والبهائية، وكل الطوائف التى استجدت على الإسلام من صنع البنائين الأحرار الذى عزل السلطان حسين كانوا البنائين الأحرار من خلال الدول العظمى، وحين رفض الأمتثال لها لأوامرهم بجعل فلسطين وطن شرعي لليهود، اضطر للتنحى وترك العرش، حين قام محمد على بنهضه مصر الحديثة قاموا بنفس الأمر معه، فمصر بالنسبه لهم كنز الكنوز، لن ينجح مخطط لهم، بدون وجود مصر على خريطتة، لذلك كانت مصر من أهم البلاد التى بها عدد كبير من المحافل، حتى بعد أن اقفلوا رسميا، لا زالت أعمالهم

تمارس من خلال النوادى التابعة، من خلال برامج التبادل الطلابى، ناهيك عن وسائل الاختراق الحدثية ووسائلها، مثل الفيس بوك، الانستجرام كل ما هو متاح وغير متاح، يخترع ليستخدم من أجل أهدافهم وإن كان عامل مساعد فى أيدى أعدائهم، فهو عضو فعال فى يدهم، كل علماء التاريخ الحديث كانوا ينتمون إليهم بطريقه أو بأخرى، كل رجال الصناعات الكبرى، كل مخترعى العصر كانوا على درجه من درجات البنائين الأحرار الثلاثة وثلاثين.

عضوية البنائين الأحرار تمنح بالاختيار وليس بالطلب تمنح لكل الشخصيات المؤثرة والمسموعة لتجتذب عدد أكبر من المعجبين والجهلاء والتابعين ..

خالد

لم تتم نوران حديثها الشيق لأن الحارس دخل مهر ولا علينا، ليخبرنا أن هناك رجل مهم ينتظر بالأسفل، يريد مقابله شهاب بيه، فتح أدهم الكاميرات، سألنى هل تعرفه، فقدت سعاد وعيها أنه خالد، ما هذا، ماذا أفعل.

أمرت شريف أن يأخذها هي وحبيب ونوران، ويختبئ بالمكان الذى أخبرته عنه مسبقا، ولا يظهرا ألا عندما أحدثه بنفسي وأخبره كلمة السر فتح خالد باب سيارته ذات الستة أبواب لينزل منها خمس بنات وولد، من ضمنهم كنزى وعبد الله والأربع بنات كن بجوار كل من شذى وساميه بالصور، أمرت الحارس أن يدعه يمر هو والأولاد، احتضنت الأولاد، أولادى كنزى وعبد الله، منذ وقت طويل لم أتشمم رائحتهم منذ يوم العملية، جروا بأتجاهي، اندفعا لصدرى بقوتهم لكنني أحتملتها كأنهم مذعورين من شيء يجرى خلفهم: - بابا أحنا عايزين ماما، متسيبناش تاني.

- لا، يا حبايبي مش هسيبكم تانى أبدا، معلش كنت تعبان، حقكم عليا.

صحت على المربية كى تأتى لتأخذ أولادي والبنات اللائي كن ينتمين إلي بشكل غامض، فشعرت تجاههن مثلما شعرت تجاه سعاد، نظراتهم ليست متماثلة كانت ممتزجة بشجن وحنين عميق وغريب في الوقت ذاته، تماسكت وأنا أنظر إليه، تماسكت لمعرفة المزيد منه، لماذا كل مافعله بي؟ بدأ هو بالكلام:

قال خالد بإبتسامة حانقة: مش هتقولي إتفضل؟

شهاب: آه، طبع، آه طبع، بس إستناني هنا لحد ما أرجعلك.

دخلت لأطمئن على تامين الاولاد جميعا وكل من كان بالمنزل وأحكمت غلق الأبواب عليهم، ثم عدت لخالد بقلب ميت، غير عابىء بالنتيجة..!

شهاب: إتفضل

خالد: أخبار صحتك إيه دلوقت؟

شهاب: أنت متابع حالتي كويس!

خالد: طبعا وأنا عندى كام شهاب.

شهاب: هو شهاب واحد، وحتى لو في حالتي ممكن أعرف أقوم بدورى اللى ربنا خلقنى عشانه.

خالد: ده اللي هو إيه؟

شهاب: هي الشهب بتعمل إيه؟

خالد: مش واخد بالى ماليش فى الفلك.

شهاب: نفس صفة الادعاء والغرور!! هي الشهب بترجم الشياطين؟

خالد: يعنى أنت الشهاب وأنا الشيطان.

شهاب: الشيطان خالد.

خالد: أممممممم.

شهاب: لكل نصيب من اسمه.

خالد: تمام يا صديقي.

شهاب: صديق! أنت شايف نفسك صديق، عن أي صديق تقصد، صديق السوء أم صديق الشيطان الصدوق.

خالد: وأنت مين بقى عشان تحاكمني، أو إيه اللي أنت عملته فى حياتك، عشان تبقى أحسن مني.

شهاب: على الأقل مسببتش الأذى لأي حد ولا ليك أنت شخصيا.

خالد: مين قالك وجودك في حد ذاته كان بيأذيني.

شهاب: أزاي.

خالد: مش مهم إزاي.

شهاب: لأ، مهم.

خالد: أنا جاي فى مهمة محددة، عايز أبلغك حاجة، أنت طبعا عارف أن شذى عضوة زي زيها.

شهاب: شذى!

خالد: آه، وسامية كمان، لكن درجة سامية لسه في درجة العمر، أصلها مش مجتهدة وبتفوت أحتفالات.

شهاب: خالد، وضح ليا، مش فاهم.

خالد: بس يا شهاب كنت أتمنى لو أنا جايلك بصفة شخصية، كنت هنبسط أوى، لكن الواحد ما بيخدش كل حاجة.

شهاب: تفتكر ليه؟

خالد: أنا مبفكرش عشان أفتكر، من فضلك أسمع الرسالة قبل ما وقتها يعدي، ولو الوقت خلص همشى من غير ما تفهم، وواجبى دلوقت إنى أوصلك المعلومات كاملة.

شهاب: إتفضل إحكى.

خالد: أنا خالد اللي ضغطت على شيرين وساومتها على حياتك وعلى حياة الأولاد لو مرضتيش تسيبك وتيجي معايا، عشان كده وافقت تيجي معايا غصبن عنها، بعتنهالك بعد كده عشان تحاول تقنعك بحاجات معينة، بس اكتشفت انها بتيجي تطمن عليك وتمشي، حاولت هي وساميه يهربوا البنات والولد، اولادك من لحمك ودمك، شذى جابت بنتين توأم، ساميه جابت بنتين توأم، لكن ساميه وشيرين ماتوا وهما بيحاولوا يهربوا الأولاد، بعد كده شذى أمرتنى اجيبلك الأولاد بسلام من غير ماحد يعرف وأوصلك الرساله، كلهم كانوا بيحبوك الي ماتوا والي هربوا محبوش راجل غيرك، وبناتك عارفينك وبيحبوك من كلام أمهاتهم، ولو شذى كانت تقدر كانت جتلك، اصل شذى وساميه وشيرين أتفقوا إن اللي هتنجى فيهم هي اللي هتربى الأولاد.

شهاب: شيرين ماتت .. سامية ماتت ؟! إنت بتقول ايه، أنت كذاب

خالد: إهدى، عشان قلبك، أنا مش كذاب، شيرين كانت بتدافع عن سامية وعن بنت من البنات، وأخدت رصاصة بدالها.

شهاب: رصاصة ليه أنتوا كنتوا فين وكنتم عايزين تعملوا فيهم إيه؟

أردت أن أقف واحطم رأسه بيدي أو أغمد سكين في قلبه وآخر في رأسه، لكن تخيلت أو ربما لم أتخيل وكنت أرى أطياف شيرين وسامية

ودكتور سعاد والشيخ، كما أن قواي شعرتها تستجيب لإرادتهم بالتزام الهدوء والصمت، خرجت من صمتي لأقول له بصوت منهك:

دي لعبة جديدة، أنت لو مقولش الحقيقة هدفنك هنا.

خالد: أيه ده هتقتل! المرة ديه بجد ولا بردو هتعيش دور اللي أيده نضيفه

شهاب: متخلينش أفقد أعصابى.

خالد: لو فقدتها ديه حاجه ترجعلك، ممكن أترقى فيها.

شهاب: هتكون ساعتها ميت.

خالد: مش مشكلة ابنى هيستفيد من الدرجة بتاعتي.

شهاب: ابنك!

خالد: آه، أنا متجوز ومخلف وكان خلاص ابنى هياخذ درجه لولا المجنونة اللي متجوزها، عملت بوليكا.

شهاب: أنت مجنون، أنت مش طبيعى.

خالد: طيب أنا مهمتى خلصت، أتفضل الظرف ده فيه كل حاجه شذى عايزك تحصل عليها عشان تساعدك، وممكن تتصل بيها مرة واحدة بس في أسوأ الظروف أو فى حاجة طارئة.

شهاب: خلصت؟

خالد: آه فيه حاجة كمان، شذى كانت عايزاك تعرف إنهم كانوا ناويين يربوا أولادك، لأن أنت حد مميز ونسلك كمان مميز، وارث كثير من اللي عندك، فيه حاجات أنت تعرفها وحاجات بأفقك الضيق، مقدرتش تعرفها .. آخر جمله عايز أقولها حافظ على نفسك والأولاد ومتحاولش توصل ليها، لأن ده هيهدد حياة الأولاد، هي بتحبك لآخر يوم

فى عمرها،سامحها، فيه حاجات كثير جدا كانت غصب عنها، هي مسامحاك، عارفه ان والدها هددك، عشان كده تخلفت عن الميعاد اللى كنتم هتهربوا فيه، هي مبسوطة عشان كل اللى عملته. لا إله الا الله.

الصحفي

وبعدين أتصل بيكى؟

شذى: لا طبعا هو مجنون، شهاب كان عاقل متصلش، بس بعتلى القصة اللى أديتهالك دلوقت وقالى إني لازم أنشرها

الصحفي: طيب هو أنتي لما هربتى، دوروا عليكى؟

شذى: يييه كثير جدا، بس مخطرش على بالهم هكون فين، هو أنت إيه اللي جابك المقام ده

الصحفي: مفيش يا ستى رئيس التحرير كان متضايق منى، فقالي خد موضوع الموالد وأشتغل عليه، عمل فيا خير غصب عنه، القصة ديه هتكون أسانسير النجاح بالنسبه لي.

شذى: الحكايه مش سهلة خلى بالك من نفسك وأعمل حسابك، إنك مش هتشوفنى تانى، وياريت متجتهدتش وتزود حاجة من عندك غير بس الأسامي، الى لازم تغيرها.

الصحفي: لازم يعني حكاية الأسماء، ده لو فضلت الأسماء كده،هيبقى لوز.

شذى: بص يا ساري متغرقش نفسك، وخليك مع الريح مش ضدها عشان نحافظ على مركبك سليمة. أنت لسة صغير.

الصحفي: طيب في حاجات كنت عايز اسأل عليها.

شذى: من دلوقت أنت مع نفسك، ربنا يعينك على نفسك وعلى الى انت شايله.

الصحفي: ست شذى.

شذى: طيب أستناني، هرجعلك، هقولك على كل حاجة بس بالمختصر.

الصحفي: ماشي.

أنتظرت حتى قارب المولد أن ينفض، لم تعد شذى، تاركة معي هذه الداهية، مفتاح، الله أعلم هيفتح ليا إيه أو هيفتح عليا إيه.

. تمت .